الجهاد في الإسلام

عرض نقدي



الجهاد فى الإسلام

عرض نقدى

للكاتب الهندى المسلم

شراغ على

ترجمة وتعليق

د. إبراهيم عوض

المنار للطباعة والكمبيوتر

ت : ٢٩٦٤٨٤٤

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع ٩٨/١١١٨٩ / ٩٧
الترقيم الدولى
I.S.B.N.
977 - 5789 - 59 - 1

مقدمــة

تتضمن الصفحات التالية ترجمة كتاب " A Critical Ex- position of the Popular Jihad " ، الذى وضعه منذ أكثر من قرنٍ الكاتبُ الهندى المسلم شراغ على ونشره فى كلكتا عام ١٨٨٥م .

وكان شراغ على معاصراً لسيد أمير على والسيد أحمد خان ، وأفكاره تشبه أفكارهما إلى حد كبير . وهو فى هذا الكتاب يردّ على مفتريات المستشرقين والمبشرين الذين يتهمون الإسلام بأنه دين عدوانى وأنه لا يستعمل مع مخالفيه إلا لغة السيف والإكراه . وقد أحسن المؤلف إحسانا كبيرا فى هذا الرد الذى بناه على المنطق المحكم والأحكام القرآنية الواضحة وروح الإسلام العامة وشخصية رسوله النبيلة ﷺ ووصاياه الرحيمة والوقائع التاريخية الثابتة ونصوص القانون العسكرى والدولى كما يعرفه الغربيون ، وإن كان قد أسرف فى بعض الأحيان فى محاولة نفى ما لا يسىء إلى الإسلام فى شىء . كما جاءت لغته عن الفقهاء المسلمين القدامى عنيفة بعض العنف .

ولا أكتم القارئ أننى قد وجدت متعة عظيمة فى قراءة الكتاب وفى ترجمته معاً ، وإن أتعبنى ردّ أسماء الأعلام الخاطئة والمحرّفة إلى

أصلها وكذلك البحث عن النصوص العربية التى نقلها المؤلف إلى الإنجليزية .

والمرجو أن يكون فى هذا البحث منفعة لمن يقرؤه ، وأن تكون أخطاء الترجمة قليلة . والله ولى التوفيق .

كل حروب الرسول ﷺ كانت دفاعية

الاضطهاد

١ ـ اضطهاد أهل مكة للمسلمين فى أوائل الدعوة :

إن الاضطهاد القاسى الذى تعرض له الرسول ﷺ والمسلمون الأوائل على أيدى قومهم من قريش حقيقة يشهد بها كل المؤرخين، وإن القرآن ، الذى كان يسجّل مشاعر البغضاء التى أحاطت بالرسول وأتباعه أوّلا بأوّل ، ليبيّن هذا بجلاء . إن المسلمين الأوائل لم يؤذَوْا فقط لنبذهم الوثنية وتحولهم إلى ديانة التوحيد التى دعاهم إليها محمد ، بل عُذّبوا فوق ذلك وأُهينوا لحملهم على العودة للدين الذي نبذوه . ولقد حملت فظاعةُ الاضطهاد الرسولَ على أن يعترف بصدق إسلام هؤلاء المسلمين الذين لم يتحملوا هول التعذيب فأعلنوا بألسنتهم تخلّيَهم عن إسلامهم ورجوعَهم إلى الكفر ، بينما بَقُوا فى الحقيقة مستمسكين بإيمانهم بالله الواحد الأحد . يقول القرآن : ﴿ مَنْ كَفَرَ بالله من بعد إيمانه ، إلا من أُكْرِه وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرَح بالكفر صدرًا فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ (النحل / ١٠٦) .

ويقول ستوبارت : « إن ما لاقاه هؤلاء المؤمنون المستضعفون من ألوان التضييق والتعذيب ، وبخاصة آلام العطش فى لهيب الشمس ، لحملهم على الارتداد إلى ما يعبده قومهم من الأصنام قد أثار شفقة

محمد فسمح لهم بإذن من السماء أن ينكروا فى مثل هذه الظروف إيمانهم ما بقيت قلوبهم ثابتة عليه » (١) .

٢ ـ ملاحظات على ما جاء فى القرآن عن الاضطهاد :

إن المظالم والمحن والشدائد التى قاساها المسلمون الأوائل قد اضطرتهم إلى الفرار من بيوتهم تاركين وراءهم أهليهم وأموالهم فى أيدى مضطهديهم ، إذ كان هذا أفضل لديهم من العودة إلى الكفر، وبذلك ظلوا على اعتقادهم الوثيق بربهم ، الذى أرشدهم محمد إلى الإيمان به والتوكل عليه . وكل هذه الحقائق تبينها الآيات التالية : ﴿ والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظُلموا لَنُبَوِّئَنَّهم فى الدنيا حسنةً، ولأجْرُ الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ (النحل/ ٤١ ـ ٤٢)، ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتِنوا ثم جاهدوا وصبروا ، إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ (السورة السابقة/ ١١٠)، ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله . والله غفور رحيم ﴾ (البقرة/ ٢١٨) ، ﴿ فالذين هاجروا وأُخْرِجوا من ديارهم وأُوذوا فى

---

(1) Islam and its Founder, by J. W. H. Stobart, B. A., P. 76.

ولكنْ فى الواقع لم يكن هناك مثل هذا الإذن . إن الآية السالفة الذكر تشير إلى أن غضب الله وعقابه سيحلان على هؤلاء الذين يكفرون بربهم ، ما عدا المكرهين، فهم يختلفون عن أولئك . وباختصار فهؤلاء الذين يُكرَهون على إعلان الكفر بالله لا يعَدّون كافرين .

سبيلى وقاتلوا وقُتلوا لأُكفِّرَنّ عنهم سيئاتهم ولأُدْخِلنّهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ (آل عمران / ١٩٥) ، ﴿ والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قُتلوا أو ماتوا ليرزقنّهم الله رزقا حسنا ، وإن الله لهو خير الرازقين ﴾ (الحج / ٥٨) ، ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أُولِى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكُلاًّ وَعَدَ الله الحسنى ، وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ﴾ (النساء/ ٩٥) ، ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم . قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعَفين فى الأرض . قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا * إلا المستضعَفين من الرجال والنساء والولْدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم . وكان الله عفُوّا غفورا ﴾ (النساء / ٩٧ ـ ٩٩) ، ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتُقْسطوا إليهم . إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم . ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون ﴾ (الممتحنة / ٨ ـ ٩) .

٣ ـ ما تعرّض له الرسول من إهانات :

ولقد لَقِىَ الرسول على أيدى مضطهديه صنوفا من الإهانات

والأذى . من ذلك منعهم إياه من تأدية الصلاة ، وبَصْقُهم وحَثْوهم التراب عليه ، وجرّهم إياه من رقبته إلى خارج الكعبة بعد أن ربطوا شال عمامته حول عنقه . كل هذه الإهانات تحملها الرسول ، مضافاً إليها رؤيته فى كل يوم أتباعه يُسامون الهوان . كما تعرضت حياته لمؤامرة اغتيال بعد موت عمه لولا أن هاجر إلى المدينة : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليُثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك . ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين ﴾ (الأنفال/ ٣٠) .

٤ ـ موجز تاريخى لصنوف الاضطهادات :

بدأت قريش تضطهد المسلمين حوالى ٦١٥م . ولقد كان وقع الاضطهاد أعنف ما يكون على أولئك الذين لم يكن لهم من يحميهم كما ذكرنا آنفا . وقد فرّت جماعة من أحد عشر رجلا ، ومع بعضهم أهلوهم ، فوجدوا لهم فيما وراء البحر الأحمر فى بلاط الحبشة ملاذا من هذا الطغيان ، وذلك على رغم مطاردة قريش لهم ، وهذه هى الهجرة الأولى . وبعد قليل لحق بهم جماعة أخرى تزيد على المائة فرارا من الاضطهاد الذى ازداد ضراوة ، وهى الهجرة الثانية . وقد أرسلت قريش إلى البلاط الحبشى سفارة لإعادة هؤلاء اللاجئين إلى مكة ، بيد أن الملك رفض تسليمهم . وبعد عامين تحالفت قريش فيما بينها على مقاطعة المسلمين ومن يواليهم مقاطعة تامة ، وهددوهم وأجبروهم على مغادرة مكة ، فخرج هؤلاء بأُسَرهم

ومعهم الرسول وبنو هاشم إلى شِعْب أبى طالب ، وبقُوا هناك ثلاث سنوات فى عزلة تامة عن العالم الخارجى كانت المقاطعة التى فرضت عليهم تطبّق خلالها تطبيقًا صارما . وتتلخص مواد هذه المقاطعة التى شملت النواحى الاجتماعية والمدنية فى أنه لا مصاهرة ولا بيع ولا شراء مع المسلمين ، وأن تُقْطَع كل علاقة بهم . وكان محمد فى أثناء الأشهر الحُرُم يمضى إلى الحُجّاج الوافدين إلى مكة فيدعوهم إلى نبذ الأصنام وإلى الوحدانية . ويشرف على شِعْب أبى طالب جبلُ أبى قبيس ، وللشّعب بوابة منخفضة كانت تفصل بين العالم الخارجى وبين المسلمين ، الذين كانوا يقاسون جميع أنواع الحرمان والتضييق . ولم يكن ليجرؤ أحدهم على الخروج من الشعب إلا فى الأشهر الحرم ، إذ كانت تُطْرَح حينئذ كل مشاعر العداء . وكانت تُسْمَع أصوات الأطفال الذين يتضورون من الجوع داخل الشّعب . وقد استمرت هذه الحالة من المعاناة والاضطهاد بضع سنين ، إلى أن خرج خمسة من زعماء قريش من الحلْف فنقضوه وأطلقوا المسلمين من حصارهم ، وكان ذلك فى السنة العاشرة من مبعث الرسول . وبعد ذلك بقليل نزلت بمحمد والمسلمين الأوائل خسارة جسيمة تمثلت فى وفاة عمه الجليل أبى طالب ، الذى كان يحميه . وبهذا تعرضوا من جديد لصنوف الإهانات والاضطهادات البالغة بتحريض من أبى سفيان وأبى جهل وغيرهما . ولأن الرسول وأتباعه كانوا قلة فى هذا الجو العدائى فقد

كان الميزان فى صالح أشراف مكة ذوى الحَوْل والثروة . وفى هذه الفترة الحرجة خرج محمد إلى الطائف ، وهى معقل قوى للوثنية ، خوفا من البقاء فى مكة ، أو ربّما حداه الأمل فى أن دعوته ستلقى قبولا بين قوم آخرين . وفى الطائف كانت هناك اللات ، وهى تمثال من الحجر تكسوه الحلل الفخمة وتزينه الأحجار الكريمة ، وكانت تُعْبَد بوصفها إحدى بنات الله . وهناك قابلت دعوة الرسول آذانا نافرة ، فلم يَلْقَ من أشراف تلك المدينة إلا المعارضة والزجر اللذين سرعان ما اشترك فيهما العامة أيضا ، فطورِد إلى خارج المدينة مهانا مجرّحا . ولم يستطع الرسول آنذاك أن يعود إلى مكة إلا فى جوار المُطْعِم كبير عبد شمس .

وقد استطاعت الدعوة الإسلامية أن تجتذب من بين الحجاج الوافدين على مكة جماعة صغيرة من أهل المدينة سرعان ما بلغت اثنى عشر شخصاً فى العام التالى لَقُوا محمداً وبايعوه ، فأرسل معهم من يعلمهم الدين الجديد الذى انتشر بينهم بسرعة عجيبة . وما إن مرّ الحَوْل وحلّ موعد الحج حتى أتى إلى الرسول سبعون من أهل المدينة يعاهدونه على أن يستقبلوه فى ديارهم ويحموه بأنفسهم وأموالهم . وقد تمّ كل ذلك خفية ، ولكن قريشا بلغها الخبر فزادت اضطهادها الذى شمل فى بعض الحالات الحبس ، مما عجّل برحيل المسلمين إلى مُهَاجَرهم بالمدينة .

٥ ـ الهجرة :

لقد رأى محمد ، الذى أزعجه كثيرا تعصب قومه ضد دعوته وتعرُّض حياته وحياة أتباعه للخطر وانفصام العلاقات بينهم وبين قريش ، ألا أمل فى إقلاع هؤلاء عن عدوانهم ولا فى سماحهم له بأن يعيش فى وطنه مبشرا بدعوته ، فتحول ببصره يبحث عن المناصرة والحماية من بلد غير بلده ، وسأل أهل المدينة أن يضيّفوه ويحموه . وقد عاهده مسلمو المدينة عند مجيئهم إلى مكة للحج على أن يَذُودوا عنه كما يذودون عن نسائهم وأطفالهم . وعلى رغم أنهم لم يقوموا بأى عمل عدوانى ضد قريش ، فقد أصبحوا فى الحال موضع اشتباه لدى القرشيين ، الذين حاولوا أن يقبضوا عليهم . وبالفعل آذَوْا واحدا من هؤلاء كان قد وقع فى أيديهم . كذلك استؤنفت عملياتَ الاضطهاد بضراوة شديدة [١] . وقد مرّ شهران قبل أن يستطيع المسلمون الهجرة ما خلا المحبوسين منهم والعاجزين عن الفرار من العبودية والنساءَ والأطفال . وفى صمتٍ هجر المسلمون

---

(١) « إن تعضيد أهل المدينة للدعوة الجديدة واشتباه القرشيين فى أن هناك نية مبيتة على الهجرة قد غاظ هؤلاء وأثار قسوتهم ، مما جعل المسلمين يسألون الرسول الإذن بالهجرة . وربما وُجد السببان معا وأثّر كلاهما فى الآخر ، فكان الاضطهاد يعجّل برحيل المسلمين من مكة ، على حين كانت رؤية جماعات المسلمين تهاجر تباعاً تهيج حفائظ القرشيين وتدفعهم إلى قسوة أشد » (William Muir's Life of Mahomet, Vol.II, pp. 242. 243, foot-note) .

بيوتهم أسرة فى إثر أسرة ، حتى إن حيًا أو اثنين من أحياء مكة قد خلَوَا من سكانهما تماما . أما قريش فإنها قد عقدت اجتماعاً أهدرت فيه دم محمد ، الذى فرّ هو وصديقه أبو بكر بعد أن ترك فى بيته عليًا وطلب منه أن ينام فى فراشه ويلتف بعباءته لكى يقضى على ما قد يساور الجيران من شكوك . وقد التجأ الصاحبان إلى غار، على حين أرسلت قريش وراءهما العيون ليبحثوا عنهما دون جدوى. وبعد ثلاثة أيام خرج محمد وأبو بكر من الغار ميمّمّين وجهيهما نحو المدينة ، التى بلغاها سالمين .

ومما لا ريب فيه أن هذه الاضطهادات كانت تسوّغ لمحمد أن يقوم بأعمال عدوانية ضد قريش فور وصوله المدينة ، ولكنه على رغم ذلك لم يحمل السلاح إلا مضطرا حين تكرر هجوم المكيين عليها .

٦ ـ اضطهاد قريش للمسلمين بعد الهجرة إلى المدينة :

وعلى رغم هجرة الرسول والمؤمنين الأوائل الذين أمكنهم أن يفروا من مكة مخلّفين وراءهم نساءهم وأطفالهم إلى جانب من لم يستطيعوا الهجرة ، فإن أهل مكة لم يغفروا لهم ذلك ولم يكفوّا عن اعتداءاتهم عليهم ، فأساءوا معاملة الصغار والضعاف الذين بَقُوا هناك ، وطردوا المسلمين من ديارهم ، ولم يسمحوا لهم بالعودة للحج . وقد تكرر من أهل مكة غزْوُهم المدينة عاقدين النية على شن

الحرب على المسلمين (وبالفعل حاربوهم فى بدر وأُحُد والخندق)، فكان ضروريا أن يلجأ هؤلاء إلى السلاح ليدفعوا عن أنفسهم هذا العدوان السافر . وقد كانت هذه مسوغات كافية للمسلمين لو أرادوا أن يتخذوا موقف الهجوم ، وبخاصة أنهم كانوا يرغبون فى أن يستنقذوا أهليهم وكذلك هؤلاء الذين عجزوا عن أن يفروا معهم من طغيان أهل مكة وظلمهم . ومع ذلك فإنهم لم يبدأوا العدوان ولا مرة واحدة . وهكذا فإنهم ، وقد أُخْرِجوا من ديارهم مخلّفين أهليهم وراءهم ، لم يلجأوا إلى السلاح إلا حين اضطُرّوا تماما إلى ذلك للدفاع عن أنفسهم .

لقد كان كل ما أراده محمد لنفسه ولأتباعه هو حرية الاعتقاد والتصرف والسماحَ له بأن يدعو إلى دينه ويؤدى شعائره دون أن يتعرض لأذى . وعندما رفض الكفار ذلك نَصَح أتباعَه بمغادرة مكة والبحث عن ملجإ أمين فى مكان آخر ، فهاجروا مرتين إلى الحبشة، وفى الثالثة أُبْعِدوا إلى المدينة حيث لحق بهم هو أيضا حين تعرضت حياته للخطر .

أهل مكة أو قريش

٧ ـ زعيم قرشى يشن غارة قرب المدينة فى السنة الثانية للهجرة :

وسرعان ما أصبح موقف قريش من المسلمين بعد الهجرة أكثر عدوانية . ومن ذلك أن كُرْز بن جابر ، وهو قاطع طريق قرشى

مشهور ، قد أغار على بعض إبل المدينة وماشيتها بينما كانت ترعى في سهل يبعد عنها بضعة أميال ومضى بها .

٨ ـ قريش تهاجم المدينة ، ومحمد يخرج للدفاع ويكسب المعركة في بدر في السنة الثانية للهجرة :

ومع ذلك فلم يبدر من المدينة أى رد على هذا العدوان إلى أن ساق المعتدون القرشيون جيشا قوامه تسعمائة وخمسون محاربا مجهزون بسبعمائة بعير ومائة فرس إلى بدر ، التى تبعد تسع مراحل عن المدينة ، بنيّة الهجوم عليها . وعندئذ خرج الرسول من المدينة على رأس جيش صغير مكون من ثلاثمائة وخمسة وعشرين ليوقف زحف هؤلاء المعتدين . وكانت هذه أول حرب هجومية دفاعية بين قريش ومحمد على التوالى ، وقد خسرها المعتدون .

٩ ـ هجوم أبى سفيان على المدينة فى السنة الثانية للهجرة :

وبعد ذلك باغت أبو سفيان ومعه مائتا فارس محمداً وأهل المدينة، إذ أغار على حقولهم ونخيلهم على مبعدة ميلين أو ثلاثة شمال شرقى المدينة . ثم إن قبيلتى سليم وغطفان ، اللتين تنتميان مع قريش إلى أصل واحد ، قد شجعهما عدوان قريش ، أو ربما أرادتا أن تقلدا أبا سفيان ، فجمعتا جموعهما وهاجمتا المدينة بغية النهب جَرْيًا على ما اعتادوه من سلب واختطاف .

١٠ ـ معركة أحد :

قامت قريش باستعدادات ضخمة من أجل عدوان جديد على المدينة . وقد بدأت زحفها ، بعد مرور سنة على معركة بدر ، فى ثلاثة آلاف محارب : سبعمائة منهم عليهم الدروع ، ومائتان من الفرسان الحَسَنى التجهيز . وعندما بلغوا المدينة نزلوا فى سهل واسع خصيب بالقرب من أُحُد . وقد التقى أبو سفيان ومحمد ، الذى كان على رأسِ قوة من سبعمائة ليس فيهم إلا فارسان اثنان ، ولكنه خسر المعركة وجُرِح .

١١ ـ تأثير الهزيمة على مركز محمد :

وقد تأثر مركز محمد بهزيمته فى أحد حتى إن كثيرا من قبائل البدو شرعت تتخذ منه موقفا عدائيا : فبنو أَسَد مثلا ، وهم قبيلة نجدية مرتبطة بقريش ، وبنو لحيان ، الذين يسكنون على مقربة من المدينة ، قد أخذوا يتجهزون للإغارة عليها . كذلك قُتِلَتْ رسل محمد عند الرجيع وبئر معونة . ثم إن عصابات قطع الطريق عند دومة الجندل قد هدّدوا هم أيضا بغارة على المدينة . أما بنو المصطلق فقد جمعوا جموعهم لمشاركة قريش فى عدوانها المبيّت على المسلمين .

١٢ ـ أبو سفيان يهدد المسلمين بعدوان آخر فى العام التالى :

وقد هدد المسلمين أبو سفيان عند عودته من ميدان المعركة

منتصرا بعدوان جديد فى السنة المقبلة قائلا لعمر : « إن موعدكم بدر العام القابل ». ومع ذلك فإن المدينة قد سَلِمَتْ لوقت طويل مما كان يتهددها من اعتداءات القرشيين .

وأخيرا حل الموعد الذى كان من المفروض أن تلتقى فيه قوات قريش بالمسلمين فى بدر ، بيد أن السنة كانت سنة قحط شديد فرغب القرشيون أن تؤجل الحملة إلى فرصة أنسب . وعلى هذا الأساس كلفوا نعيما ، وهو أعرابى من قبيلة محايدة ، بأن يقصد المدينة ويبالغ فيما يلقيه إلى المسلمين من أخبار حول استعدادت قريش، مؤمّلين أن يثبط ذلك من همة المسلمين فلا يخرجوا للقتال، وبخاصة أن ذكرى معركة أحد كانت لا تزال غضة فى الأذهان . إلا أن محمدا رغم ذلك قد نَفَرَ إلى هناك فى ألف وخمسمائة محارب ومعهم عشرة أفراس فقط . أما قريش ، التى لم يبد قط أن انتصار محمد قد نال منها ، فقد أخذت تجهز لهجوم آخر على المدينة .

١٣ - قريش تهاجم المدينة من جديد فى جيش جرار . محمد يدافع عن المدينة . الأعداء ينسحبون (غزوة الخندق أو الأحزاب فى السنة الخامسة للهجرة) :

اختارت قريش فصل الشتاء من العام التالى لتشن عدوانا جديدا على المسلمين ، وضمت إليها قوة ضخمة من قبائل البادية ،

وبذلك بلغ عدد الجيش نحو عشرة آلاف مقاتل زحفوا صوب محمد وحاصروا المدينة . أما محمد فقد حفر خندقا للدفاع عن المدينة ووزع قواته فيما يليه ، بينما عسكرت قريش فى الجانب الآخر . وفى تلك الأثناء نجح أبو سفيان فى خلع يهود بنى قريظة من الحلف الذى كان يربطهم بمحمد فتضاعف الخطر الذى كان يهدد المدينة من جرَّاء هذا الانتقاض . ثم قام الأعداء بهجوم شامل ، إلا أن المسلمين صدّوه . ثم ساءت الأحوال الجوية ، مما كان من أثره أن أمر أبو سفيان قواته بالتفرق . حينئذ انسحب الأعداء ولم يعاودوا بعدها مهاجمة المسلمين ، لتكون هذه آخر حرب تقوم فيها قريش بدور المعتدى ويأخذ محمد دور المدافع .

١٤ ـ محمد ينطلق بأتباعه إلى مكة لتأدية العمرة . قريش تعترض محمداً ، الذى يعود دون بلوغ هدفه :

مرت ست سنين منذ أن أُخْرِج محمد وأتباعه من مكة لم يزوروا خلالها البيت الحرام ولا أدَّوْا مرةً الحج ، الذى يعد جزءا أساسيا من حياتهم الاجتماعية والدينية . وفى شهر ذى القعدة حيث تتوقف الحروب فى كل أنحاء الجزيرة العربية انتوى محمد تأدية العمرة ، فخرج إلى مكة مع أتباعه العابدين القانتين المسالمين ، وكان عددهم ألفا وخمسمائة . ولم يكونوا يحملون من السلاح إلا ما كان مسموحاً به آنذاك للمسافر ، وهو السيف فى قُرَابه . أما قريش وحلفاؤها من القبائل النازلة حول مكة فعندما سمعوا باقتراب هؤلاء

الحجيج امتشقوا أسلحتهم وتقدموا ليسدوا عليهم الطريق . وعند الحُدَيبِيَة نزل محمد حيث وقَّع هو وقريش اتفاقية تقضى بإيقاف الحرب بينهما لمدة عشر سنين لا يهاجم فيها أحد الفريقين الآخر ، ومن أراد أن ينضم إلى محمد ويدخل معه فى حلْف فهو وما شاء ، ومن أتى إلى محمد بغير إذن وليّه فإنه يُرَدّ ، أما من يأتى من أتباع محمد إلى قريش فإنه لا يُرَدّ . وذلك بشرط أن يعود محمد وأتباعه أدراجهم ذلك العام دون أن يدخلوا مكة ، وفى العام التالى يمكنهم أن يزوروها لمدة ثلاثة أيام يخرج القرشيون أثناءها منها ، غير أنه لا يحق للمسلمين أن يدخلوها بأى سلاح غير ما يحمله المسافر ، وهو السيف فى قِرَابه . وقد حالفت بنو خزاعة محمدا ، على حين حالفت قريشا بنو بكر .

١٥ – نقضُ قريشٍ المعاهدةَ واستسلامُها :

ظل السلم ساريا حتى انتهكت قريش صلح الحديبية (١) فقتلت غدرا بضعة رجال من بنى خزاعة ، وعندئذ زحف محمد عليهم فى

---

(١) إن طائفة من البعوث التى أرسلها محمد قد صادفتها ظروف معاكسة ، فقد ذُبحت الجماعة التى أُرسِلَتْ إلى بنى سليم تعرض عليها الدخول فى الإسلام . كذلك قتل بنو مرة أفراد الجماعة التى بعثها إلى فَدَك ومزقت أجسادهم . وثمة جماعة أخرى أُرسِلَتْ إلى ذات الطلح للدعوة إلى الإسلام فلم ينج منها إلا واحد فرّ هاربا ، أما الرسول الذى ذهب إلى أمير الغساسنة فإن عامل مؤتة قد اغتاله ، فأرسل محمد جيشا لمعاقبة الجناة ولكنه هزم . كل هذه الظروف المعاكسة والكوارث قد نالت من مركز محمد وجرّأت القرشيين على نقض الهدنة .

العام الثامن للهجرة ليأخذ بحق بنى خزاعة ، الذين بَغَتْ عليهم قريش ، وليعاقب هذه على نقضها اتفاقية الصلح ، بيد أن قريشا دخلت فى طاعة محمد قبل أن يدخل مكة . وهكذا فُتِحت تلك المدينة دون مقاومة .

١٦ ـ قبيلتان أُخْرَيَان تتخذان موقف العداء :

وبعد ذلك بقليل أظهرت العداءَ هوازانُ وثقيف ، وهما قبيلتان كبيرتان محاربتان ، فتجمعتا فى أوطاس وتقدمتا نحو حُنّين لمهاجمة محمد ، الذى اضطُرّ إلى مغادرة مكة لملاقاتهما وتفريقهما. وقد وقعت بهما الهزيمة فى حنين . كذلك حوصرت الطائف ، ولكن لم ينجح الحصار .

الطابع الدفاعى للحروب

١٧ ـ آيات من القرآن تؤكد الطابع الدفاعى لهذه الحروب :

هذا الوصف المجمل السريع لحروب محمد الدفاعية مع قريش يبين بجلاء أن أولئك الذين يؤكدون أن محمدا كان فى حروبه معتديا أو كانت تحركه الرغبة فى الانتقام أو أنه اتخذ الحرب سبيلا إلى فرض دينه على الناس هم مخطئون تماما .

﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا . إن الله لا يحب كل خوّان كَفُور * أُذن للذين يقاتلون [١] بأنهم ظُلِموا ، وإن الله على نصرهم

(١) يقاتَلون (بفتح التاء) أو يقاتِلون (بكسرها) . والأُولى هى القراءة المعتمَدة والشائعة .

لقدير * الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله . ولولا دَفْعُ الله الناسَ بعضَهم ببعض لهُدِّمت صوامع وبِيَعٌ وصلوات ومساجد يُذْكَر فيها اسم الله كثيرا . ولينصرَنَّ اللهُ من ينصره . إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكَّنّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة وأمروا بالمعروف ونَهَوْا عن المنكر . ولله عاقبة الأمور ﴾ (الحج / ٣٨ ـ ٤١) .

﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا . إن الله لا يحب المعتدين * واقتلوهم حيث ثَقِفْتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم (١) . والفتنة أشد من القتل . ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه . فإن قاتلوكم فاقتلوهم . كذلك جزاء الكافرين * فإن انْتَهَوْا (٢) فإن الله غفور رحيم * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدين لله (٣) . فإن انتهَوْا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ (البقرة / ١٩٠ ـ ١٩٣) .

---

(١) المعنى الأصلى لـ « الفتنة » هو الإحراق بالنار . وتعنى أيضاً الامتحان أو الاختبار ، والمحنة ، والكرب أو الشدة ، وبخاصة المحنة حيث يُمتَحن الشخص ويُختَبر . انظر معجم لين / ص ٢٣٣٥ .

(٢) انتهَوْا عن اضطهادكم ومنْعكم من الدخول إلى بلدكم وصدّكم عن المسجد الحرام، وكفّوا عن العدوان عليكم وعن التعصب على دينكم .

(٣) بانتهاء الاضطهاد والتعصب الدينى والصد عن المسجد الحرام يمكنكم أن تُظْهِروا دينكم وتؤدوا شعائره وتدعوا إليه فى حرية .

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه ، قل : قتالٌ فيه كبير . وصدٌّ عن سبيل الله وكُفْرٌ به والمسجد الحرام وإخراجُ أهله منه أكبر عند الله . والفتنة أكبر من القتل . ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا . ومن يرتددْ منكم عن دينه فيمُتْ وهو كافر فأولئك حَبِطَتْ أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم ﴾ (البقرة / ٢١٧ ـ ٢١٨) .

﴿ وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ﴾ (البقرة/ ٢٤٣) .

﴿ ألم ترَ إلى الملإ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم : ابعث لنا مَلِكا نقاتلْ فى سبيل الله . قال : هل عسيتم إن كُتِب عليكم القتال ألا تقاتلوا ؟ قالوا : وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أُخْرِجْنا من ديارنا وأبنائنا ؟ فلما كُتِب عليهم القتال تولَّوْا إلا قليلا منهم ، والله عليم بالظالمين ﴾ (البقرة / ٢٤٦) .

﴿ فهزموهم بإذن الله ، وقتل داودُ جالوتَ ، وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء . ولولا دفعُ الله الناسَ بعضَهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ (البقرة / ٢٥١).

﴿ فلْيقاتلْ فى سبيل الله الذين يَشْرُون الحياة الدنيا بالآخرة . ومن يقاتل فى سبيل الله فَيُقْتَلْ أو يَغْلِبْ فسوف نؤتيه أجرا عظيما * وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والوِلْدان الذين يقولون : ربنا ، أَخْرِجْنا من هذه القرية الظالمِ أهلُها ، واجعل لنا من لَدُنْك وليًا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا ؟ * الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطّاغوت . فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ (النساء / ٧٤) .

﴿ فقاتلْ فى سبيل الله ، لا تكلَّفُ إلا نفسك (*) ، وحرِّض المؤمنين . عسى الله أن يكُفَّ بأس الذين كفروا ، والله أشد بأسا وأشد تنكيلا ﴾ (النساء / ٨٤) .

﴿ ودُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله . فإن تَوَلَّوْا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ، ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا * إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حَصِرَتْ صدورهم أن

(*) ترجم المؤلف هذه الجملة هكذا : " Lay not burdens on any but thy-self " ، ومعناها « لا تكلِّفْ إلا نفسك » ، أى أنه ترجمها على أساس أن «لا» ناهية وليست نافية ، وأن الفعل « تُكلِّف » مبنى للمعلوم ومجزوم لا مرفوع .

يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم . ولو شاء الله لسلّطهم عليكم فلَقاتلوكم. فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألْقَوْا إليكم السَّلَم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا * ستجدون آخرين يريدون أن يأمَنوكم ويأمَنوا قومهم ، كلما رُدُّوا إلى الفتنة أُرْكسوا فيها ، فإن لم يعتزلوكم ويُلْقُوا إليكم السَّلَم ويكفّوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم . وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مُبينا ﴾ (النساء / ٨٩ ـ ٩١) .

﴿ إن تستفتحوا (*) فقد جاءكم الفتح ، وإن تنتهوا (**) فهو خير لكم ، وإن تعودوا نَعُدْ . ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثُرَتْ، وأن الله مع المؤمنين ﴾ (الأنفال / ١٩) .

﴿ قل للذين كفروا : إن ينتهوا (***) يَغْفِرْ لهم ما قد سلف ، وإن يعودوا فقد مضت سُنّة الأولين * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدين كله لله . فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير * وإن تولَّوْا فاعلموا أن الله مولاكم . نعم المولى ونعم النصير ! ﴾ (الأنفال/ ٣٨ ـ ٤٠) .

﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى

(*) الخطاب هنا موجه إلى أهل مكة .

(**) أى تكفوا عن مهاجمة المدينة والمسلمين .

(***) أى يكفوّا عن اضطهاد المسلمين وصدّهم عن المسجد الحرام والعدوان عليهم .

يهاجروا ، وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، والله بما تعملون بصير * والذين كفروا بعضهم أولياء بعض . إلا تفعلوه (*) تكن فتنةٌ فى الأرض وفسادٌ كبير ﴾ (الأنفال / ٧٢ ـ ٧٣) .

(عندما نقض أهل مكة صلح الحديبية واعتدت قريش وبنو بكر على بنى خزاعة حلفاء النبى أصبح لزاما على محمد أن يهبّ لنجدة هؤلاء ويعاقب المعتدين . وقد نزلت الآيات التالية بهذه المناسبة ، ولكن قريشا لحسن الحظ قد استسلمت قبل انقضاء المهلة المحددة ، واستولى هو على مكة دون إراقة دماء ، وبذلك لم تعد هناك حاجة إلى وضع هذه الآيات موضع التنفيذ :)

﴿ براءةٌ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر (**) ، واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين * وأذانٌ من الله ورسوله إلى الناس يومَ الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين (***) ورسولُه ، فإن تبتم

(*) أى إلا تنصروا المظلومين وتردوا عدوان الظالمين ...

(**) أربعة أشهرٍ حُرُم تبدأ من شوال . وكانت قريش قد نقضت معاهدة الصلح فى رمضان قبل هذه الأشهر الحرم . وفى هذه الآيات إعلان للمعتدين بأن أمامهم مهلة أربعة أشهر لمحاولة التوصل إلى اتفاق ، بعدها سوف يبدأ المسلمون (كما هو موضح فى الآية الخامسة من هذه السورة) الحربَ دفاعا عن حلفائهم بنى خزاعة.

(***) أى من أية اتفاقية معهم .

فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله . وبشر الذين كفروا بعذاب أليم * إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا ، فأتمّوا إليهم عهدهم إلى مدتهم. إن الله يحب المتقين * فإذا انسلخ الأَشهرُ الحُرُمُ (١) فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مَرْصَد ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة فخلُّوا سبيلهم . إن الله غفور رحيم * وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْه حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه . ذلك بأنهم قوم لا يعلمون * كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ؟ فما استقاموا لكم(٢) فاستقيموا لهم . إن الله يحب المتقين * كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة ؟ يُرْضُونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم ، وأكثرهم فاسقون * اشْتَرَوْا بآيات الله ثمنا قليلا فصَدُّوا عن سبيله . إنهم ساء ما كان يعملون * لا يرقبون فى مؤمن إلاّ ولا ذمة ، وأولئك هم المعتدون * فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة فإخوانكم فى الدين . ونفصّل الآيات لقوم يعلمون (٣) * وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى

---

(١) وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . وهذه الآيات قد نزلت فى رمضان .

(٢) لم ينقض بنو ضمرة (من بنى كنانة) هدنة الحديبية، على عكس قريش وبنى بكر.

(٣) هذه الآية تشبه الآية الخامسة فى أنها تعنى فقط أنهم إذا دخلوا فى الإسلام فى هذه الأثناء فإنهم يعاملون على أنهم إخوة فى الدين، ولا يمكن أن يكون معناها =

دينكم فقاتلوا أئمة الكفر ، إنهم لا أيمان لهم ، لعلهم ينتهون * ألا تقاتلون قوما [١] نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة ؟ أتخشَوْنهم ؟ فالله أحق أن تخشَوْه إن كنتم مؤمنين * قاتلوهم يعذّبْهم الله بأيديكم ويُخْزهم وينصرْكم عليهم ويَشْفِ صدور قوم مؤمنين ﴾ (التوبة / ١ ـ ١٤) ، ﴿ ... وقاتلوا المشركينَ كافة كما يقاتلونكم كافة » (التوبة / ٣٦) .

١٨ ـ ما تبينه الآيات السابقة :

لن أعيد هنا ما تبينه الآيات والحقائق السالف ذكرها من أن حروب محمد مع قريش كانت مجرد حروب دفاعية ، وأن قريشا كانت هى المعتدية ، وأنه كان لمحمد مطلق الحق فى مواجهتهم بالسلاح . يقول إدوارد جيبون [٢] : « الوضع الطبيعى أن لكل إنسان الحق فى أن يدافع بقوة السلاح عن نفسه وممتلكاته ، وأن يصد عدوان أعدائه بل ويرد عليه بمثله ويوسع نطاق الحرب إلى مدى معقول من القصاص الذى يرضى النفس . وفى المجتمع العربى الخالى من القيود كانت واجبات المؤاطنة لا تمثل للفرد إلا كابحًا

= أن سبب إعلان الحرب عليهم هو مجرد إدخالهم فى الإسلام ، فإن تفسيرها على هذا النحو لا يمكن أن يستقيم مع أسلوب القرآن .

(١) أهل مكة .

(2)The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, by Edward Gibbon,Vol. VI, p. 245.

ضعيفا . وبينما كان محمد يدعو بدعوة السلم والرحمة أخرجه قومه من دياره وماله بغيا وعدوانا » . ذلك ، وقد بينّا ، فيما مرّ ، أوضح بيان أن المسلمين أثناء مُقامهم بمكة لم يتمتعوا بالأمن ولا بالأمان، فقد أنكر أهل مكة عليهم حرية الاعتقاد على رغم أنهم كانوا مواطنين مسالمين عديمى الضرر . كذلك فقد أُخْرِجوا من ديارهم تاركين أهليهم وأموالهم فى أيدى مضطهديهم ، الذين منعوهم من العودة إلى مكة وصدوهم عن المسجد الحرام ، وفوق ذلك هاجموهم فى المدينة بقوة السلاح .

١٩ - مبرّرات حمل المسلمين السلاح فى وجوه أعدائهم :

لقد كان اضطهاد قريش للمسلمين الأوائل قائما على أساس دينى ، إذ لم يكونوا ليسمحوا لهم أن يتخلّوْا عن دين آبائهم ويعتنقوا الإسلام . بل لقد بلغت شدة تعصبهم عليهم أن عذبوا بعضهم لينبذوا دينهم الجديد ويعودوا كفاراً كما كانوا . « إن قتل إخواننا وانتزاع أموالهم ومصادرة حرياتهم وحقوقهم لمجرد عبادتهم خالقهم على النحو الذى يَرَوْن أنه ينبغى عبادته به وفى الوقت الذى لم يضروا فيه المجتمع ولا أحداً من أفراده لممّا يتعارض بوضوح مع كل مفاهيم العدالة والإنسانية ، لأن معنى ذلك أننا نعاقب ناسا لم يؤذونا . وحتى لو كانوا أخطأوا فإنهم يستحقون منا الشفقة » [١] .

---

(1) Archbishop Secker's Works, III, p. 271 .

لقد كان للمسلمين الأوائل كل حق من الحقوق الدولية فى رفض اضطهاد المكيين وتعصبهم ، وفى تأكيد حقهم فى الحياة بالقوة ، وفى التمتع بحريتهم الدينية وبممارسة شعائر دينهم دونما عائق .

٢٠ ـ أول عدوان بعد الهجرة لم يقع من محمد :

يقول بعض كتاب السيرة النبوية من الأوروبيين : « إن الاعتداءات الأولى بعد الهجرة إنما وقعت من جانب محمد وأتباعه، أما أهل مكة فإنهم لم يلجأوا إلى السلاح إلا دفاعا عن أنفسهم بعد أن تكرر قطعُ الطريق على قوافلهم ونَهْبها وأريقت بسبب ذلك الدماء » (١) ، ولكن هذا غير صحيح ، فقد كان المعتدى فى المقام الأول هو قريشا ، التى تابعت اضطهادها للمسلمين بالهجوم على البلد الذى أوى إليه الرسول وأتباعه كما وضحت آنفا . وحتى لو سلمنا بأن المسلمين كانوا أول من بدأوا بالعدوان بعد الهجرة ، ألم تكن تلك الهجرة أو الطرد من بلادهم فى حد ذاته (بغض النظر عن الاضطهادات والمظالم السابقة فى مكة) سببا كافيا لأن يبدأ المسلمون الحرب حرصا منهم على تأمين حريتهم فى اختيار ما يريدون من دين وعلى حماية أنفسهم وأقاربهم من اعتداءات جديدة ؟

إن سير وليم موير يقر بأن مثل هذه الاعتداءات يسوّغها بالتأكيد

(1) Sir W. Muir, II, p. 265 .

طرد المسلمين من مكة [١]. أما ميجور ڤانس كيندى فإنه يقول : « يمكن القول إنّ محمدا فى هذه الحروب كان هو المعتدى ، إذ حاول عقيب الهجرة أن يقطع الطريق على قوافل مكة . إلا أن العدوان الأول بلا مراء إنما هو تآمر قريش على اغتيال محمد . وبعد أن فرّ من مكة نجاةً بحياته فإنه هو وأتباعه قد سُلبوا ممتلكاتهم ، واضطُروا أن يعتمدوا فى معاشهم على أرْيَحيّة أهل المدينة ، مما لا يمكن معه لعاقل أن يتوقع منهم سماحهم لقوافل أعدائهم أن تمر بسلام » [٢].

٢١ ـ مناقشات حالات الاعتداء المزعومة :

ليس ثمة دليل على أن محمدا بعد الهجرة قد بدأ بالعدوان على قريش عن طريق مهاجمة قوافلها ، فالادعاءات التى تتعلق بقطع المسلمين الطريق على قوافل أعدائهم لا يعضدها أى من الرّوايات الصحيحة الموثوق بها . كذلك فإن هذه الادعاءات نفسها تتضمن من الأدلة ما يشهد ببطلانها ، فأهل المدينة قد التزموا بأن يردوا عن الرسول العدوان لا أن ينضموا إليه فى أى إجراء عدوانى

(1) Life of Mahomet, Vol. III, p. 79 .

(2) Remarks on the Character of Mohammad,by Major Vans Kennedy . *Vide* Transactions of the Literary Society of Bombay for 1821, Vol. III, p. 453, reprint Bombay, 1877 (وهى دراسة أوحت بها مسرحية ڤولتير عن محمد) .

ضد قريش [١]، مما كان سيسبب لهم الكثير من المشاكل .

٢٢ ـ سرايا حمزة وأبى عبيدة :

وما يقال عن السرايا التى قادها حمزة وأبو عبيدة ضد القوافل القرشية التى تمكنت من الإفلات هو فى حد ذاته بعيد الاحتمال ، فمحمد لم يكن ليرسل خمسين أو ستين رجلا ليقطعوا الطريق على قافلة يحرسها مائتان أو ثلاثمائة .

٢٣ ـ سرايا الأبواء وبواط وذى العشرة :

وكذلك ما يقال عن سرايا الأبواء وبواط وعشيرة ، التى قادها محمد بنفسه لنهب القوافل المكية ولكنها فشلت ، فإنه لا يقوم على أى أساس ، إذ لو صح أن محمداً ذهب إلى هناك لكان ذهابه للتوصل إلى اتفاقيات ودية مع بنى ضمرة وبنى مدلج كما ذكر كُتّاب سيرته أنه فعل [٢].

---

(١) لم يرسل محمد مسلمى المدينة فى سرايا عدوانية ضد قريش قبل أن تقع بينه وبينهم الحرب فى بدر ، وذلك لأنهم قد التزموا بحمايته فى المدينة فقط (كاتب الواقدى / ص ٤٨ و Muir's Life of Mahomet, Vol . III, p. 64, note) .

(٢) كاتب الواقدى/ ١١/٢ ٩٨ . ولم تُذْكَر بنود الاتفاق إلا على نحو مجمل ، وهى « ألا يشنّ أى من الجانبين حربا على الآخر أو يساعد عليه أعداءه . أما الرواية التى نقلها فايل والتى تلزم بنى ضمرة وبنى مدلج أن يقاتلوا فى سبيل الدين فإن من الواضح أنها مشكوك فى صحتها وقائمة على غير أساس . وكذلك لم يذكرها كاتب الواقدى فى باب المعاهدات » (Muir's Life of Mahomet, Vol. III, p. 64, note) .

٢٤ ـ حادثة نخلة :

إن ما جاء فى الرّوايات عن الجماعة التى قصدت نخلة بقصد النّهب يخالف بعضه بعضا ولا يمكن الثقة به . وحتى الآية التى يذكر كُتّاب السيرة النبوية أنها قد نزلت بهذه المناسبة والتى استشهدت بها من قبل (*) تشير إلى قتال المكيين للمسلمين ، وهو ما يتعارض مع ادعاء كُتّاب السيرة الأوروبيين الذين يجعلون ذلك عملا عدوانيا من جانب محمد . يجوز أن محمداً قد أرسل فرقة استطلاع من ستة أو ثمانية أشخاص لإتيانه بأخبار وتحركات قريش ، التى أصبح موقفها من محمد منذ هجرته إلى المدينة أكثر عدوانية . ولقد كان لقريش طريق تجارى إلى الشام سالك ومنتظم ، ومن ثَمّ كان من المعقول أن يأخذ محمد حذره ، فقد كان على أية حال دائم اليقظة . ويذكر ابن اسحاق وابن هشام (١) والطبرى (٢) وابن الأثير فى « الكامل » (٣) والحلبى فى « إنسان العيون » (٤) أن محمدا قد سلّم عبد الله بن جحش تعليمات مكتوبة مُفَادها أن « تَعَلَّمْ لنا من أخبارهم » . كما يذكرون أيضا أن محمداً لم يَرْضَ عما فعله عبد الله عند نخلة وأنه قال : « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » . وهم كذلك يرون أن محمدا قد وَدَى القتلى أيضا .

(*) آل عمران / ٢١٤ . وقد استشهد المؤلف بها فى الفقرة ١٦ .

(١) ص/ ٤٢٤ . (٢) جـ ٢ / ص ٤٢٢ .

(٣) جـ ٢ / ص ٨٧ . (٤) جـ ٣ / ص ٣١٨ .

٢٥ ـ لم يأت محمد إلى بدر إلا بغرض الدفاع عن نفسه :

يزعم بعض كُتّاب السيرة الأوروبيين أن غزوة بدر كان سببها محمدا نفسه ، وتراهم يترددون فى العثور على عذر له فى دفاعه عن نفسه ضد قريش ، التى خرجت فى أعداد متفوقة لمهاجمته عند بدر، وهى لا تبعد عن المدينة أكثر من ثلاث مراحل . وثمة ادعاء بأن محمدا كان ينوى أن يهاجم القافلة العائدة من الشام يقودها أبو سفيان عدوه اللدود ، ومن ثم فقد زحف على رأس ثمانين من المهاجرين ومائتين وخمسة وعشرين من الأنصار ونزل عند الصفراء يتربص بالقافلة . غير أن أبا سفيان ، وقد علم بنية محمد ، قد أنفذ إلى مكة من يطلب النجدة فخرجت قريش بتسعمائة وخمسين محاربا لإنقاذ العِير التى استطاعت فى تلك الأثناء أن تمرّ سالمة ، فعقدت قريش عندئذ اجتماعا لترى أتعود أم تمضى للحرب . ويروى المؤرخون أن خلافا وقع : فبعضهم رأى أن القافلة التى خرجوا من أجلها قد نجت ، ومن ثم فينبغى أن يعود الجيش أدراجه ، على حين كان من رأى الآخرين المضىّ قُدُما . عندئذ رجعت قبيلتان إلى مكة وواصل الباقون زحفهم . إلا أنه مما يجافى الإنصاف الزعم بأن محمدا قد نَفَرَ من المدينة ابتغاء مهاجمة القافلة ، إذ لو كانت هذه نيته لما خرج معه الأنصار، الذين لم يكونوا عاهدوه إلا على حمايته فقط . لكن خروجهم بهذا العدد الكبير الذى يبلغ أكثر من ضعف

عدد المهاجرين دليل قوى على أنهم كانوا قد خرجوا دفاعًا عن النفس .

لقد خرج محمد من المدينة ليصد زحف قوات قريش التى بلغته أنباؤها فقابلها فى بدر على مبعدة ثلاثة أيام من المدينة . وكان الجيش المكى قد سار من مكة صوب المدينة تسعة أيام ، وتقابل الجيشان فى بدر فى السابع عشر من رمضان (*) بعد أن غادر القرشيون مكة فى الثامن منه (**) ، على حين لم يبدأ محمد زحفه إلا فى الثانى عشر من الشهر نفسه ، أى بعد أن كان جيش مكة قد غادرها بأربعة أيام . فلو افترضنا أن أبا سفيان كان لديه ما يدعو إلى التخوف من هجوم يأتيه من المدينة فأرسل إلى مكة يطلب النجدة ثم لم يعد هناك من داع للجيش ، إذ إن القافلة التى خرجت قريش لإنقاذها قد مرّت سالمة ، لقد كان ينبغى على قريش أن تعود على أعقابها فى الحال . إن كون محمد قد خرج من المدينة بعد خروج قريش من مكة بأربعة أيام لدليل قوى فى صالحه .

٢٦ ـ لو أن أول عدوان بعد الهجرة وقع من جانب محمد لكان من الإنصاف النظر إليه على أنه قصاص :

وحتى لو وافقنا على أن أول عدوان بعد الهجرة إنما وقع من جانب محمد وأن عددا من قوافل قريش قد قُطِع عليها الطريق

(*) الموافق للثالث عشر من يناير ٦٢٣م .

(**) الموافق للرابع من يناير ٦٢٣م .

وسُلبت وأن دماءً أريقت من جرَّاء ذلك ، فإنه مما يجافى العدل أن ندين محمدا ، إذ الإنصاف يقتضينا أن نعدّ هذه الهجمات ، لو كانت قد حدثت ، نوعا من القصاص للقسوة التى عومل بها المسلمون قبل الهجرة من مكة ، « فإن الحرب العامة هى حالة من العداوة المسلحة بين أمتين أو حكومتين ذواتَىْ سيادة ، وإن القانون الذى يحكم الوجود فى جماعة متمدنة يقضى بأن يعيش الناس فى مجتمع سياسى له صفة الاستمرار ، مكونين بذلك وحدات منظمة تُدْعَى دولا أو أمما أفرادها يتحملون الشدائد معا ، وينعمون ويقاسون معا ، ويتقدمون ويتقهقرون معا ، فى السلم والحرب . وعلى هذا فالمواطن الذى ينتمى إلى بلد معادٍ يُعَدّ عدوا بوصفه فردا من أمة الأعداء أو دولتهم ، ومن ثم فهو عُرْضة لما تستتبعه الحرب من ويلات » [1] . وهناك قاعدة شبه عامة كانت سائدة منذ أقدم الأزمنة وما زالت مستمرة إلى اليوم بين الأمم المتبربرة تقضى بأن الذى ينتمى إلى بلد معاد ، حتى لو لم يتولَّ منصبا أو عملا عامًا ، مقضىّ عليه بمقاساة الحرمان التامّ من حريته ومن كل لون من ألوان الحماية وكل شكل من أشكال الروابط الأسرية . بيد أن محمدا كان يَحْمِى من لم يشاركوا من أعدائه فى أعمال العدوان أو لم يكونوا يتولون منصبا أو عملا عاما ، بل إنه قد شمل بحمايته

(1) Contributions to Political Science, by Francis Lieber, LL.D., Vol.II of his Miscellaneous Writings, p. 251, London, 1881.

أيضا هؤلاء الذين خرجوا إلى بدر للحرب على مضض . كذلك فإنه دعا إلى الرأفة ببعض من أفراد الجيش القرشي في بدر ، وكان من بينهم أبو البختري وزمعة والحارث بن عامر والعباس وآخرون من بني هاشم .

اليهود

٢٧ ـ اليهود ينقضون ما عاهدوا عليه :

عقد محمد أول ما وصل إلى المدينة معاهدةَ تحالفٍ مع اليهود ضمنت لهم حريتهم الدينية ، كما ضمنت لهم حقوقهم وممتلكاتهم . وقد نُصَّ فيها على أن كلا الجانبين عليه أن يهُبَّ لنصرة الآخر متى اعْتُدِيَ عليه وأن المدينة بالنسبة لجميع المشتركين في المعاهدة تُعَدُّ بلدا آمنا لا تُنْتَهَك حُرْمته . إلا أن اليهود لم يحفظوا العهد بل خرجوا عليه وأعانوا الأعداء أثناء حصار المدينة ، مجترحين بذلك جريمة الخيانة .

٢٨ ـ بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة وخيبر وغطفان :

وكان أولَ من نقض المعاهدة بنو قينقاع ، الذين حاربوا محمدا بين غزوتي بدر وأُحُد . أما بنو النضير فقد خرجوا على الاتفاقية بعد هزيمته في أحد [١] ،كما قاموا بمؤامرة تستهدف حياته فأُخْرِجوا

(1) Hishamee, p.545 , Gottengen, 1859, or the Life of Muhammad , by Abd el Malik ibn Hisham, London, Trübner and Co., 1867.

من المدينة حيث ذهب فريق منهم إلى خيبر . وكذلك انشقت بنو قريظة على العهد الذى كان بينهم وبين محمد وجرت مفاوضات بينهم وبين الأعداء أثناء غزوة الخندق والمدينة تحاصرها قريش ومعها القبائل البدوية . وقد حاصر محمد بنى قريظة بعد ذلك حتى استسلموا على أن يَحْكُم فيهم سعد ، الذى أصدر ضدهم حكماً دمويا . أما يهود خيبر (ويشملون بنى النضير) وبنو غطفان ، الذين كانوا قد حاصروا المدينة مؤخرا مع قريش أثناء غزوة الخندق ، فإنهم قد تحالفوا ضد محمد[1] وأخذوا يستعدون للهجوم على المدينة ، إلى جانب ما كانوا يقومون به من تحريض لبنى فزارة وغيرهم من القبائل البدوية على أعمال السلب والإغارة ، كما انضموا إلى بنى سعد بن بكر لمهاجمة المدينة ، غير أنهم تم إخضاعهم فى خيبر ودفعوا الجزية لقاء ما قُدِّم لهم من حماية .

٢٩ ـ ما ورد بشأنهم فى القرآن :

وقد ذُكرت خيانة بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وأهل خيبر فى القرآن فى الآيات التالية : ﴿ الذين عاهدتَ منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة ، وهم لا يتقون * فإما تَثْقَفَنَّهم فى الحرب فشرِّدْ بهم مَنْ خلفهم لعلهم يذَّكَّرون * وإما تخافَنَّ من قوم

(١) ابن هشام / ص ٧٥٧ .

خيانة فانبذ إليهم على سواء . إن الله لا يحب الخائنين * ولا يحسبنّ الذين كفروا سبقوا . إنهم لا يُعجزون * وأعِدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رِباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظْلَمون * وإن جنحوا للسَّلْم فاجنح لها وتوكل على الله . إنه هو السميع العليم * وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حَسْبَك الله . هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألَّفَ بين قلوبهم . لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألَّفْتَ بين قلوبهم ، ولكن الله ألَّف بينهم . إنه عزيز حكيم * يا أيها النبى ، حَسْبُك الله ومن اتبعك من المؤمنين * يا أيها النبى حرِّض المؤمنين على القتال ... ﴾ (الأنفال / ٥٦ ـ ٦٥) .

﴿ وأنْزَل الذين ظاهروهم(*) من أهل الكتاب(**) من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب : فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ﴾ (الأحزاب / ٢٦) .

﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما

(*) أى ظاهروا الأحزاب .

(**) المقصود بأهل الكتاب هنا اليهود .

حرّم اللهُ ورسوله ولا يَدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب [١] حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ (التوبة / ٢٩) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، قاتلوا الذين يلُونكم من الكفار ، ولْيجدوا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ (التوبة / ١٢٣) .

٣٠ ــ حكم سعد :

نزل بنو قريظة باختيارهم على حكم سعد ، وكان من حلفائهم الأوس ، فكان أن حَكَمَ بقتل الذكور منهم ، فقال له محمد مستنكرا : « لقد حَكَمْتَ بحُكْم المَلِك » . يقصد بذلك « ملكا مستبدا » . وأصحُّ ما جاء في البخارى متعلقا بهذا الأمر تَرِدُ فيه كلمة « ملَك » (كتاب الجهاد) ، وإن كان راوى الحديث في ثلاثة مواضع أخرى منه (كتاب المناقب والمغازى والاستئذان) لا يدرى أهى « الله » أم « مَلِك » . وفى « صحيح مسلم » نجد أيضا

(١) المقصود بذلك اليهود ، إلا إذا كانت الآية تتحدث عن غزوة تبوك . ويصف سير وليم موير ذلك بأنه إعلان للعداء ضد اليهود والنصارى ، ويقول : « إن ما أعلنه محمد عن حرمان اليهود والنصارى من دخول المسجد الحرام وممارسة الشعائر الدينية فيه لعدم أهليتهم لذلك لتبيّن بجلاء تعصب الإسلام المتصاعد ضدهم وعمله على عزلهم . ويبينه كذلك الأمر بشن الحرب عليهم حتى يعطوا الجزية اعترافاً منهم بأفضلية الإسلام » (The Life of Mahomet, Vol.II, p. 289) .
بيْدَ أن الأمر بالقتال الذى يشير إليه سير وليم موير إنما يتعلق بمعاملة أولئك الذين حملوا السلاح ضد المسلمين ، وليس هناك حرمان لليهود ولا النصارى من دخول المسجد الحرام . بل إن النبى ، على العكس من ذلك ، قد أنزل فى مسجده نصارى نجران حين وردوا عليه فى المدينة فكانوا يؤدون صلاتهم داخله .

كلمة « مَلك » ، بينمـا فى مـوضع واحـد لا يُذْكَر الحكم على الإطلاق. إنما كان ذلك حين ذَكَر الرواةُ سعداً بخير ، إذ أوردوا أن محمدا قد قال إن سعداً قد حكم بحكم مَلَك . أو ربما فهم بعض رواة الحديث كلمة « ملك » بمعنى « الله » ، ومن ثم ذكروا لفظة « الله » فى روايتهـم . غيـر أن محمـداً لـم يذكـر مطلقـا كلمة « مَلَك » ولا « مَلِك » مقصوداً بهـا الله مجـازاً ، بل قال ببساطة : « مَلِك » بمعنى حاكم .

٣١ ـ الطابع الدفاعى للحملة التى أُرسلت إلى يهود خيبر :

لقد كانت الحملة التى وُجِّهت إلى يهود خيبر دفاعية بحتة ، إذ بعد أن انضم إليهم بنو النضير وبنو قريظة إثر إخراجهم من المدينة لما اجترموه من خيانة فى حق جماعة المسلمين أخذوا يؤلِّبون القبائل المحيطة للإغارة على المدينة . كما أنهم قد تحالفوا مع بنى غطفان ، الذين كان لهم دور بارز فى حصار المدينة أثناء غزوة الخندق ، على أن يشنوا عليها هجوما مشتركا . لقد حرّضوا ، وبخاصة زعيمهم أبو الحُقَيق، بنى فزارة وغيرهم من قبائل البادية على القيام بغارات على المدينة، واشتركوا فى العدوان على المسلمين مع بنى سعد، وهم فرع من هوازن كانوا مع الأحزاب الذين حاصروا المدينة. وكانت تربط أُسَيْر بن زارم زعيم بنى النضير فى خيبر، مثلما كانت تربط زعيمهم

السابق ، اتفاقية مماثلة مع بنى غطفان على مهاجمة المدينة . وكان بنو غطفان هؤلاء ، وكذلك بنو فزارة وبنو مرة ، وهما فرعان منهم ، لا يكفون عن العيث فساداً فى الأرض حول فَدَك على مقربة من خيبر . لقد استمروا زمنا طويلاً يفزعون المدينة بإغاراتهم المتكررة . وفى العام السابع للهجرة أتت محمداً فى الوقت المناسب أنباء عما تقوم به خيبر وغطفان من استعداد مشترك فزَحَف بقواته فى الحال إلى خيبر ليدفع العدوان ونزل بالرجيع بين خيبر وغطفان حتى لا يمكّنهما من التجمع معًا والتعاون ضده . أى أن ذلك لم يكن بالغزو المفاجىء ضد قوم مسالمين كما يصفه سير وليم موير ، الذى كتب يقول : « من الجائز أن محمداً كان ينتظر أى عمل عدائى تقوم به يهود خيبر (وكانت خيبر تضم أخصب أرضيهم وقراهم التى كان محمد قد وعد بها أتباعه) أو أىٌ من حلفائهم ليتخذه ذريعة لمهاجمتهم. أما ولم تسنح له فرصة كهذه فقد عزم ، فى الخريف من هذه السنة ، على أن يقوم بغزو أرضيهم غزوا مفاجئا ليس له ما يبرّره » [١] . وهكذا يتضح من خلال ما ذكرت أن غزو خيبر كان فى حقيقته دفاعيا محضا .

(1) Life of Mahomet . Vol.V, p. 61 .

المسيحيون أو الرومان

٣٢ ـ تبوك ، الحملة الأخيرة :

كانت تبوك هى آخر غزوات محمد ، وهى أيضا دفاعية محضة، فقد حدّث المسافرون والتجار العائدون من الشام بأن جيشا كبيرا يحتشد على حدود الشام ، وأن الجنود قد حصلوا من الإمبراطور الرومانى الذى كان آنئذ فى حمص على مرتب سنة مقدما بغية التجهيز لحملة طويلة ، وأن قبائل بادية الشام ، وهم بنو لخم وجذام وعاملة وغسان ، قد تجمعوا حول الأعلام الرومانية ، وأن طليعة الجيش قد وصلت إلى البلقاء ، فقرر محمد من فوره أن ينهض لهذا الخطر ، ولكنه عندما وصل إلى مشارف حدود الشام لم يجد ما يعترض طريقه من قوات حربية ، ولم يكن ثمة ما ينبئ بخطر متوقع، ولهذا فقد عاد بجيشه إلى المدينة ، وكان ذلك فى العام التاسع من الهجرة .

٣٣ ـ الخلاصة :

وبهذا نأتى إلى ختام الحديث عن السمة التى اتصفت بها حروب الرسول كلها ، وآمل أن أكون قد بيّنت بالأدلة القوية المقنعة، وعلى أساس من أصح المصادر وأوثقها ، أن تلك الحروب لم تكن حروبا هجومية أو عدائية ، بل على عكس ذلك كانت تستهدف

الدفاع ورد العدوان . ذلك أن المسلمين الأوائل قد أوذوا بسبب إيمانهم بالدين الذى جاء به محمد ، إذ حرموا من حقوقهم المدنية والدينية وأُخرِجوا من ديارهم وأموالهم ، كما اعتُدىَ عليهم بلا مسوّغ من قِبَل القرشيين وحلفائهم ، وكذلك من قِبَل اليهود وغيرهم من القبائل . فالمسلمون إذن لم يحاربوا بغية الانتقّام ولا ليفرضوا دينهم بقوة السلاح أو ينهبوا القوافل التى كانت تمرّ على مقربة من المدينة ، وهم لم يُعْطَوُا الإذن بالقتال إلا لأنهم بُدئوا بالعدوان وظُلموا وأُخْرِجوا من ديارهم بغير وجه حقّ ، ومن ثم فقد امتشقوا السلاح فى وجه هؤلاء الذين اضطروهم أولا إلى الفرار من وطنهم ثم هاجموهم بعد ذلك أيضا ، فكان امتشاق المسلمين السلاح متفقاً تماماً مع القانون الذى تأخذ به الأمم ومع قانون الطبيعة المقدس . لقد عاهد أهل المدينة محمداً على أن يحموه من أعدائه ، ومن ثم فإنهم لم يكونوا ليخرجوا أو يسمحوا لمحمد وأتباعه أن يخرجوا لنهب القوافل القرشية التى كانت تمر قريبا من المدينة.

التعصب

٣٤ ـ محمد لم يَدْعُ قط إلى التعصب :

يخطىء أشد الخطأ من يقول إن واجب المسلمين الأوحد هو أن يصبوا الانتقام الإلهى على غير المسلمين ، وأن هؤلاء لا بد أن يُقْتَلُوا

إلا إذا دفعوا الجزية ، وحينئذ يُخلّى بينهم وبين المضى فى طريقهم إلى جهنم دون مزيد من الإيذاء [١] ، فمحمد لم يشن الحرب على قريش أو على اليهود لأنهم لم يؤمنوا برسالته أو لأن مهمته كانت إيقاع الانتقام الإلهى بهم ، بل نجده على عكس ذلك يقول إنه ليس إلا نذيراً : ﴿ وقل : الحقُّ من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ﴾ [٢]، ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾[٣]، ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً ، فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [٤].

وحتى إبان اشتداد العداوة بينه وبين خصومه كان مسموحاً للمشركين أن يَقْدَموا عليه ويسمعوا كلام الله ، وبعدئذ يُبَلَّغُون مأمنهم [٥] . كذلك لم تكن حروب محمد من أجل الحصول من الكفار على جزية ، فإن الجزية لم تُفْرَض إلا على هؤلاء الذين قد طلبوا منه أن يحميهم . وحتى حينذاك فإنهم كانوا يُعْفَوْن من الضرائب الأخرى التى كان المسلمون يدفعونها بانتظام إلى حكومتهم . بل إن محمداً ، على العكس من ذلك كما وضحت آنفا ، لم يمتشق السلاح إلا فى سبيل الحفاظ على النفس . ولو

(1) Islam under the Arabs, by Major R. D. Osborne, London, 1876, p. 27 .

(٢) الكهف / ٢٩ .

(٣) البقرة / ٢٥٦ .

(٤) المائدة / ٧٢ .

(٥) انظر التوبة / ٦ .

أنه، بعد أن استقر فى المدينة ، لم يدفع عن نفسه الهجمات المستمرة من قبَل قريش وحلفائها لَقُضِيَ عليه هو وأتباعه قضاءً مبرمًا . لقد كانوا يحاربون دفاعًا عن حياتهم وعن حريتهم الدينية والمعنوية .

٣٥ ـ ما معنى أن تلك الحروب كانت حروبا دينية ؟

وبهذا المعنى يمكن أن يُدْعَى هذا الصراع حربًا دينية ، فإن قريشًا بدأت بالعدوان على أساس دينى ، إذ اضطهدت المسلمين وأخرجتهم من ديارهم لنبذهم وثنية أسلافهم واعتناقهم الإسلام الذى يقوم على عبادة الله الواحد الحقّ . بيْدَ أنها لم تكن حربا دينية بمعنى البدء بالعدوان على الكفار لفرض الدين عليهم بالقوة . تُرَى إلى أى مدى إذن يخطئ سير وليم موير إذ يقول إن القتال كان قائمًا على أساس دينى؟ إنه يرى أن « هذه الحروب قد سوغها «إخراج» المؤمنين من مكة ، بيد أن القصة الحقيقية والأساسية فى هذه الحرب كانت بغير خفاء هى سيادة الإسلام ، فقد كان عليهم أن يقاتلوا ﴿ حتى يكون الدين كله لله ﴾ » [1] .

٣٦ ـ شرح الآيات التى يُزْعَم أنها تحض على التعصب :

إن الآيات المومأ إليها فى النص السابق هى : ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا . إن الله لا يحب المعتدين *

(1) The Life of Mahomet, Vol. III, p. 79 .

واقتلوهم حيث ثَقِفْتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين * فإن انتهَوْا فإن الله غفور رحيم ﴾ (البقرة/١٩٠ ـ ١٩٢) . وهذه الآيات جميعا ، وبخاصة الأخيرة، تبين أن هذه الحروب إنما قامت للحفاظ على النفس ، ولضمان السلام وحرية الاعتقاد ، ولمنع الفتنة . وبمنع الفتنة أو القضاء عليها يتحرر دين المسلمين من التعصب الذى يُصَبّ على أتباعه لإكراههم على العودة إلى الوثنية ، أو بعبارة أخرى ليكون الدين كله لله . أى أنكم حين تتحررون مما تلاقون من الاضطهاد فلا تُجْبَرون على عبادة الأوثان ونبذ الإسلام فإن دينكم يصبح آنئذ حرا خالصاً ولن يساوركم خوف من أن تُكْرَهوا على الإشراك بالله . وقد تكرر هذا المعنى ذاته فى سورة الأنفال : ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا (١) يُغْفَر لهم ما قد سلف ، وإن يعودوا (٢) فقد مضت سُنّة الأولين (٣) * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ (أى حرب أهلية أو اضطهاد) ويكون الدين كله لله ، فإن انتهَوْا فإن الله بما يعملون بصير ﴾ (الآيتان ٣٨ ـ ٣٩) .

(١) أى ينتهوا عن العدوان عليكم واضطهادكم ومنعكم من دخول دياركم وزيارة المسجد الحرام .

(٢) أى إن يعودوا ثانية إلى قتالكم والاعتداء عليكم .

(٣) الأولون هنا هم الذين هزموا فى بدر .

وهكذا يستبين أن القتال المأمور به ضد قريش إنما قد شُرِع عند عدم كفها عن العدوان ، إذ كان هدفه مقصورا على منع ما تثيره الفتنة والقضاء عليه . وعندما يتمكن المسلمون من إحباط تعصبها ضدهم ووضع حد لاضطهادها لهم يصبح الدين كله لله ، أى لا يُكْرَه المسلمون على الإشراك بالله شيئا .

٣٧ ــ الاستشهاد بسير وليم موير :

يقول سير وليم موير عند استعراضه للفترة المدنية ، فى آخر فصل عقده لمحمد وشخصيته ، إن « التعصب والقوة قد حلا سريعا محل الحرية والإقناع وأصبح شعار الإسلام : ﴿ اقتلوهم (أى المشركين) حيث ثقفتموهم ... وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ »[1]. بيد أن موير يناقض نفسه ، إذ أقرّ فى الصفحة ١٣٦ من الجزء الرابع من كتابه بأن النهج الذى اتبعه محمد فى المدينة كان يقوم على ترك التحول إلى الإسلام يتم تدريجيا بغير إكراه ، وأنه اعتزم متابعة هذه الطريقة عند دخوله مكة منتصرا . وهذا نص كلامه: « لقد جعلت هذه الخطة محمداً لا يبقى طويلا فى مكة ، وعلى الرغم من أن أهلها قد قبلوا زعامته مغتبطين فلم يكونوا جميعهم قد اعتنقوا الدين الجديد بعد ولا كانوا قد اعترفوا رسميا

---

(1) The Life of Mahomet. Vol. IV. p. 319 .

بأنه رسول . وربما كان اعتزم أن يمضى فى الطريق الذى سار فيه فى المدينة فيترك الناس يتحولون إلى الإسلام تدريجيا وبلا إكراه » . كان هذا فى نهاية السنة الثامنة للهجرة ، وقد مات محمد فى السنة الحادية عشرة، ومن ثَمّ يثور السؤال الآتى : متى كان ذلك التحول المزعوم إلى التعصب ؟ وبأى حق يقول سير وليم موير إن هذا التحول يرجع إلى الوقت الذى وصل فيه محمد إلى المدينة ؟ إنه فى حديثه عما اتخذ محمد من إجراءات فى السنة الخامسة للهجرة ضد يهود بنى قريظة ، الذين كانوا قد ارتكبوا جريمة الخيانة ضد سكان المدينة، يقر بأنه حتى ذلك التاريخ لم يمارس الضغط على الناس كى يدخلوا فى الإسلام ولا قام بمعاقبتهم إذا لم يعتنقوه . وهذا كلامه نصًا : «إن الأسباب الظاهرية التى تذرّع بها محمد كانت سياسية محضة ، فإنه حتى ذلك الحين لم يضغط على أحد ليدخل فى الإسلام ، ولم يعاقب أحداً إذا لم يعتنقه » [1]. وفى أحد الهوامش يذكر « أنه كان لا يزال يكرر ما أُوحىَ إليه فى مكة : ﴿ وما أنا إلا نذير مبين ﴾ مما سيتضح فى الفصل التالى » . أكثر من ذلك أن سير وليم موير يقر فى هامش بالصفحة ٣٢ من الجزء الثالث بـ«أننا لا نجد حتى ذلك الحين أى تطور بارز لعزم محمد على فرض دينه بالقوة على الآخرين، فلقد كان من الخطورة بمكان ، وحالة الأطراف كما كانت عليه ، أن يعلن هذا المبدأ » .

(1) The Life of Mahomet , Vol. III . p. 282 .

٣٨ ـ التعليق على هذا النص :

يتضح مما مرَّ أن سير وليم موير يقرُّ بأن محمداً فى الفترات الثلاث المتمايزة التى تنقسم إليها إقامته فى المدينة (وهى السنتان الأوليان ، ثم إلى السنة الخامسة ، ثم إلى السنة الثامنة) لم تكن لديه أية نية على فرض دينه بالقوة ، وأنه لم يحدث أن أكره أحداً على الدخول فى الإسلام أو عاقب أحدا لعدم اعتناقه إياه ، وأن تحول الناس بالمدينة إلى الإسلام قد تم تدريجيا ودونما إجبار ، وأنه قد اتبع هذه الخطة ذاتها حين استولى على مكة . وعلى هذا فليس ثمة مكان لما يقرره سير وليم موير من غير دليل معارضاً بذلك نفسه من أنه فى المدينة « قد حل التعصب والقوة محل الحرية والإقناع » ، فحتى نهاية العام الثامن للهجرة حين فتحت مكة لم يقع باعتراف الجميع أىّ اضطهاد أو تضييق لفرض الدين على أحد . وقد لفظ محمد أنفاسه الأخيرة فى أوائل العام الحادى عشر للهجرة ، وفى غضون هاتين السنتين الفاصلتين لم يُسْمَع للحرب دوىّ ، واستمرت الوفود تَقْدَم على الرسول من جميع أنحاء شبه الجزيرة ، ولم يُسْمَع بمثال واحد وقع فيه تعصب أو اعتنق أحدٌ الدينَ تحت ضغط الإكراه[1].

---

(١) ثمة مثال واحد فقط خلال هذه السنوات العشر الحافلة فى المدينة على عدم التسامح (أعنى إكراه الناس بحدّ السيف على الإيمان) نجح فى العثور عليه سير وليم موير ، الذى يدفعه التعصب المفرط إلى اتهام محمد بممارسة الاضطهاد الدينى أثناء مقامه بالمدينة . وأنا أشير هنا إلى بعثة خالد فى بداية السنة العاشرة للهجرة إلى بنى الحارث ، وهم قبيلة نصرانية تسكن نجران كانت قد عقدت =

إن محمداً لم يتحول ، لا عند قدومه إلى المدينة ولا فيما تلا ذلك ، عن سياسة التسامح والإقناع التى اختطها لنجاح دعوته ، فقد ظل هناك يدعو بقوة إلى احترام العقائد الأخرى ويؤكد باستمرار أنه ليس إلا مبلغا ويعلن بوضوح أنه لا مكان فى دعوته للإكراه فى الدين . وهذه هى الآيات التى أوحيت إليه فى المدينة :

= مع محمد معاهدة سلام حصلت بمقتضاها على ضمانة أكيدة بألا يُتَعَرَّض لهم فى دينهم . وعلى حسب رواية سير وليم موير صدرت التعليمات لخالد بأن يدعو القوم إلى قبول الإسلام ، فإن امتنعوا أمهلهم ثلاثة أيام ، وبعدها يهاجمهم ويجبرهم على الخضوع (Muir's Life of Mahomet, Vol. V, p. 224) ، إلا أن هذه الرواية التى ذكرها كُتَّاب السيرة النبوية غير قابلة للتصديق لأنها بينة البطلان، فإن من الحقائق المقررة أن بنى الحارث ، أو نصارى نجران ، كانوا قد أرسلوا وفداً إلى محمد قبل عام واحد فقط (أى فى السنة التاسعة للهجرة) حصل منه على ضمانات بالأمان(Muir's Life of Mahomet, Vol. II, p.299 وابن هشام / ص ٤٠١) . أمّا جعل سير وليم موير بنى الحارث طائفتين : طائفة مسيحية ، والأخرى وثنية ، وقوله إن الإجراءات التى اتخذها خالد إنما كانت موجهة إلى هذه الطائفة الأخيرة التى كانت لا تزال مرتكسة فى الوثنية ، فهو تعليل يدل على لوذعية ولكنه لا ينهض على أساس . وهو بهذا يوفق بين الرواية غير الصحيحة وبين الحقيقة المقررة من أن بنى الحارث كانت تربطهم بمحمد اتفاقية أمان وتسامح وحرية دينية .

وقد كتب موير فى الهامش : « نخلص إلى القول بأن ما قام به خالد من إجراءات كان موجها ضد من بقى من بنى الحارث على وثنيته ، وأنها لم تكن بحالٍ ضد الطائفة المسيحية منهم التى كانت طرفا فى الاتفاقية » (The Life of Mahomet, Vol. V. p. 224, foot-note) . انظر خبر تحول بنى الحارث إلى المسيحية قبل الإسلام بوقت طويل فى Hishamee ; Gibbon, Chapter XII, Vol. V, p. 207, foot-note; and Muir, Vol. I, p. cexxviii .

﴿ إن الذين آمنوا (أى المسلمين) والذين هادوا والنصـــارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (البقرة / ٦٢) .

﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين : أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولّوْا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد ﴾ (آل عمران / ٢٠) .

﴿ مـا على الرسـول إلا البـلاغ ، والله يعلم مـا تُبْدُون ومـا تكتمون ﴾ (المائدة / ١٠٢) .

﴿ قل : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . فإن تولّوْا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم ، وإن تطيعوه تهتدوا ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ (النور / ٥٤) .

﴿ لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرُشْد من الغىّ ، فمن يكفر بالطاغوت[١] ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها. والله سميع عليم ﴾ (البقرة / ٢٥٦) .

﴿ من يطع الرسولَ فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ (النساء / ٨٠) .

٣٩ ـ هدف الحروب التى خاضها محمد :

لم يكن شعار الإسلام قطّ أن ﴿ اقتلوهم (أى المشركين)

(١) اسم لصنم أو أصنام ، وبخاصة اللات والعزى ، وكانا لأهل مكة .

حيث ثقفتموهم ﴾ ، فإن هذه الآية متعلقة بالحرب الدفاعية للحفاظ على الذات فى مواجهة من امتشقوا السلاح ضد المسلمين .

وقد أوردنا الآيتين ١٩٠ من سورة «البقرة» و ٣٩ من سورة «الأنفال» فى الفقرتين ١٧ و ٣٧ ، وهما بسياقهما والغرض الذى تقصدان إليه تبينان بجلاء تام أن ما تدعوان إليه من حرب إنما قُصد به أهل مكة ، الذين كان ديّدنهم العدوان على المسلمين . وقد حددّت الآيتان الغرض من هذه الحرب ، ألا وهو القضاء على الاضطهاد والعداوات المستحكمة بين الأهلين . إلا أن سير وليم موير يترجم « الفتنة » خطأ بـ « المعارضة : opposition » ، على رغم أنه ترجم هذا الكلمة فى هامش ص ١٤٧ من الجزء الثانى بـ «الاضطهاد» ، وذلك فى ترجمته الآية التالية من سورة البروج: ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ... ﴾ . ومع أن « فتنوا »[1] مشتقة من « الفتنة » فإنى لا أدرى لم ساق ترجمتين مختلفتين للكلمة نفسها التى وردت فى الكتاب ذاته (البقرة/١٩٣ ، وسورة الأنفال / ٣٩) .

سورة « براءة »

٤٠ ـ الآيات الأولى من سورة « براءة » إنما تتعلق بالقرشيين الذين انتهكوا الهدنة :

كتب سير وليم موير ، أثناء حديثه عن إذاعة بعض آيات سورة

(١) فعل ماض مسند إلى جماعة الغائبين .

« براءة » على الناس يوم الحج الأكبر فى العام الهجرى التاسع وإشارته إلى افتتاحية السورة (الآيات ١ ـ ٧) ، أن « هذه الآيات تعدّ تتمة للخطة التى اتبعها محمد فى علاقته بمن بقُوا على الوثنية من قبائل وشعوب . وفيما خلا حالات الهدنة القليلة فقد أُعْلنت ضدهم جميعا حرب لا هوادة فيها » (١) . بيد أن هذا غير صحيح ، ويكمن الخطأ الذى وقع فيه هو ومن شايعه فى تصورهم أن الآيات الافتتاحية من سورة « التوبة » ، كما أذيعت على الناس فى نهاية السنة التاسعة للهجرة بعد فتح مكة ، تدعو إلى اطراح كل عهد أو اتفاقية مع أصحاب الأوثان ، وشن الحرب عليهم سواء داخل الأرض الحرام أو خارجها ، وأن على المسلمين « أن يقتلوهم ويحصروهم ويقعدوا لهم كل مَرْصَد » (٢) . وفى الحقيقة أن هذه الآيات لا علاقة لها بنبذ العهود بعامة ولا بإعلان حرب لا هوادة فيها ، وأنها لم تُذَعْ لأول مرة فى المناسبة المشار إليها آنفا ، فهذه الآيات التى استشهدت بها وأرفقت بها بعض الملاحظات الضرورية لفهمها (انظر الفقرة ١٧) قد نزلت للمرة الأولى قبل فتح مكة حين نقض عَبَدة الأوثان هدنةَ الحديبية . وقد ذكرت الآيات ٤ ، ٨ ، ١٠ ، ١٣ على نحو واضح انتهاكهم الاتفاقية ، ولكنها فى الوقت ذاته قد أوصت بإتمام الاتفاقيات التى لم ينقضها المشركون إلى مدتها واحترامها .

(1) The Life of Mahomet , Vol. IV, p. 211 .
(2) Islam and its Founder, by J. W. H. Stobart, B. A., p. 179, London, 1878 .

ومن ثَمّ كان من نزلت الآيات بشن الحرب عليهم ومحاصرتهم وأخذهم أسارى بعد انقضاء مهلة الشهور الأربعة التى تبدأ بإعلان الآيات إنما هم أولئك المعتدون الذين قاموا بنقض العهد وحرضوا الآخرين على امتشاق السلاح ضد المسلمين إبان هجوم بنى بكر على قبيلة خزاعة، إلا أن أبا سفيان لحسن الحظ قد استسلم قبل ابتداء الأشهر الحُرُم وقبل انقضاء مهلة الشهور الأربعة . لقد استسلم أهل مكة دون إراقة دماء ، ومن ثم فمن الواضح أن الأوامر التى تتضمنها افتتاحية سورة « براءة » لم توضع موضع التنفيذ ، بل بقيت قانوناً غير نافذ المفعول ، وأظن أنها ستبقى كذلك إلى الأبد . إن كل الكتاب الأوروبيين تقريباً فى نطاق علمى يجهدون أنفسهم متوهمين أن افتتاحية سورة « براءة » قد أُنْزلت على محمد فى العام التاسع للهجرة ، ولكن الواقع أنها نزلت فى العام الثامن ، وذلك قبل ابتداء الأشهر الحُرُم، وربما كان ذلك فى شهر شعبان، بينما زحَف محمد على مكة فى رمضان لا لشن حرب، فإن الحرب لم تكن لتقع قبل انتهاء ذى القعدة وذى الحجة والمحرم، بل لأخذ مكة بناء على تفاهم سابق بينه وبين أبى سفيان . ذلك أننا لو سلمنا بأن الآيات الأولى من سورة « براءة » قد أُنْزلت أو أُذيعت لأول مرة فى آخر شهر من السنة التاسعة للهجرة لأصبحت هذه الآيات ولا غاية لها أو هدف يمكن إدراكه ، إذ إنها تتضمن أوامر بالقيام بعمليات حربية ضد أولئك الذين قد نقضوا ما كانوا أمضَوْه من اتفاقيات وأعانوا أقواماً آخرين على المسلمين وهاجموهم هم أنفسهم . كذلك فإن هذه

الآيات تعلن الحرب على تلك القبائل التى لم يراع أفرادها روابط الدم ولا مقتضيات حسن النيات وبدأوا المسلمين بالعدوان . إلا أنه فى الوقت الذى زعم موير نزول هذه الآيات فيه (أى الشهر الأخير من السنة التاسعة للهجرة) وكذلك بعده لم يكن قد بقى كثير من أمثال هؤلاء الأشخاص، فإن الجزيرة العربية كلها تقريبا آنذاك كانت قد خضعت برضاها لزعامة محمد . وقد شهدت هذه الفترة استمرار وصول وفود من كل القبائل أعطاها صاحب الدِّين عهود أمان وصداقة ، أما قرع الطبول ودوى النفير فكانا قد تلاشيا تماماً . وعلى هذا فنحن نستطيع أن نؤكد أن هذه الآيات لم تنزل ولا يمكن أن تكون قد نزلت فى نهاية السنة التاسعة كما أكد خطأ بعض الكتاب من المسلمين والأوروبيين على السواء . ولهذه الأسباب السالفة الذكر ، فإن أنسب ظرف لنزول هذه الآيات هو نقض قريش وحلفائها هدنة الحديبية أثناء السنة الثامنة للهجرة ، مما أدى إلى استسلام مكة استسلام مهاودة ، وهو ما يجمع عليه عدد من المفسرين المسلمين . ويترتب على ذلك أن الآيات التى تأمر بإعلان الحرب على ناكثى العهود المعتدين وبعرضهم على حدّ السيف أينما ثُقفوا (أى سواء داخل الحرم أو المسجد الحرام أو خارجهما) لم تُطبَّق نظرا لسبق استسلام قريش .

قطع الطريق المزعوم على القوافل القرشية

٤١ ـ حالات قطع الطريق التسع المزعومة على القوافل القرشية :

يؤكد بعض كتاب السيرة الأوروبيين أن عددا من قوافل قريش قد قُطِع عليها الطريق فى ذهابها إلى الشام أو فى إيابها منه ، وهذه الغارات المزعومة هى كما يلى :

١ ـ بعد سبعة شهور من وصول محمد فى المدينة قامت سَرِيّة على رأسها حمزة بالإغارة على قافلة يقودها أبو جهل .

٢ ـ وبعد ذلك بشهر أُرْسِلت جماعة يرأسها عبيدة فى إثر قافلة ثانية تحت قيادة أبى سفيان .

٣ ـ وبعد انقضاء شهر آخر خرجت مجموعة ثالثة بقيادة سعد تترصد قافلة لقريش فى الطريق الذى كان متوقعا لها أن تمر فيه .

٤ ـ وبعد حوالى اثنى عشر شهراً للهجرة قام محمد نفسه بمحاولة الإغارة على قافلة لقريش عند الأبواء .

٥ ـ وفى الشهر التالى خرج محمد مرة أخرى إلى بواط لغير غرض سوى نهب قافلة كانت محملة بالبضائع الثمينة وفى خفارة أمية بن خلف نفسه .

٦ ـ وبعد مرور شهرين أو ثلاثة على ذلك انطلق محمد لمهاجمة قافلة غنية أخرى كانت قاصدة الشام ويقودها أبو سفيان .

وقد قيل إن هذه السرايا جميعها لم تلق أى نجاح ، وذلك بسبب يقظة القوافل الدائمة وتمكنها من الإفلات من المطاردة [١] .

٧ ـ وفى رجب من السنة الثانية للهجرة صدرت الأوامر لمجموعة صغيرة قوامها ستة أشخاص أن تنطلق إلى نخلة وتترصد هناك قافلة لقريش . وقد اشتبكت هذه الجماعة فى معركة عند نخلة قتل فيها رجل منها ، بينما حمل أسيران إلى المدينة مع الأسلاب ، مما أثار محمداً وجعله يقول لعبد الله بن جحش إنه لم يأمره بقتال فى الشهر الحرام .

٨ ـ كانت القافلة التى استطاعت الإفلات من مطاردة المسلمين لها (كما وضحنا من قبل فى الفقرة ٨) فى طريق عودتها إلى مكة ، وكان محمد قد توقع رجوعها فأخذ يجهز لمهاجمتها ، مما أدى إلى معركة بدر الشهيرة .

٩ ـ كل هذه الغارات التى قصد بها قطع الطريق على القوافل المكية يقال إنها وقعت أثناء السنتين الأوليين للهجرة أو قبل معركة بدر . ويبقى أن أذكر الآن خبر آخر غارة شنها المسلمون على قافلة قرشية ، وذلك فى السنة السادسة عند العيص ، وقد باءت بالتوفيق التام .

---

(١) لقد تابعت سير وليم موير فى أمر هذه السرايا . انظر The Life of Mahomet . Vol. III. pp . 64 - 69 .

٤٢ ـ استحالة وقوع هذه الغارات فى ظل الظروف التى كانت تحيط بمحمد :

لقد سبق أن شرحت (فى الفقرات ٢١ ـ ٢٤) أن هذه السرايا الأولى (١ـ ٨) لا تُعزِّز خبرَها الرواياتُ الصحيحة الموثوق فيها . كما سبق أيضا أن بيّنتُ ما يُحْتَمل أن تكون عليه طبيعة السرايا الرابعة والخامسة والسادسة . لقد كان مستحيلا أن يقوم محمد وأتباعه فى ظل ظروفهم فى ذلك الحين بأى عمل عدوانى أو يقوموا بالغارة على أية قافلة ، فإن أهل المدينة ، وهى البلد التى لجأ إليها الرسول والمهاجرون طلبا للأمان بناءً على دعوة سكانها ، قد أقسموا أغلظ الأيمان على الالتزام بحماية محمد من أعدائه حمايتَهم لزوجاتهم وأولادهم ما لم يكن هو المعتدى [١] . أما من جانب محمد فقد دخل فى معاهدة معهم على ألا نَهْب ولا إغارة[٢].

لهذه الاعتبارات كان مستحيلا أن يسمح أهل المدينة بغارات يشنها محمد بهذه الكثرة على قوافل قريش أو يغضوا الطرف عنها،

(١) « لقد التزم أهل المدينة بحماية الرسول فقط عند العدوان عليه لا بالاشتراك معه فى أية أعمال عدوانية ضد قريش » (Muir's Life of Mahomet, Vol.III , p 64) .

(٢) يروى البخارى عن عبادة بن الصامت بسلسلة إسناد قوله : « إنى من النقباء الذين بايعوا الرسول ﷺ . بايعناه على ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل النفس ولا ننهب » (صحيح البخارى / كتابا المغازى ومناقب الأنصار) .

وأكثر استحالة أن يشتركوا مع الرسول لو أنه هو وأصحابه حاولوا القيام بذلك . وحتى لو سلمنا أن أهل المدينة قد سمحوا لمحمد بمعالنة القرشيين بالعداء عن طريق امتشاق السلاح وأنهم لم يضعوا أى قيد عليه حين أغار على أراضى القبائل المجاورة وأن القوافل قد تعرضت لعدوان لا يقوم على أى اساس عادل ، فإنى أتساءل : أكان من الممكن أن يتجنبوا القلاقل التى كانوا متورطين فيها بإيوائهم الرسول ؟ لقد سبق أن عانوا طويلا من المنازعات الداخلية ، وكذلك كانت لا تزال غضة فى أذهانهم ذكرى يوم بعاث قبل سنوات قليلة وما وقع فيه من نزاع دام أصاب بلدهم بالشلل وضعضع أهله .

٤٣ ـ هذه الغارات يسوّغها ، لو كانت قد حدثت ، مبدأ القصاص:

ولنفرض أن هذه الغارات قد شنها المسلمون فعلاً على القوافل المكية كما يحكى كتاب السيرة ، أفَلَمْ تكن تسوغها الشريعة التى كانت سائدة بين العرب أو ما درج عليه العرف والقانون العسكريان قديما بين الأمم ؟ لقد ثبت فوق كل جدال أن المكيين كانوا هم المعتدين الأوائل ، وذلك باضطهادهم المسلمين وإخراجهم إياهم من ديارهم العزيزة بما لا يطاق من المضايقات ضد معتنقى الديانة الجديدة الذين كانوا يمارسون شعائرهم ممارسة سلمية . فلو أخذنا كل هذا فى الاعتبار ، وكذلك القانون الدولى والقانون الطبيعى ، فإن بإمكاننا أن نقول إن القانون والعدالة كانا كلاهما فى جانب

المسلمين حين شنوا الحرب على من آذَوْهم لاسترداد ممتلكاتهم وبيوتهم واقتصاصا وانتقاما لأنفسهم إلى أن يصلوا إلى غرضهم الذى طال سعيهم إليه عندما بدأ المكيون من جانبهم العدوان عليهم ، فإن حق الدفاع عن النفس وكذلك الضرورة الحربية يضطران هؤلاء إلى تدمير ممتلكات عدوهم وسدّ الطرق ومنافذ الاتصال التى من خلالها تزدهر تجارته ، لأنه « منذ اللحظة التى تشتبك فيها دولة مع أخرى فى حرب فإن المبدأ العام يخولها الحق فى أن تضع يدها على جميع ممتلكات العدو أيا كانت وأينما وجدت ، وأن تصادر هذه الممتلكات لاستعمالها الخاص أو لاستعمال من قام بالاستيلاء عليها » (١) .

الاغتيالات المزعومة

٤٤ ـ أمثلة على عمليات الاغتيال المزعومة :

لقد تم تنفيذ بعض عمليات القتل فى متهمين كانوا قد ارتكبوا جريمة الخيانة العظمى فى حق الدولة الإسلامية . وقد أورد كُتّاب السيرة الأوروبيون هذه العمليات وبعض حالات القتل الأخرى التى

(1) Wheaton's Elements of International Law , p. 419 , Boston, 1855, Lieber's Miscellaneous Writings; Poltical Sciene, Vol. II, p. 250, Philadelphia,1881.

لا تستند إلى سبب معقول على أنها اغتيالات ارتُكبَت برضا محمد وتدبيره . وهذه الحالات يبلغ عددها خمسا أو ستًا ، وقد وصفت بأنها اغتيالات لأنه لم تكن ثمة محاكمة للمتهمين يشرف عليها قاضٍ ومحلّفون أو محكمة عسكرية منظمة . وقد نفذت عقوبة القتل في هؤلاء الأشخاص بسبب العداوة الشخصية أو لارتكابهم في حق الدولة جريمة الخيانة العظمى ، وهو ما لا يمكن اغتفاره . غير أنه لا يمكن القول ، كما سأبين بعد قليل ، أن ما يسمى بعمليات الاغتيال هذه قد أقرها محمد أو أنها قد تمت بتحريضه وموافقته .

والأمثلة المزعومة هى :

١ ـ عصماء بنت مروان ٢ ـ أبو عفك ٣ ـ كعب بن الأشرف ٤ ـ خالد بن سفيان ٥ ـ أبو رافع ٦ ـ أُسيْر بن زارم ٧ ـ محاولة اغتيال أبى سفيان .

٤٥ ـ الاستشهاد بمستر پول :

وقبل استعراض ما فى كل حالة من هذه الحالات من صدق أو زيف فإنى سأستشهد بمستر ستانلى لين پول ، الذى كتب بما عرف عنه من بصر ثاقب وحكم على الأشياء دقيق (وذلك فى مقدمته لمختارات مستر إ. و . لين من القرآن) ما يلى :

« يوصف عموما قتل هؤلاء اليهود الستة بأنه اغتيال بسبب أن

أحد المسلمين كان يُرْسَل فى كل مرة لقتل أحد هؤلاء المجرمين . وإن السبب لمن الوضوح بحيث لا يحتاج إلى شرح ، فلم تكن فى المدينة آنذاك شرطة ولا محاكم عادية أو حتى عسكرية ، ومن ثَمّ كان لا بد لواحدٍ من أتباع محمد أن يقوم بتنفيذ حكم الإعدام . كما كان من الأفضل أن يتم فى هدوءٍ ، فإن إعدام رجل علانيةً أمام القبيلة التى ينتسب إليها كان من شأنه أن يجر وراءه شغبا ويؤدى إلى مزيد من الدماء وعمليات الثأر إلى أن تتورط البلد كلها فى هذا الخلاف . وإذا كان « الاغتيال السرى » هو الاسم الذى يطلق على هذا العمل ، فإن الاغتيال السرى كان أمرا ضروريا لحكومة المدينة ، فهؤلاء الرجال كان لابد أن يُقْتَلوا ، وكانت هذه الطريقة هى أفضل الطرق . وأنا حين أقول هذا أفترض أن محمدا كان على علم بالأمر وأن المسألة لم تكن انتقاما شخصيا ، غير أن عدداً من هذه العمليات يفتقر تماما إلى الدليل على أنه تم بأمر من محمد أو يحوطه من الشك ما يمنعنا من تصديقه » [1].

(1) Selectians from the Kur'an, by Edward William Lane, with an Introduction by Stanley Lane Poole . Intro., P. xliv , Trübner & Co., London, 1879 .

١ ـ عصماء بنت مروان

٤٦ ـ عصماء بنت مروان :

كتب ميجور أوزبورن أن « الضحية الأولى كانت امرأة اسمها عصماء بنت مروان ، وكانت قد نظمت شعرا تتهكم فيه بالنبى وأتباعه ، مما أغضب محمدا فقال لأصحابه : « ألا آخذٌ لى من ابنة مروان ؟ » ، وأن عميرا ، وهو مسلم أعمى غيور ، قد سمع ما قاله الرسول فتسلل فى جوف الليل إلى مسكن عصماء حيث كانت نائمة هى وصغارها ، وتحسس بيده فى الظلام حتى وقعت على المرأة النائمة فأغمد من فوره سيفه فى صدرها » (١) .

لقد اختلف الكتاب العرب فى روايتهم قصة قتل عصماء ، كما أن الشواهد التى تقوم عليها هذه القصة تتعارض وتتناقض مع بعضها البعض : ففى رواية الواقدى وابن سعد وابن هشام أمر شديد الغرابة ، وهو أن الذى قتلها عُمَيّر الضرير وفى جوف الليل . ولكن كيف ينفّذ رجل كفيف عملية قتل فى بيت غريب أثناء هدأة الليل ولا يقبض عليه أحد ؟ أليس هذا أمرا غريبا ؟ أما دكتور ڤايل فإنه يذكر أن عميرا كان زوجًا سابقًا لعصماء وأن من الممكن أن هذه العملية لم تتم إلا بعد تروّ وأن أساسها ضغينة شخصية ، بينما يروى

(1) Islam under the Arabs , by R. D. Osborne, p. 60, London, 1876 .

ابن عساكر في تاريخه (انظر « السيرة الشامية ») أن عصماء كانت تبيع الفاكهة ، وأن أحد أفراد قبيلتها طلب منها شراء بعض الفاكهة الجيدة فدخلت البيت لتحضر له ما طلب ودخل هو وراءها، ولما انحنت على الأرض لتلتقط شيئا تلفّت يمنة ويسرة ، ولما لم يجد أحداً على مقربة ضربها على رأسها ضربة عنيفة أودت بها .

٤٧ ـ القصة لا تستحق التصديق :

ويمضي المؤرخون فيحكون أن عميرا قد استاء ممّا نظمت عصماء من شعر فتطوع من تلقاء نفسه بأن يقتلها [1]. وربما كانت عصماء قد ذهبت ضحية غيرة أو كراهية من قاتلها ، غير أن محمداً ليست له على أية حال يد في الأمر . لقد جعلت من نفسها خارجة على القانون ، وذلك بتحريضها أهل المدينة حتى نقضوا الاتفاقية التي كانت بينهم وبين المسلمين من بعد أن كانت حقوق المسلمين واليهود وسلطاتهم القضائية قد استقرت نهائيا . وبينما نرى ابن إسحاق لا يورد أي شيء يتعلق بموضوع عصماء ، فإن الواقدي وابن عساكر لا يذكران أن محمداً قد ضايقته أهاجيها فقال : ألا آخذٌ لي من تلك المرأة ؟ بل على العكس يروي الواقدي أن عميرا قد آلى على نفسه ليَقتلَنّها . ابن هشام وحده هو الذي يروي ، من

(1) Wakidi's Campaigns of Mohammad, pp. 172-173 , Calcutta Baptist Mission Press, edited by A. Von Kremer.

غير إسناد ، أن محمدا حين سمع أشعار عصماء تساءل : « ألا آخذٌ لى من ابنة مروان ؟ » . وهذه الرواية لا توافقها أية رواية أخرى وردتنا عن كـتـاب السـيـرة السـابقين ، ونحن من ثم لا نميل إلى تصديقها[١].

٢ ـ أبو عفك

٤٨ ـ أبو عفك :

يُرْوَى أن أبا عفك ، وهو من بنى عمرو ، قد أثار ثائرة المسلمين بتحريضه على عداوتهم وبذر بذور الفتنة ضد حكومتهم ، وذلك عندما قُتل رجل يدعى الحارث لقتله غيلةً زميلا له فى معركة أُحُد حينما كان يقاتلان جنبا لجنب . وقد أقسم أحد من أسلموا من بنى عمرو ليقتلن أبا عفك ، وهو ما فعله ، إذ انقضّ عليه على حين غرة وأجهز عليه بضربة مصمية من سيفه . وقد أورد ابن إسحاق أن محمداً قد قال مشيرا إلى أبى عفك : « من لى بهذا الخبيث ؟ » . إلا أن كتاب السيرة لا يذكرون مصادرهم التى استقَوْا منها الكلام الذى نسب إلى محمد قوله أمام أتباعه متعلقا بأبى عفك هذا . وفى الوقت ذاته ليس من العدل أن نبنى فى هذه المسألة رأيا من غير أن نُخْضِع للفحص الدقيق الشواهد التى يوردها مثل ابن إسحاق وغيره

(١) كتب سير وليم موير أن « ابن هشام » ذكر أن محمداً ، وقد غاظته أشعار عصماء، قال علانية : ألا آخذٌ لى من ابنة مروان ؟ غير أننا لا نجد فى رواية ابن هشام ما يمكن أن يعنى « علانية » هذه .

ممن فاتهم أن يخبرونا بمصادرهم الأصلية التى بنَوْا عليها تأكيدهم . وإلى جانب ذلك فالكلمات السالفة الذكر لا تُعَدُّ أمرا من الرسول قاطعا لا يقبل الرد . وحتى لو سلمنا بهذا فإنه لا يحق لنا أن نؤولها بأنها تعنى « الاغتيال » . أما سير وليم موير فيذكر أن « كاتب الواقدى قد قال بوضوح : وكان ذلك بأمر من النبى » (جـ ٣/ ص ١٣٣ / هامش) . غير أن من السهل جدا على كاتب الواقدى أو غيره من كتاب السيرة أن يطلقوا العنَان لأخيلتهم فيخترعوا من الأوامر ما لم يصدره الرسول ، وذلك على أساسٍ جدّ واهن أو على أساس غير معقول على الإطلاق ، فإن فى كتاب السيرة ميلاً إلى تبرئة صحابة الرسول على حساب الحقيقة ، وأن يسوغوا تصرفاتهم بإلقاء اللوم كله على كاهله .

٣ ـ كعب بن الأشرف

٤٩ ـ كعب بن الأشرف :

كان كعب بن الأشرف يهوديا ذا مكانة بين قومه بنى النضير ، وقد غمّه انهزام أهل مكة فى معركة بدر فانطلق بعدها إلى مكة يحرض قريشاً على الثأر لأنفسهم ، وفى طريق عودته جاهر بعداوته الشديدة للمسلمين ، فهو إذن خائن غدار ، إذ إنه لم يَكْتَفِ بنقض العهد بينه وبين المسلمين بل حرض كذلك أعداءهم على قتالهم .

ولهذه الأسباب فإنه فى نظر القانون الدولى يستحق الإعدام الذى نُفّذ فيه فى المدينة . لقد اتسمت طريقة تنفيذ الإعدام بالعنف المفاجئ أو الخداع ، إلا أن محمداً لم يصدر أية أوامر قاسية تتعلق باغتياله أو قتله . إن كعبا قد استحق عقوبة الإعدام لما ارتكبه من خيانة ، وهو ما نُفّذ ضدّه فى الحال لغياب المحاكم الشرعية التى تحكم فيها على المجرمين هيئة من المحلفين ، لأن أى إنسان فى هذه الحالة مخوّل له تنفيذ الحكم القانونى . وحتى لو سلمنا بأن الرسول قد دعا قائلا : « اللهم اكفنى ابن الأشرف بما شئت فى إعلانه الشر وقوله الأشعار» ، وأنه قال أيضا : « من لى بابن الأشرف ؟ » [1]، فإن ذلك لا يُعَدّ حكما عليه بالإعدام فضلا عن أن يكون أمراً باغتياله .

٥٠ ـ لا يمكن أن تكون لمحمد يد فى قتله :

يورد كتاب السيرة ومؤرخو غزوات الرسول عموماً فى رواية مثل هذه الوقائع تفاصيل لا تستأهل الثقة ولا التصديق ولا يصح الاعتماد عليها . ولا يذكر محمد بن اسحاق ، وكتَابه فى السيرة لايزال بين أيدينا ، أن محمداً قد دعا قطّ أن يخلصه الله من كعب أو طلب إلى أتباعه أن يقوموا بذلك ، بينما يُفْهَم من كتابات المتأخرين من كتّاب السيرة والمتقدمين أن النبى قد صادق على قتل كعب ، إذ

---

(١) ابن سعد / ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

أصدر أوامر صريحة بذلك . يقول سير وليم موير : « لا أستطيع أن أؤكد أن الرواية السابقة فوق الشك جملة وتفصيلا ، سواء ما يتعلق منها بتحريض النبى للقتلة أو بما قاموا هم به من خديعة ، فإن المشتركين فى هذه الوقائع لم يتورعوا عن تضخيم وتزيين ما فعلوا ، وذلك على حساب الحقيقة . وربما كانت هناك أيضا الرغبة فى تسويغ ما أَتَوْه من مخاتلة تشمئز منها حتى الأخلاق المتساهلة فى ذلك الوقت بإلقاء المسؤولية على كاهل النبى المعصوم. ولكن بعد أن يؤخذ هذا كله فى الحسبان يبقى لدينا ما يكفى لإثبات أن ما تم كان أسوأ صورة لعملية اغتيال وأن الأمر قد حظى برضا محمد أو بالحَرَى كان بتحريض منه » (١) . ومع ذلك فلا يوجد فى هذه المسألة دليل قوى يمكن أن يثبت تحريض محمد على قتل كعب ، فإن أفضل ما رُوِىَ عن هذه الواقعة إنما وصلنا عن جابر عبد الله(٢) وابن عباس عن طريق عكرمة (٣) . إلا أن أحـداً من هولاء ليس حجة فى الأمر ، إذ لم يشهد الواقعة أى منهم ولا سمع الرسول

(1) The Life of Mahomet , by Sir W. Muir, Vol.III, pp. 147 - 148 .

(٢) صحيح البخارى / كتاب المغازى ، وصحيح مسلم / كتاب الجهاد .

(٣) محمد بن سعد كاتب الواقدى ومحمد بن إسحاق ، والأخير فى « سيرة ابن هشام »/ ص ٥٥١ .

يعلن رضاه عن عملية القتل أو يحرض عليها، فضلا عن أنهم لم يذكروا أسانيدهم . وقد كان جابر بن عبد الله مجرد صبى فى ذلك الحين ، ولم يُسْمَح له بشهود أُحُد التى نشبت معركتها بعد إعدام كعب المزعوم ، وذلك لصغر سنه [١]. أما ابن عباس فقد كان آنئذ صغيراً ، كما كان يعيش في مكة [٢]. ويبقى عكرمة غلام ابن عباس، وكان مشهوراً بوضع الأحاديث [٣].

٤ ـ خالد بن سفيان

٥١ ـ خالد بن سفيان :

كان من جراء النكسة التى أصابت المدينة فى معركة أحد أن جُهِّزت الحشود الضخمة ضد المسلمين فى أنحاء مختلفة من الجزيرة، فبنو لحيان وغيرهم من القبائل المجاورة قد تجمعوا حول راية

---

(١) انظر « الإصابة فى تمييز الصحابة » لابن حجر العسقلانى / القسم الأول / رقم ١٠٢١ / ص ٤٣٤ .

(٢) كان ابن عباس آنئذ ابن ست سنين ، وكان يعيش فى مكة ، مما يجعل شهادته غير مقبولة.

(٣) يقول يحيى بن سعيد الأنصارى وعلى بن عبد الله بن عباس وابن المسيب وعطاء وإبراهيم بن ميسرة ومحمد بن سيرين وقاسم وعبد الله بن عمر إن عكرمة كان كذابا . انظر «ميزان الاعتدال» للذهبى ، و «الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى» لشمس الدين الكرمانى ، و «معرفة أنواع الحديث» لأبى عمر الدمشقى .

رئيسهم خالد بن سفيان مصممين على اهتبال هذه الفرصة بعد أن انقلبت موازين القوى فى أُحُد . » وقد أرسل محمد ، الذى كان يعرف أن تحركاتهم تعتمد على خالد ، عبد الله بن أنيس ومعه تعليمات بقتله » (١) . لقد تطوع هذا الرسول المفوض لأداء هذه الخدمة ونجح فى تنفيذها ، إذ أخذ خالداً على حين غرة . لكن ليس عند ابن إسحاق ولا ابن هشام ولا ابن سعد أية إشارة إلى «تعليمات» بالاغتيال . وربما كان عبد الله بن أنيس قد أُرْسِل عيْنا لاستطلاع تحركات ابن سفيان وجيشه أو للإتيان بمعلومات عنه ، إلا أنه لا يمكن إثبات أن محمدا قد كلّفه باغتيال ابن سفيان حتى على افتراض أن مهمته كانت قتله .

٥٢ ـ مسوّغات عملية القتل المزعومة :

إن القانون الدولى الذى كان سائداً بين العرب فيما يتعلق بالدول المتعادية ، وكذلك قانون الحرب والعرف الذى كان جاريا فى الأزمان القديمة ، بالإضافة إلى القانون الدولى كما كانت تعرفه أوروبا حتى القرن الماضى ، كلها تؤكد المبدأ القائل : « إن كل شىء مباحٌ فعله ضد العدو أثناء الحرب ، وإنه يجوز تدميره حتى لو كان أعزل وغير قادر على الدفاع ، كما يجوز استخدام الخداع والسُمّ ضده ، وإنه بشخصية وممتلكاته من حقّ عدوّه حقا

(1) The Life of Mahomet, by Sir W. Muir, Vol.II, p. 200 .

مطلقاً »[(١)]. إن كل صنوف الخداع ، ما عدا الغدر ، كانت تجوز ممارستها فى حالة الحرب ضد العدو . يقول بينكرشُك ، وهو مؤلف فى القانون الدولى كان خلَفًا لبوفندُرْف وسلفاً لوُلف وڤاتــل : « إنى أجوّز كل صنوف الخداع ، إلا الغدر فإنى أستثنيه ، لا لأن ثمة شيئا يَحْرُم فعله ضد العدّو ، ولكن لأننا عندما نقطع له على أنفسنا عهداً فإنه فى حدود هذا العهد لا يعد عدوًا »[(٢)] . وفى حالة خالد لم يكن ثمة غدر أو خيانة أو نقض عهد . كذلك لم يكن هناك إذْن من محمد باغتياله . كل ما فى الأمر أنه أرسل عبد الله ، إن صح أنه فعل (وهو ما لم يثبت قط) ، ضدّ ابن سفيان ، الذى قام بمختلف التجهيزات العسكرية وجمّع عدداً من قبائل البادية لمهاجمة محمد ومحاربته وقتله . وكانت هذه من محمد خطة قويمة تتوافق وتطبيقات قوانين الحرب . لقد حرّم محمد بصراحة ووضوح «الغدر والختل والغيلة» ، وكان يقول لقواده وجنوده عند انطلاقهم فى مهمة حربية: «لا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليداً»[(٣)]. وهو

---

(1) Elements of International Law , by Henry Wheaton, LL.D., sixth edition, by William Beach Lawrence , Boston, 1855, Part IV, Chapter I, p. 374, quoting Bynkershoeck; in p. 416 , quoting Bynkershoeck and Wolff .

(٢) المرجع السابق / جـ٢ / ص٤٧٠ .

(٣) صحيح مسلم / من رواية بريدة . وانظر « المشكاة » / ص ٣٣٣ .

أيضا الذى أرسى هذه الحكمة الثمينة : « الإيمان قيّد الفتك . لا يفتِكْ مؤمن » (١) .

٥ - أبو رافع

٥٣ - أبو رافع :

كان أبو رافع ، ويُدْعَى كذلك أبا الحُقَيق ، زعيما لبنى النضير. وقد حارب مسلمي المدينة وأُبْعِد إلى خيبر ، كما كان له دور بارز فى حشد معظم القبائل البدوية فى غزوة الأحزاب الذين حاصروا المدينة . ثم إنه قام بتحريض بنى فزارة وغيرهم من قبائل البدو لشن الغارات على المسلمين ، الذين أُرسِل فريق منهم لينزلوا به عقوبة ما جنته يداه ، ولقى الموت على أيديهم . إلا أن قصة قتله مملوءة بالتناقضات ، فضلا عن خلوّ جميع هذه الروايات المختلفة من الإشارة إلى أن محمداً قد أمر باغتياله . أما ابن إسحاق فلا يذكر هذه القصة بالمرة . وفى ابن هشام : « كان أبو رافع فيمن حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ... (فـ)ـاستأذنت الخزرج رسول الله ﷺ فى قتل سلام بن أبى الحقيق ... فأذن لهم » (٢) . ويحكى سير وليم موير أن محمداً قد « أصدر أمره بالتخلص من أبى الحقيق » (٣) ، بينما

(١) سنن أبى داود / كتاب الجهاد / جـ٢/ ص ٢٦ .

(2) The life of Mohammad Based on Mohommad ibn Ishak, by Abdel Malik ibn Hisham, p. 714 .

(3)The Life of Mahomet, by Sir W. Muir, Vol. IV, p. 14.

لا يذكر كاتب الواقدى ، وهو الذى ينقل عنه سير وليم موير ، أكثر من أن محمداً « أمر بقتله » . والتخلص من شخص ما يوحى بفكرة القتل خفية ، وهو ما يساوى الاغتيال ، بيْدَ أن نص الأصل لا يقول ذلك . إن « إرسال فريق لقتل عدو ، أو لمحاربته » هما تعبيران مترادفان ، وهو أمر يجوّزه القانون الدولى أو الحربى ، وبخاصة أن أسلوب القتال عند العرب كان يقوم فى معظم الأحوال على معارك بين أفراد .

٦ ـ أسير بن زارم [1]

٥٤ ـ أُسّير بن زارم :

« لقد كان موقف أسير بن زارم زعيم بنى النضير موقف عداء لدود متصل ضد المسلمين فى المدينة . وقد انضم إلى قبيلة غطفان ، التى سرعان ما أتمت الاستعدادت لاجتياح المدينة ، وكان هو بطل هذا المشروع . وعندما علم محمد بذلك كلف عبد الله بن رواحة وبعضا آخرين بأن يأتوا بهذ المحرض على وعدٍ بأن يجعله حاكماً على خيبر[2] ، وأن يُعامَل معاملة متميزة لو نزل على رغبة الرسول . وقد أطاع أسير وانطلق مع أتباعه إلى المدينة راكبا هو وعبد الله بن أنيس بعيراً ، ولم يكد الركب يقطع ستة أميال حتى ندم أُسّير على

---

(١) أو يسير بن رازم .

(٢) لم تكن خيبر قد فتحت بعد ، فلا محمد كان يستطيع أن يبذل وعداً كهذا ، ولا كان ممكنا إغراء اليهود بتصديقه ، ومن ثم فإن هذه القصة ملفقة .

موافقته على الذهاب إلى المدينة ، فمدّ يده إلى سيف عبد الله ، الذى قفز عن ظهر البعير وضربه فقطع ساقه، بينما جرح أُسيّر عبدَ الله فى رأسه بعصا بعيره . وسواء أكـــان أُسيـّـر قد اغتيل أم قُتل ختلا أم كان فى نيته الغدر فضربه عبد الله بالسيف دفاعا عن نفسه، فإن من المؤكد ألا شيء فى القصة يدل على أن محمدا قد أرسل عبد الله « فى مهمة سرية الغرضُ منها هو التخلص من الزعيم اليهودى » كما يقول سير وليم موير [١] . إن الكتاب القدامى أمثال ابن إسحاق لم يتعرضوا لهذه القصة ، أما الروايات التى ظهرت فى وقت متأخر فهى متنافرة ومتحيزة وناقصة . وعلى الرغم من هذه المآخذ فإننا لا نجد ذكر أية تفويضات تتعلق بمقاتلة أسير أو قتله ، بلْه اغتياله .

٧ ـ ما زعم من عزم على اغتيال أبى سفيان

٥٥ ـ العزم على اغتيال أبى سفيان :

كان أبو سفيان قد أرسل إلى المدينة أعرابيا لاغتيال محمد ، إلا أنه قُبض عليه واعترف بالمهمة التى أتى من أجلها . وقد روى ابن سعد كاتبُ الواقدى [٢] هذه القصة بوصفها سببا لإرسال محمدٍ عمرو بن أمية لاغتيال أبى سفيان . لكن عَمْرًا ، على رواية ابن

(1) Muir's Life of Mahomet, Vol. IV, pp 16 - 17 .
(2) Muir's Life of Mahomet, Vol. IV, pp.20 .

هشام ، قد كلفه الرسول بقتال أبى سفيان وقتله ثأرًا لمقتل خُبيب وأصحابه الذين أُسروا عند الرجيع[١] . وبينما يلزم ابن إسحاق والواقدى الصمت المطلق فيما يتعلق بهذا الموضوع ، فإن ابن هشام لا يذكر شيئا عن الاغتيال . أما ابن سعد كاتب الواقدى فهو وحده الذى ذكر أن الرسول قد أمر باغتيال أبى سفيان . غير أن هذه الرواية ليست صحيحة ، وهى كذلك لا تقوم على أساس مكين . ولهذا السبب لم يقبلها ابن إسحاق ولا الواقدى ، الذى كان يميل إلى ترديد الأحاديث المشكوك فيها .

٥٦ ـ الاستشهاد بإرفنج وموير . ملاحظات ختامية :

يقول واشنطون إرفنج معلقا على محاولة الاغتيال هذه : « إن محمدًا أثناء هذه الفترة من رسالته تعرض لعدد من محاولات الاغتيال كان ينجو منها فى كل مرة بصعوبة . وقد اتُّهِم هو أيضا باللجوء إلى الختل ليخلص نفسه من عدوّ ، إذ قيل إنه أرسل عمرو ابن أمية إلى مكة سرا لاغتيال أبى سفيان ، غير أن المؤامرة انكشفت، فما كان من عمرو إلا أن فرّ ناجيا . ومع ذلك فإن هذه التهمة تفتقر إلى دليل مقنع ، وهى كذلك تتعارض مع المعروف من

---

(1) The life of Mohammad , by Abdel Malik ibn Hisham, pp. 993 - 992 وقد دارالقتال ، على عادة العرب ، فى شكل معارك فردية .

أخلاق محمد وسلوكه » (١).

ويقول سير وليم موير : « هناك احتمال جد ضئيل أن تكون الرواية قد لفقها أعداء بنى أمية لتشويه ذكرى أبى سفيان ، على أساس أن الرسول كان يرى استحقاقه الموت . إلا أن هذا الاحتمال لا ينهض فى مواجهة الروايات المجمع عليها والتى يبدو أنها مستقلة » (٢). لكن الواقع أنه لا توجد روايات بهذه الصفة تذكر أن محمداً قد أمر باغتيال أبى سفيان . وثمة رواية واحدة فقط رواها ابن سعد ، وهى رواية لا يُعْتَدّ بها ، وقد حكاها الشخص الذى قيل إنه كان سيقتل أبا سفيان ، وهذا الشخص كان قاتلا محترفا قبل دخوله الإسلام ، ومن ثم فإن روايته ليست جديرة بالتصديق .

وحتى لو سلمنا أن محمداً قد أرسل فعلاً شخصا لاغتيال أبى سفيان ، الذى كان قد أرسل من قبل رجلاً لاغتيال محمد كما روى ابن سعد ، فإن ذلك أمر يسوغه الدفاع عن النفس بوصفه إجراءً اقتصاصيا ، وليس مجرد انتقام بل عقوبة وقائية يجوزها القانون الحربى (٣).

(1) Mahomet and his Successors, by Washington Irving, p. 118, London , 1869 .

(2) Muir's Life of Mahomet, Vol. IV, p. 20, foot-note .

(3) Contributions to Political Science , by Francis Lieber, LL. D., Vol. II, p. 250 .

أعمال القسوة المزعومة المتمثلة فى قتل أسرى الحرب وغيرهم

٥٧ ـ معاملة أسرى الحرب :

لقد أُوقِع ببعض أسرى الحرب عقوبةُ القتل جزاءً وفاقا لما ارتكبوه من جرائم ، وهو ما يتفق مع قوانين الحرب . غير أن بعض كتاب السيرة الأوروبيين يدّعون أن قتل هؤلاء الأسرى كان إجراءً قاسيا ، لأنهم لم يُتَّهَموا بجريمة ما ، اللهم إلا ما كانوا يُبْدون من ارتياب وخصومة سياسية (١).

والأشخاص الذين قُتلوا هم : ١ ـ النضر بن الحارث ٢ ـ عقبة ٣ ـ أبو عزة ٤ ـ معاوية بن المغيرة.

٥٨ ـ القانون الدولى فيما يتعلق بأسرى الحرب :

قبل أن أستعرض حالة كل أسير لابد أن أسوق بعض الملاحظات التمهيدية مبيناً أن أسير الحرب ، طبقاً للقانون الدولى أو الحربى ، هو كل عدوّ عام مسلح أو يؤدى للجيش المعادى مساعدة فعالة وقع فى أيدى آسره وهو يقاتل أو وهو مجروح ، على أرض المعركة أو فى إحدى المستشفيات ، عن طريق الاستسلام الفردى أو ضمن معاهدة استسلام. إن كل الجنود من أى سلاح كانوا وكل من اشترك فى النهوض الجماعى إلى السلاح من جانب البلد المعادى وكل أولئك الذين لهم

(1) Muir's Life of Mahomet , Vol.IV, p. 307 .

ارتباط بالجيش وكفاءته وتعتمد عليهم نتيجة الحرب اعتماداً مباشراً، ما عدا رجال الدين والضباط الأطباء وممرضى المستشفيات وخدمها وكل الرجال أو الضباط العجزة فى ميدان القتال أو فى أى مكان آخر لو أُسِروا ، وكذلك كل من ألقى من الأعداء سلاحه وسأل الرحمة هم جميعا أسرى حرب ، ومن ثم فهم معرضون لما يتعرض له أسير الحرب من متاعب . كما أن لهم الحقّ فيما هو مخول له من امتيازات . وهو لا يقع تحت طائلة العقاب بحجة أنه عدو عام ، وكذلك لا يصح الانتقام منه بتعريضه لأى لون من ألوان المعاناة أو الإهانة أو بالقسوة عليه فى السجن أو بقلة الطعام أو بالتمثيل به أو بقتله أو بأى عمل وحشى آخر. إلا أنه على رغم ذلك يبقى مسؤولا عن جرائمه التى اقترفها قبل أن يُؤْسَر فى حق الجيش أو الشعب الذى أسره ما لم يكن قد عاقبته عليها السلطات التى ينتمى إليها . وكل أسرى الحرب معرضون لاتخاذ إجراءات اقتصاصية ضدهم .

١ ـ النضر بن الحارث

٥٩ ـ قتل النضر بن الحارث :

قُتل النضر بن الحارث ، وهو واحد من أسرى الحرب ، بعد معركة بدر لجريمة تعذيبه الرهيب للمسلمين فى مكة . وكان مصعب قد ذكّره بجلاء بتعذيبه لصحابة محمد [1]، فلا مجال إذن

(1) Wakidi, Campaigns of Mohammad, p. 101, Calcutta, 1855 .

لاتهام محمد بالقسوة أو بأن روح انتقام كانت تحركه ضد أعدائه حين أمر بقتل النضر كما يدعى سير وليم موير [١] . وفضلا عن ذلك فإن بعض النقاد كابن منده وأبى نعيم ينكرون خبر قتله ، ويقولون إنه حضر غزوة حنين سنة ثمان من الهجرة ، أى بعد غزوة بدر بست سنوات ، وإن محمدا قد أعطاه من الغنائم مائة بعير . ويذكر سير وليم موير بهدوء فى أحد الهوامش (جـ٤ / ص١٥١) حصوله على مائة بعير فى حنين . كذلك فإن هذا النضر بن الحارث نفسه قد جاء ذكره ضمن المهاجرين المسلمين الأوائل الذى فروا إلى الحبشة . فهذه التناقضات لا تدع مجالاً للشك فى أن خبر قتل النضر ليس خبرا صحيحاً . وقد أورد أيضا الرواة الذين أكدوا قتل النضر فى بدر أن ابنته أو أخته قد قدمت على محمد وأنشدته أبياتا من الشعر ما إن سمعها حتى تحركت الشفقة فى قلبه ودمعت عيناه وصرّح بأنه لو كان سمع هذه الأبيات قبل قتل النضر ما كان أمر بقتله . والبيت التالى هو أول هذه الأبيات :

ما كان ضرك لو مَنَنْتَ ، وربما   منَّ الفتى وهو المغيظ المحنقُ ؟

---

(١) « لقد ظهرت فى أُثَيْل أول ما ظهرت روح محمد القاسية المنتقمة تجاه أعدائه » (Muir's Life of Mahomet, Vol. III, p. 115) . وبعد ذلك يروى المؤلف خبر قتل النضر . ابن إسحاق . انظر ابن هشام / ص ٤٥٨ ، والواقدى ص١٠٨ ، وأبو داود / جـ٢/ ص١٠ . وهذه القصة لم ترد عند ابن هشام أو ابن سعد .

إلا أن الزبير بن بكار قد ذكر أنه سمع بعض العلماء يعترضون على هذه الأبيات على أساس أنها جميعاً ملفقة . وإنى لأظن أن خبر إعدام الحارث خبر منحول من أساسه .

٢ ـ عقبة بن أبى معيط

٦٠ ـ قتل عقبة :

وثمة أسير أخر يُدْعَى عُقْبة قُتِل بعد معركة بدر لجريمة تشبه جريمة النضر . وقد رُوى أنه قبيل قتله سأل عمن سيتكفل بصبيته من بعده فأجابه محمد : « النار ! » . لكن هذا الخبر غير صحيح على الإطلاق ، وهو يدين بوجوده إلى انتساب عُقْبة إلى قبيلة بنى النار . كذلك لا يورد الواقدى مع الخبر سلسلة إسناده ، أما ابن إسحاق فإنه لا يذكر إلا الحلقة التى تسبقه مباشرة ، ومن ثم تفتقر سلسلة إسناده إلى حلقة أخرى بين الحلقة المذكورة وبين واقعة القتل . ويروى أبو داود الخبر عن مسروق ، الذى يرويه عن عبد الله ابن مسعود . إلا أن ابن مسعود لم يقل إنه كان حاضرا الواقعة أو إنه سمع بخبرها من محمد على نحو مباشر أو غير مباشر . أضف إلى ذلك أن السياق الذى روى منه مسروق هذا الخبر إنما يبعث على الشك القوى ويشير إلى أن وراءه رغبة فى التّلْب ، فإن الضحّاك قد أراد أن يستعمل مسروقا ، لكن عمارة بن عقبة اعترض على ذلك

لأن مسروقا أحد من قتلوا عثمان ثالث الخلفاء الراشدين، فرد عليه مسروق « أن النبى ﷺ لما أراد قتل أبيك قال : من للصِّبْيَة ؟ قال : النار . فقد رضيتُ ما رضى لك رسول الله ﷺ » (١).

كذلك هناك تناقض فيما يتعلق بالكيفية التى قُتِل بها عقبة وبالشخص الذى قتله : فابن إسحاق يقول إن عاصما هو الذى قتله ، بينما يقول ابن هشام إنه على . ويرى إبراهيم أن عقبة قد قُتل فى تيماء (٢) ، أما محمد بن حبيب الهاشمى (٣) فيذكر أنه قد صُلِب ، وهو ما يخالفه فيه آخرون قائلين إنه قد ضُرِب عنقه . ومن ناحيتى فإنى لا أصدق أبدا خبر قتل عقبة .

٦١ ـ أبو عزة ، أحد أسرى بدر ، يُطْلَق سراحه دون فداء :

لقد رجا أبو عزّة (الجُمَحى) ، وهو أحد أسرى بدر وأحد الذين عذبوا المسلمين فى مكة ، محمداً أن يطلق سراحه رأفة ببناته الخمس فعفا محمد عنه ووهبه حريته (٤). فهذا يدل دلالة مباشرة على رحمة الرسول الواسعة ، ومنه يتبين أن خبر إعدام عقبة يتناقض

(١) أبو داود / المرجع السابق .
(٢) الزرقانى / جـ٢ / ص٥٤١ .
(٣) السيرة الحلبية/ جـ٢/ ص ٣٧١ .
(٤) الواقدى / ١٠٥ ، وإنسان العيون أو السيرة الحلبية / جـ٢/ ص ٤٦٤ .

مع المعروف من خلق الرسول وفعله . وعلى هذا الاساس يمكن أن نرفض خبر إعدام عقبة ونَعُدّه رواية موضوعة .

٣ ـ أبو عزة

٦٢ ـ أبو عزّة تثبت خيانته ، ويُقْتَل :

لقد وُهب أبو عزّة ، وهو أحد أسرى بدر ، حريته من غير فديةٍ شريطةَ ألاّ يعاود حمل السلاح ضد الرسول ، لكنه أثبت أنه خائن بتحريضه العرب على شن الحرب ضد محمد . بل لقد التحق أيضا بجيش مكة الزاحف على المدينة فحقت عليه شقوة نفسه ، إذ قُبِض عليه في الحمراء وكان جزاؤه العادل هو قتله [(١)] ، وهو ما يتطابق مع قوانين الحرب وأعرافها .

٤ ـ معاوية بن المغيرة

٦٣ ـ قَتْل معاوية بن المغيرة :

أُعْطِيَ معاوية بن المغيرة ، وهو أيضا أسير حرب ، مهلة ثلاثة أيام على شرط أنه لو وُجِد فى المدينة بعد الوقت المضروب له فسيكون جزاؤه القتل ، لكن المهلة المحددة انقضت وهو لا يزال متربصا فيها .

---

(١) الواقدى / ص١٠٥ ، وابن هشام/ ص٥٩١ ، وإنسان العيون أو السيرة الحلبية / جـ٢/ ص ٤٦٤ .

وقد انكشف أمره أخيرا وقتله زيد وعمار فى عودتهما من حمراء الأسد بعد خمسة أيام أو ستة . فمن الواضح أن المغيرة قد انتهك شروط المهلة التى منحت له ، وكان تربصه فى المدينة إما تجسسا [١] أو تلصصا للأخبار .

٦٤ ـ مسوغات قتل ابن المغيرة :

أما سير وليم موير ، الذى يسميه عثمـانَ بنَ المغيرة ، فإنـه يدافع عنه قائلاً : « إنه تخلف بالمدينة عن غير قصد حتى آخر يوم من المهلة (القانونية) التى حُدِّدَت له ، وعندئـذ خرج يسعـى إلى مكة »[٢] . إلا أن ابن هشام يقرر بما لا يدع مجالا للبس أنه قد بقى بالمدينة بعد انقضاء الثلاثة الأيام وأنه وُجد متربصا فيها . وحتى على رواية الواقدى فإنه قُبض عليه فى اليوم الرابع . لكن هذا غير صحيح ، لأن الواقدى نفسه يذكر أن محمداً كان غائبا بعد معركة أحد لمدة خمسـة أيام فى حمراء الأسد ، وإذن فكيف كان بمقدور ابن المغيرة أن يتجنب عودة الجيش الإسلامى من حمراء الأسد ويضل طريقه ، كما يقول سير وليم موير ، فى اليوم الرابع فقط ؟

فعندنا إذن واحد من الأعداء الذين غزوا المدينة وهاجموا محمدا قد مُنح ، بعد أخذه أسيرا ، مهلة ثلاثة أيام على شرط صريح بأنه سيُقتَل لو وُجد هناك بعد ثلاثة أيام ، ثم أُعطِىَ فوق ذلك بعيرا ومؤنة

(١) ابن هشام/ ص٥٩١ ، والواقدى/ ص٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

(2) The Life of Mahomet,by Sir W . Muir, Vol. III, p.185.

تكفيه طوال الطريق ، لكن يُكْتَشَف أنه لا يزال متربصا هناك فى اليوم الخامس أو السادس ويفقد حياته بناءً على ذلك ، فيأتى سير وليم موير ويصف الأمر بأنه « هلاك قائم على ثقة أزيد من اللازم فى كرم العدو » [(١)] ، يعنى محمداً !

اتجاه النية إلى قتل أسرى بدر

٦٥ - رواية سير وليم موير الخاطئة :

كتب سير وليم موير : « يبدو أنه كان هناك تفكير عند نهاية المعركة فى قتل جميع الأسرى ، وتروى الأخبارُ أن محمداً كان يوجّه الأمور إلى تلك الناحية » . وفى أحد الهوامش نراه يقول : «لقد أخبر محمد أصحابه أن «لا تخبروا سَعْداً بقتل أخيه (معبد[(*)] ، وكان أسيراً) ، ولكن ليقتل كل منكم أسيره » (الواقدى/ ص ١٠٠)، ثم « لا يأخذ أحدكم أخاه أسيراً ، ولكن فليقتله » (ص/ ١٠١) » . ومع ذلك فإنى لن أولى هذه الأخبار كبير أهمية بل أميل إلى فهمها فى ضوء الآيات القرآنية التى سأستشهد بها بعد قليل [(٢)] .

إن نية القتل التى يتحدث عنها سير وليم موير لا تثبتها

---

(١) المرجع السابق / نفس الجزء والصفحة .

(*) لم يكن لسعد أخ اسمه معبد بل عُمَيْر ، ولم يكن من أسرى المشركين . ومع ذلك فقد كان هناك أسير من قريش اسمه معبد ، وقد قُتِل (حسبما جاء فى الواقدى) عقب المعركة

(٢) المرجع السابق / الجزء نفسه / ص ١٧٧ .

الأحاديث التى يراها هو ملفقة ، فإن الترجمة الصحيحة للنصوص المنقولة عن الواقدى هى :

النقل الأول : « لا تخبروا سعْدا بقتل أخيه فَيَقْتُلَ كلّ أسير فى أيديكم » (الواقدى / ص ١٠٠) ، وهو ما يعنى بوضوح أنْ « لا يعلم سعد بأن أخاه واحدًا (*) الذى كان أسيرا قد قُتِل (قتله عُمَر أو أبو بردة) ، فإنكم ان فعلتم ذلك هاج وقتل جميع من فى أيديكم من الأسرى » . إنه لمن الغريب هنا أن يترجم سير وليم موير هذه الجملة بحيث يصبح معناها : « ليقتل كل منكم أسيره » .

النقل الثانى : « لا يتعاطى أحدكم أسير أخيه فيقتلَه » ، ومعناه أنه لا ينبغى أن يأخذ أى شخص أسيرًا تابعا لشخص آخر ، لأنكم إذا فعلتم فقد يحدث أن يَقْتُل ذلك الشخصُ الآخرُ الأسيرَ أثناء التنازع عليه . ومنه يتضح أن سير وليم موير قد أخطأ فهم الجملة تمامًا.

٦٦ ـ لم يحدث أن عاتب القرآن قط محمدًا لإطلاقه سراح الأسرى :

ثمة أخبار مخترعة تحكى أن القرآن قد لام محمدًا (الأنفال/ ٦٧ ـ ٦٨) لإطلاقه سراح أسرى بدر ، بمعنى أنه كان ينبغى عليه أن يقتلهم . وهاتان هما الآيتان المشار إليهما :

﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسْرَى حتى يُثْخِن فى الأرض .

(*) لم يكن لسعد أخ اسمه واحد بل عُمَيْر ، ولم يكن من أسرى المشركين ، بل كان مسلما واستشهد فى بدر .

تريدون عَرَض الدنيـا والله يريد الآخـرة ، والله عـزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لـمَسَّكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ .

ولو تُرجِمَت الآية ٦٧ ترجمة صحيحة لكان معناها أن الأسرى لا ينبغى أن يَعْدَموا ، فإن كلمة « حتى » تفيد معنى الغايـة (إلى أنْ) ، كما تفيد معنى السببية (لكى) . وأنا أرى المعنى الثانى هو الأنسب هنا ، أى أنه لا ينبغى لنبى أن يأخذ الأسرى ليقتلهم ، وهو ما يتوافق مع النصوص القرآنية الأخرى التى تحصر معاملة الأسرى فى أمرين اثنين : إما المن وإما الفداء (سورة محمد/ ٤) .

إن آية سورة « الأنفال » على العكس من ذلك تلقى اللوم فى المقام الأول على أولئك الذين كانوا يريدون قتل الأسرى ، وفى المقام الثانى على أولئك الذين أرادوا الحصول من الأسرى على فدية لكى يطلقوا سراحهم ، مع أنه كان ينبغى عليهم أن يهبوهم حريتهم دون مقابل مادى إذا علموا أن فى إطلاقهم سراحهم خيراً .

معاملة محمد الكريمة لأسرى الحرب

٦٧ ــ القرآن يأمر بالمنّ أوالفداء لا بالقتل أو الاسترقاق :

لقد كان محمد دائما يعامل أسرى الحرب معاملة رحيمة ، كما وضع القرآن حدًا لما كان متعارَفا عليه قديماً من استرقاقهم وقتلهم :

﴿ فإذا لَقِيتُم الذين كفروا فَضَرْبَ الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشُدّوا الوثَاقَ . فإما مَنّـا بَعْدُ وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ (محمد / ٤) .

وقد ذكر سير وليم موير فى حديثه عن أسرى بدر أن « أهل المدينة ومن كان من المهاجرين يملك داراً قد أخذوا الأسرى إلى بيوتهم بناءً على أوامر محمد ، وعاملوهم بكثير من العناية » . وكان هؤلاء الأسرى يقولون حينما يتذكرون معاملة المسلمين لهم : « بارك الله فى أهل المدينة . حملونا على دوابهم وساروا على أرجلهم ، وخصّونا بالخبز واكتفوْا هم بالتمر » . ولذلك لا ندهش عندما نرى بعضهم ، حين أتى أصدقاؤهم ليفدوهم ، قد أعلنوا الدخول فى الإسلام . وقد وهب النبى هؤلاء حريتهم دون أن يدفعوا الفدية المعتادة [١] .

كذلك أُطلْق أسرى بنى المصطلق من غير فدية [٢] . كما أُخذ بنو هوازن أسرى فى معركة حُنين للسنة الثامنة من الهجرة ، إلا أنهم قد أُطْلقوا من غير أن يطالَبوا بفدية : أطلق محمد أوّلاً أسراه فتبعه الأنصار والمهاجرون منشرحة صدورهم [٣] ، وكان عدد الأسرى ستة آلاف [٤] .

وبينما كان محمد نازلاً فى الحديبية فى السنة السادسة للهجرة أحاط بمعسكره جماعة من قريش عددهم ثمانون على رواية مسلم فى صحيحه ، أو أربعون أو خمسون على رواية ابن هشام (ص/

---

(1) Muir's Life of Mahomet, Vol. II, pp. 122 - 123 .

(٢) المرجع السابق/ جـ ٣ / ص ٢٤٣ .

(٣) المرجع السابق/ جـ ٤ / ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٤) ابن هشام / ص ٨٧٧ .

٧٤٥) ، بغية تطويق أى مسلم منفرد عن قومه ، وهاجموا المعسكر نفسه بالحجارة والسهام . ولما قُبِض عليهم وأُخِذوا أسارى فإن محمداً بأَرْيَحيّته المأثورة عنه قد عفا عنهم وأطلق سراحهم .

وفى سنة ١١ للهجرة ، وهى سنة انتصار خالد بن الوليد ، حين أُرْسِل إلى بنى جذيمة يدعوهم إلى الإسلام حدث أن أخذهم أسارى وأمر بقتلهم ، إلا أن نفراً من المسلمين الذين لهم معرفة أوسع بأوامر القرآن التى توجب إطلاق سراح الأسرى منًا أو فداءً اعترضوا عليه واتهموه بارتكاب عملٍ من أعمال الجاهلية . ولما علم محمد بالأمر حَزَبه الهمُّ ودعا مرتين قائلا : « اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد » [1] .

إعدام بنى قريظة

٦٨ ـ خيانة بنى قريظة العظمى فى حق المدينة وإعدامهم :

كان بنو قريظة ، وهم قبيلة يهودية كانت تعيش على مقربة من المدينة ، قد دخلوا فى حلف مع المسلمين للدفاع عن المدينة ضد أى عدوانٍ . وبينما كانت المدينة تعانى الحصار الذى فرضه عليهم العشرة آلاف محارب من قريش وغيرها من قبائل البادية ، وذلك فى السنة السادسة للهجرة ، نقض بنو قريظة العهد وأخذوا يفاوضون

---

(١) ابن هشام/ ص ٨٣٣ ـ ٨٣٥ .

الأعـداء . وبعـد أن رُفع الحـصـار عن المدينة جـاء دور بنى قـريظة ليحاصرهم المسلمون وليكونوا أمثولة وعبرة . لم يقض عليهم بذلك المسلمـون بل الحكَم الذين اختـاروه وسـمّوْه بأنفـسـهم . ولم يكن الإعـدام الذى وقع على بعض بنى قـريظة لكونهـم أسـرى حـرب بل لأنهم خونةُ حربٍ متمردون . وقد استحقـوا بذلك الموتَ على ما يقضى به القانون الدولى . لقد كانت جريمتهم هى جريمة الخيانة العظمى ضـد المدينة والحصارُ مضروبٌ عليهـا ، ولم تقع حرب بين المسلمين وبينهم بعد أن نقض هؤلاء عهدهم معهم وأعانوا وحرضوا أعداءهم عليهم . لقد حاصرهم المسلمون ليعاقبوهم جزاء خيانتهم، ومن ثَمّ فهم ليسوا أسرى حرب . وحتى أسرى الحرب الذين من هذا النوع لابد أن يقاسوا جزاء ما ارتكبوه من خيانة عظمى .

« إن معاملة العدو المنتقِض ، فى ميدان الحرب ، تبعًا لقانون الحرب وتقاليدها لم يمنع قط الحكومةَ الشرعية من محاكمة زعماء التمرد أو كبار مدبريه على جريمة الخيانة العظمى ومعاملتهم على هذا الأساس ما لم يكن شملهم أمان عام » [1].

---

(1) Miscellaneous Writings of Francis Lieber, Vol.II, Contributions to Political Science, p.273 , Philadelpia, 1881 .

٦٩ ـ بنو قريظة لم يُعْدَموا قط كلهم :

لم يُعْدَم جميع بنى قريظة ، لا ولم يُعْرَض كل الأسرى الذكور على حدّ السيف [١]، بل كان عدد القتلى صغيرا نسبيا . وتبين الآية التالية أنهم لم يُعْدَموا بناء على أوامر محمد ، وأنهم لم يُقْتَلوا جميعًا ، وأنه لم يُحْتَجّ بأمر إلهى على ذلك . والآية هى :

﴿ وأنْزَل الذى ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم ، وقَذَف فى قلوبهم الرعب : فريقا تَقْتلون وتأسرون فريقًا ﴾ (الأحزاب/٢٦).

٧٠ ـ نساء بنى قريظة وأطفالهم لم يباعوا :

فالآية تعزو القتل والأسر إلى الذين يتوجه إليهم الخطاب فيها على أنه عملهم هم . أما سائر بنى قريظة (الذكور البالغون والنساء والأطفال) فإما أُطلق سراحهم وإما افتدْوا أنفسهم . وفى «عيون الأثر» لابن سيد الناس نجد إشارة إلى الفدية . وقد جمع عثمان بن عفان كثيرا من المال من هذه العملية . ولكن سير وليم موير ينقل عن ابن هشام أن سائر النساء والأطفال أُرْسلوا إلى قبائل البادية فى نجد ليقايَضوا بالخيل والسلاح [٢] ، إلا أن هذه الرواية تفتقر إلى الدليل. أما معتمر بن سليمان فإنه يروى الحادثة فى كتابه عن

(١) بعض القرظيين أطلق سراحهم ، ومن بينهم زبير بن باطا ورفاعة ، بعد أن عفا عنهم محمد .

(2) Muir's Life of Mahomet, Vol. III, p. 279 .

مغازى الرسول على نحو آخر إذ يقول : « أخذ رسول الله ﷺ من سبى بنى قريظة سبعة عشر خيلا فقسمهم فى أهله ، وقسّم ما بقى نصفين : فبعث سعد بن عبادة فى أحد النصفين إلى الشام ، وبعث أنس بن قيظى فى النصف الباقى إلى أرض غطفان فأمرها أن تتفحّل بالخيل ففعلوا فجلبوا خيلا عظيمة » (١) .

٧١ - رقم الذين أُعْدِموا مبالغ فيه :

لقد بولغ كثيراً فى عدد من أُعْدِم من الذكور البالغين على رغم أن مسألة صِغَر العدد أو كِبَره ليست بذات أهمية مادام الإعدام متمشيا مع القانون الدولى لإقليم ما . وليس هناك أفضل من أن أستشهد بمولاى أمير على ، الذى كتب فى هذا الموضوع وانتقد انتقادا حكيما من بالغوا فى عدد من أُعْدِموا من بنى قريظة قائلا : « وحين ننتقل إلى الحديث عن هؤلاء الذين أعدموا فإن الإنسان يرى من فوره كيف بُولِغ فى عددهم : فبعض يقول : أربعمائة ، وآخرون يرتفعون به إلى تسعمائة ، أما عند المؤرخين النصارى فيتراوح بين سبعمائة وثمانمائة . وفى رأيى أن هذه مبالغة غير معقولة ، فحتى أربعمائة تبدو عدداً مبالغًا فيه ، فإن الروايات تتفق على أن عُدَد القتال فى بنى قريظة كانت تتكون من ثلاثمائة

(1) History of Mohammad's Campaigns. edited by Von Kremer. p. 374

درع ، وخمسمائة ترس ، وألف وخمسمائة سيف . ويبدو أن الروايات قد بالغت فى هذه الأعداد لكى تكبر شأن الغنائم (١). ولكن حتى لو قبلنا هذه الأرقام على علاتها ، مع التنبه إلى أن هذه الأسلحة تتجاوز دائما أعدادَ المحاربين إلى حد كبير ، فإنى أجدنى مسوقًا إلى الاستنتاج التالى ، وهو أن عدد المحاربين لا يمكن أن يكون أكثر من مائتين أو ثلاثمائة . وربما نشأ الخطأ من الخلط بين الأسرى جميعاً وبين الذين أُعْدِموا » (٢).

وحتى المائتان تبدو رقماً كبيرا ، فإن الأسرى كلهم قد قَضَوْا ليلتهم فى بيت بنت الحارث (٣) الذى ما كان ليسع مثل هذا العدد الكبير .

---

(١) انظر ملاحظات ابن خلدون (فى المقدمة)/ ترجمة دى سلان/ جـ١/ ص ١٤.

(2) A Critical Examination of the Life and Teachings of Mohammed, by Syed Ameer Ali, Moulvi, M. A., LL. B., of the Inner Temple, Barrister at Law, p. 113, William and Norgate, London, 1873 .

(٣) ابن هشام/ ص٦٨٩ . ويقول آخرون إن الرجال منهم قد حُبِسوا فى بيت عثمان ابن زيد ، أما النساء والأطفال ففى بيت بنت الحارث . انظر « إنسان العيون » للحلبى/ جـ٣/ ص٩٣ .

الرد على بعض الاعتراضات المتفرقة

١ ـ أم قرفة

٧٢ ـ قتل أم قرفة على قطعها الطريق :

ليس صحيحا أن أم قرفة ، وكانت امرأة سيئة السمعة خليلة لعصابة من قطاع الطريق ، قد قُتِلَتْ بربط كل رجل من رجليها إلى بعير ثم فَسْخها على هذا النحو ، إذ لم يذكر ذلك أحد إلا كاتب الواقدى ، أما عند غيره من الكتاب الأوائل كالواقدى وابن إسحاق وابن هشام فإننا لا نجد ذكراً لهذه الرواية . وليس من الإنصاف من سير وليم موير أن يَعُدّ محمداً شريكا فى هذا العمل الوحشى لمجرد أنه لم يجد فيما قرأ أن الرسول قد استنكر هذا التصرف غير الإنسانى[1]. لكن لا بد أن نراعى أوّلاً أن هذه القصة لا نصيب لها من الصحة ، وثانيا أنه ما من رواية روت هذه العملية قطّ كاملة ، فهى تُرْوَى فى موضع أطول منها فى موضع آخر تبعاً للظروف التى رُويت فيها أول مرة . يروى ابن هشام أن زيد بن حارثة أمر قيس بن المسحّر أن يقتلها فقتلها قتلا عنيفا (ص/٩٨٠) ، لكنه لا يروى أن محمداً قد أُخْبِر مجرد إخبار بعملية القتل بعد أن عادت المجموعة المكلفة بهذه المهمة الرهيبة . وإنى لأظن أن لفظة « عنيفا » ، كما استعملها الراوى فى الأصل، ربما كانت السبب وراء التوسع فى

(1) Muir's Life of Mahomet, Vol. IV, p. 13 .

خبر القتل بإضافة فكرة ربط القتيلة بين بعيرين ، كنوع من التفسير لتلك اللفظة ، إذ توجد رواية أخرى تقول إنها قد ربطت إلى ذيلي فرسين (انظر القسطلانى فى حاشيته على البخارى / جـ ٣ / ص٣٠٧) .

٢ ـ لصوص العرنيين

٧٣ ـ ادعاء المثلة بلصوص عرنية

نهب بعض اللصوص العرنيين ، وكانوا قد دخلوا لتوهم فى الإسلام ، إبل المدينة وآذوا راعيها إيذاء وحشيا ، إذ قطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك فى لسانه وعينيه حتى مات . وقد تتبع هؤلاء اللصوص وقبض عليهم وقتلهم كرز بن جابر. ويقول سير وليم موير: « لقد استحقوا الموت ، ولكن الطريقة التى نفذ بها فيهم كانت طريقة بربرية وغير إنسانية ، فقد قطعت أذرعهم وأرجلهم وسملت أعينهم ثم ركبت جذوع هؤلاء البائسين على خوازيق نصبت فى سهل الغابة حتى فارقوا الحياة » [1] . والحقيقة أن تمثيل اللصوص

---

(1) Muir's Life of Mahomet, Vol.IV, p. 19 . وفى صحيح البخارى تنتهى سلسلة إسناد الرواية إلى أنس ، إلا أنه لا يمكن أن يكون قد شهد أمر محمد بالتمثيل باللصوص ، إذ لم يكن قد قدم (على الرسول) قبل وقعة خيبر، بينما نفذ القتل فى هؤلاء اللصوص قبل هذا . كذلك فرواية كرز =

براعى الإبل هو الذى خلق رواية التمثيل بهم اقتصاصاً منهم ، إلا أن محمداً فى الواقع لم يأمر بالتمثيل بالبشر فى أية حال، إذ كان يعارض هذا التقليد أشد المعارضة . وهناك عدة أحاديث بهذا المعنى من مصادر مختلفة ، وهى تدل على أنه قد حرم المُثْلَة حتى لا يمثِّل به ربُّه [1] .

٧٤ ـ قطع الأطراف أو استبدال التعذيب به مؤقتاً بدل السجن لعدم وجود مجموعة حسنة التنظيم من الزنازين :

ويمضى سير وليم موير قائلا : « يبدو أن محمداً قد راجع نفسه وشعر أن هذه العقوبة قد تجاوزت الحد الإنسانى فأنزل وحياً حصر بموجبه عقوبة الإعدام فى مجرد القتل أو الصلب . ومع ذلك فقد أقر قطع الأيدى والأرجل بوصفه إجراءً عقابيا ، بل إن قطع الأيدى قد أُمر به بوصفه العقوبة المناسبة للسرقة ، سواء أكان السارق رجلا

= الواردة بالمعنى نفسه فى مجموعة ابن مردويه ليست صحيحة ، فكرز ، الذى يذكر أن محمدا قد أرسله خلف اللصوص فقام بالتمثيل بهم وقتّلهم ، لم يكن قد دخل فى الإسلام حتى ذلك الحين . بينما ذكر القسطلانى صاحب « المواهب » أن رواية ابن جرير اللغوى حول هذا الموضوع رواية زائفة (انظر الزرقانى فى « المواهب »/ جـ٢/ ص ٢١١) .

(١) يروى ابن هشام (ص/ ٤٦٣) عن ابن إسحاق أن عمر سأل النبى عليه السلام أن يمثل بسُهَيْل ، لكن محمدا أجابه : « لا أمثِّل به فيمثل الله بى وإن كنت نبيا » .

أم امرأة ، ومن ثم فقد خُلِّدت هذه العادة الوحشية بطول العالم الإسلامى وعرضه ، أما سَمْل الأعين فإنه لم يُعْتَرف به كعقوبة قانونية » [١] .

إن هذه العقوبات المتناوبة قد خُصِّصَت للجرائم البشعة التالية : قطع الطريق ، ولصوصية العصابات ، والسطو على البيوت . وهذه العقوبات هى : ١ـ الإعدام ٢ ـ قطع الأطراف ٣ ـ النفى (المائدة / الآيتان ٣٦ ، ٤١) ، وذلك على حسب ظروف كل حالة. وكانت العقوبتان الأخيرتان مؤقتتين بدلا من السجن لعدم توفر الزنازين والسجون اللازمة . فعندما كانت الدولة الإسلامية فى طفولتها فإن القلاقلَ التى سببتها محاولات غزو قريش وحلفائها للمدينة والحروب معهم لم تدع سبيلا للأمن أو السلام فى المدينة بحيث تُتَّخذ الإجراءات اللازمة لإقامة المبانى والزنازين المطلوبة وتوفير الحراسة عليها وعلى المساجين ، وما إن أقيمت السجون فى الدولة الإسلامية حتى استبدل السجن بقطع الأطراف وبالنفى . فقد كان من عادة محمد أن يعهد بأسرى الحرب إلى أهل المدينة ، كما حدث فى حالة أسرى بدر، ليحتفظوا بهم كضيوف ، وذلك لعدم وجود سجون . أما فى حالة المجرمين الآخرين : قطاع الطريق وعصابات اللصوص والسُّطاة على البيوت فلم يكن ممكنا

---

(1) Muir's Life of Mahomet, Vol.IV, p. 19 .

معاملتهم كضيوف على هذا النحو ، ومن ثم فلم يكن هناك خيار في شأن هؤلاء المجرمين إلا النفى أو العقوبة البدنية بقطع بعض الأعضاء (١) .

٣ ـ تعذيب كنانة

٧٥ ـ تعذيب كنانة :

يروى كتاب السيرة أن كنانَة زعيمَ يهود خيبر قد احتفظ هو وابن عمه بجزء من ثروتهما ، مخالفَيْن بذلك العهدَ المتفق عليه ، وعندما اكتُشفَتْ محاولة الخداع عُذِّب تعذيبا شديداً ، إذ وضعت نار على صدره حتى أوشك أن يختنق لعله أن يدل على المكان الذى أخفى فيه بقية أمواله ، ثم أصدر محمد أمره فاحتُزَّت رأس كنانة وابن عمه (٢).

إن قصة إكراه كنانة وقتله لإخفائه بعض ثروته ناقضا بذلك ما تعاهد عليه قصة مختلقة من أساسها ، فقد كان إعدام كنانة قصاصاً لقتله غدراً محموداً أخا محمد بن مسلمة ، ومن ثم فإعدامه قانونى. وهناك رواية واحدة تفتقر إلى السند تقول إن زبيراً كان يشعل النار

---

(١) هذا الموضوع وفاه حقَّه وتروَّى فى عرضه المحترم سيد أحمد خان بهادور C. S. I فى تفسيره للقرآن " Commentary of the Koran " / سورة المائدة / ص ١٩٨ ـ ٢٠٤ .

(2) Muir's Life of Mahomet, Vol.IV, p. 68 .

على صدر كنانة من حجر صوفان . لكن هذا ، لو صح ، لا يدل على أنه تم بأمر محمد أو بموافقته ، بل على العكس هناك أحاديث عدّة ينهى فيها الرسولُ عن معاقبة شخص بالنار ، إذ روى البخارى عن ابن عباس أن محمدا قال : «إن النار لا يعذّب بها إلا الله» . كذلك روى أبو داود عن عبد الله أن النبى قال : « لا يعذب بالنار إلا رب النار » (١) .

٤ ـ قتل مغنية

٧٦ ـ ما زُعِم من قتل مغنية :

« استثنى محمد من الأمان الشامل الذى منحه أهلَ مكة عشرةَ أشخاص أو اثنى عشر ، ومع ذلك فلم يُقْتَل من هؤلاء إلا أربعة ... وكان الاثنان اللذان ماتا بعد ذلك مسلمين مرتدين ، وكانا قد سفكا دماءً فى المدينة ثم فرا إلى مكة وارتدا عن الإسلام . وقد قُتِل الاثنان، وكذلك قُتِلَتْ مغنية لهما كانت تزعج النبى بما تغنيه من شعر هجائى .

وكان اسما الرجلين عبد الله بن خطل ، ومقياس بن سبابة . ويقال إن جريمة الأول هى القتل العمد ، وجريمة الثانى القتل الخطأ . وكان لعبد الله مغنيتان ، وقد حُكِم على كلتيهما بالموت ،

---

(١) انظر « المشكاة » / كتاب القصاص / ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

إلا أن إحداهما فرت وحصلت على عفو بعد ذلك ، وكان قتل الثانية هو أسوأ عمل ارتكبه محمد فى مثل هذه الظروف » [1].

لقد ارتكب عبد الله جريمة قتل مع سبق الإصرار ، وقد شاركت المغنية فى هذه الجريمة على أرجح الاحتمالات ، وكان قتلها بسبب اشتراكها أو بسبب تحريضها على هذه الفعلة الشنعاء، وهو ما يسوغه القانون . وإنا لنتساءل : لم ينبغى أن يُعَدّ هذا القتل عملاً فظيعا ؟ لقد كان محمد يستشعر الرحمة الواسعة تجاه الجنس الضعيف ، وكان يأمر أصحابه أثناء الحرب ألا يقتلوا امرأة ، ولكن القانون لا يفرق بين رجل وامرأة ، فكلاهما عرضة للعقاب على مقدار ما يستحق .

٧٧ ـ تسامح محمد مع أعدائه :

إن رحمة الرسول ورأفته وصبره وعفوه عند انتصاره فى فتح مكة تُعَدّ مضرب الأمثال . يقول مستر لين پول بفطنته المعهودة : « لقد كان خرق جماعة من قريش للمعاهدة ، بمهاجمتهم حلفاء المسلمين فى السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠م) ، هو النهاية، إذ انطلق محمد على أثر ذلك إلى مكة على رأس عشرة آلاف فاستسلمت له حين أصبح الدفاع بلا أية جدوى . وكانت هذه مناسبة يكشف فيها النبى عن طبيعته التى تحب سفك الدماء ، فها هم أولاء أعداؤه عند قدميه . والآن ألن يدوس فوقهم ؟ ألن يعذبهم؟

(1) Muir's Life of Mahomet. Vol.IV, p. 131 .

ألن ينتقم منهم بطريقته القاسية المعهودة ؟ فى هذه اللحظة يظهر الرجل على حقيقته ، وكل ما علينا هو أن نستحضر فزعنا ونصرخ سلفاً : « وامصيبتاه! » . ولكن ما هذا ؟ أما من دماء تملأ الطرقات؟ أين جثث الآلاف الذين ذُبحوا ؟ صحيح أن من الحقائق ما هو صعب التصديق ، كما كان حقا أن اليوم الذى شهد أعظم انتصارات محمد على أعدائه هو أيضا اليوم الذى شهد أعظم انتصاراته على نفسه . لقد صفح لقريش دون مقابل عما اجترحته فى حقه من قسوة واحتقار لسنين طويلة خلت . أربعة مجرمين فقط أدانهم القانون كانوا هم كل المحكوم عليهم عندما دخل محمد فاتحًا مدينة أعدائه الألداء . وقد صنع الجيش صنيعه أيضا فدخلها فى هدوء وسلام فلم يُنْهَبْ بيت ولم يُعْتَدَ على امرأة » [١].

٥ ـ أبو بصير

٧٨ ـ لم يشجع النبى أبا بصير فى مخالفته لروح معاهدة الحديبية :

يقول سير وليم موير : « لقد شجع النبى أبا بصير ، وهو قاطع طريق ، على نحو يصعب التوفيق بينه وبين معاهدة الحديبية حرفيا ويعارض روحها بالتأكيد » [٢] . لقد كانت إحدى مواد هذه

(1) Introduction to Lane's Selections from the Kur'an. by Stanley Lane Poole, p. lxvii , Trübner and Co.,1879 .

(2) The Life of Mahomet. Vol.IV, p. 308 .

المعاهدة التى وقعتها قريش ومحمد أنه اذا جاء محمداً أحد بغير إذن وليه فعليه أن يعيده إليه [١]. وبعد وقت قصير استطاع أبو بصير المسلمُ الذى كان محبوساً فى مكة أن يهرب ويفد على المدينة فأرسل وراءه وليّاه أزهر وأخنس خادمين ومعهما رسالة إلى محمد لتسليم هذا الفارّ ، فما كان من محمد إلا أن سلم لهما بهذا الحق على رغم أن أبا بصير قد ترجاه ألا يسلمه ثانية إلى العذاب الذى فرّ منه ، لكن محمداً أجاب بأنه لا يليق به أن ينقض شروط الصلح . فاضطر أبو بصير إلى أن يعود مع الخادمين ، إلا أنه لم يقطع بضعة أميال حتى غافل بعدها أحد الحارسين وخطف منه سيفه وقتله به ، أما الخادم الثانى فقد فرّ عائداً إلى المدينة حيث تبعه أبو بصير . وعند عودته أصر على أن النبى قد وفّى بتسليمه للخادمين بشروط المعاهدة حرفيا ، إلا أن النبى أجاب قائلاً : « ويّل أمه مسعر حرب ! لو كان له أحد ! » . وعندما سمع أبو بصير ذلك عرف أن النبى سيسلمه ثانية إلى أوليائه من قريش[٢] ، ومن ثم مضى إلى ساحل البحر حيث أخذ هو ومن انضم إليه من الفارين من الحبس فى مكة

---

(١) المرجع السابق / ص ٣٥ .

(٢) انظر « الزرقانى » على « المواهب »/ جـ ٢ / ص ٢٤٤ ، وانظر أيضاً «زاد المعاد» لابن القيم/ جـ ١/ ص٣٧٦ / كاونبور/ ١٢٩٨هـ ، و « السيرة المحمدية » لمحمد كرامة العلى الدهلوى، وهى مأخوذة من « السيرة الحلبية » و « السيرة الشامية » ومطبوعة على الحجر فى بومباى .

يقطعون الطريق على القوافل المكية. إن هذه القصة التى رواها أيضا ابن إسحاق باختصار ورواها الشامى والزرقانى وابن القيم كاملة لا تدل على أن تصرف محمد كان مخالفا لهدنة الحديبية روحًا أو حرفًا ، فإنه لم يشجع قط أبا بصير ، بل على العكس سلّمه إلى أوليائه تمشيا مع شروط المعاهدة . وعندما عاد أبو بصير كان على حق فى اعتقاده أن محمداً سيرسله ثانية من حيث أتى ، لكن يبدو أن أبا بصير قد مضى إلى ساحل البحر بعيداً عن اختصاص محمد القضائى، فلم يكن إذن واجبا على الرسول أن يأمر بالقبض عليه وإرساله إلى مكة ، إذ لم يكن أبو بصير عنده بل كان خارج دائرة نفوذه القضائى والشرعى . وحتى لو كان محمد قد احتجزه عنده بالمدينة بعد أن سلمه مرة للشخصين اللذين جاءا لإعادته وبعد أن لم يأته طلب آخر بتسليمه فإنى لا أظن أنه كان يمكن أن يُلام على ذلك ، فلا القانون الدولى عند العرب ولا شروط المعاهدة ذاتها تلزمه بهذا .

٦ ـ استخدام نعيم فى الإيقاع بين الأحزاب الذين حاصروا المدينة

٧٩ ـ لم يكلف النبى نعيما باشاعة معلومات زائفة بين صفوف الأعداء :

عندما جاءت قريش وحلفاؤها يحاصرون المدينة على مدى عدة

أيام كان جيش المدينة قد ناله التعب والإرهاق . وفى هذه الظروف جاء نُعيم ، وهو عربى من قبيلة محايدة ، يعلن إسلامه على النبى سرا ويعرض خدماته ، فقبل الرسول منه ذلك وكلّفه أن يحاول صرف الأحزاب عن متابعة الحصار قائلا : « الحرب خدعة » . وقد استطاع نعيم أن يزرع بذور الشك المتبادل بين اليهود وقريش ، إذ طلب إلى أولئك ألا يحاربوا محمدا قبل أن يحصلوا على عدد من الرهائن من قريش ضمانًا على أنهم لن يتخلّوْا عنهم ، كما أخبر قريشا أن اليهود ينوون أن يطلبوا منهم عددًا من الرهائن وقال لهم : لا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا ، فإنهم قد وعدوا محمدا أن يسلموهم له ليقتلهم [1] . هذه رواية ، وثمة رواية أخرى مؤداها أن اليهود أنفسهم كانوا قد طلبوا الرهائن ، ولم تكن قريش قد أجابتهم بعد حين أتى نُعيم اليهودَ وقال لهم إنه كان عند أبى سفيان عندما أتاه رسولهم ليسأله تسليم الرهائن وإن أبا سفيان لن يسلمهم أحدًا[2]. وهناك رواية ثالثة فى الملحق الذى أضافه معتمر بن سليمان إلى « كتاب المغازى » للواقدى ، لكنها لا تورد هذه القصة بالمرة بل تروى شيئا مختلفا فحواه أنه كان هناك جاسوس لقريش بين صفوف المسلمين فسمع عبد الله بن رواحة يقول إن اليهود قد سألوا

---

(1) Muir's Life of Mahomet, Vol. III, p. 266 .وابن هشام / ص ٦٨١

(٢) السيرة الحلبية أو إنسان العيون / جـ ٢/ ص٧٩ .

قريشا أن ترسل لهم سبعين شخصاً سوف يقتلونهم بمجرد وصولهم ، فذهب نعيم إلى قريش ، التى كانت تنتظر رسالة منه ، وأخبرهم بهذا الذى مر [١] ، وهو ما يتعارض مع القصة التى رواها ابن هشام ومستر موير . ومهما يكن الأمر فإن القصة لا تثبت أن محمدا قد سمح لنعيم بأن يكذب ويذيع تقارير مضلّلة .

٨٠ ـ الخداع فى الحرب يجوّزه القانون الدولى :

لقد جانب سير وليم موير الحقيقة حين قال : « إننا لا نستطيع فى الواقع أن نوافق على استخدام نعيم فى نقض تحالف قريش واليهود بالخداع والتضليل ، لكن هذا العمل لا يكاد ينال من شخصه » [٢] . وفى مكان آخر نراه يقول : « عندما كان جيش الأحزاب يشدد الحصار على المدينة طلب محمد من نُعيّم الخائن أن يقوم بخدماته واستعمله لبذر الريبة بين صفوف الأعداء بنشر معلومات زائفة ومضللة لأن الحرب ليست إلا خدعة » كما قال[٣] . والحقيقة أن أقصى ما يمكن الخروج به من هذه الرواية التى استشهد بها مستر موير والتى تعارضها رواية أخرى بذات الدرجة

(1) History of Mohammed's Campaigns, by Wakidi,pp. 368-369 , edited by Von Kremer, 1856 .

(2) The Life of Mahomet, Vol. III, p.282 .

(٣) المرجع السابق / جـ٤/ ص٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

من الأهمية هو أن محمدا قد سمح بالخديعة فى الحرب مستشهدا بالقول المأثور : « الحرب خدعة » . وهو فى هذا يتمشى مع القانون الحربى أو القانون الدولى ، فالخدعة فى الحرب هى «ضرورة حربية» يجوّزها قانون الحرب وأعرافها . يقول كاتب حديث متخصص فى القانون الدولى:

« إن الضرورة الحربية تجوّز القضاء المباشر على حياة العدو المسلح أو أى شخص يشترك فى العمليات الحربية أو بعض جسده ، كما تجوّز أسْر أى عدو مسلح وأى عدو ذى أهمية للحكومة التى تحاربه أو يمثل خطراً على من يأسره ، وكذلك تدمير كل ممتلكاته وأية عقبة يسد بها طرق التجارة والسفر أو الاتصال ومسالكها ، وأيضا فَرْض الحظر التام على الأقوات أو مقومات الحياة بالنسبة للعدو ومصادرة كل ما يُعَدّ ضروريا بالنسبة للدولة المعادية لبقاء جيشها وأمنه وبالخديعة التى تقوم على نقض العهود ، سواء كانت هذه العهود إيجابية مثل الاتفاقيات التى وُقِّعت أثناء الحرب أو يفترض القانون الحديث لزومها » (١).

٨١ ـ المعيار الأخلاقى عند لكي :

ولكن بافتراض أن المعيار الأخلاقى الحديث لا يقبل من محمد هذا الذى لا يكاد « ينال من شخصه بمعيار العرب » أليست هناك

(1) Lieber's Miscellaneous Writings, Vol.II, p. 250 .

اختلافات فى الأحكام الأخلاقية ؟ إن الوحدة الأخلاقية التى يُتَوَقَّع أن تربط بين العصور المختلفة ليست وحدة معيار أو وحدة حقائق بل وحدة فى الاتجاه .

فـ « ـكَوْن بعض المتوحشين يقتلون آباءهم المسنين ، وكون وأد الأطفال قد مارسته حتى بعض الأمم المتحضرة من غير إحساس بالذنب ، وكون فضلاء الرومان لم يجدوا غضاضة فى عروض الجلاَّد ، وكون الاعتبارات السياسية أو الانتقامية قد ظلت لقرون عملاً مقبولا ، وكون اتخاذ الرقيق كان عملاً مكرَّما حينا ومُدانًا حينا آخر ، كل هذه دلائل لا جدال فيها على أن العمل نفسه يُعَدّ فى عصر شيئا لا غبار عليه ، وفى عصر آخر عملا إجراميا . وإنه لصحيح بلا ريب أن عملية الفحص التاريخى سوف تطلعنا فى حالات كثيرة على ظروف خاصة تعيننا على فهم ما يبدو شذوذاً على القياس أو تخفف من غرابته ، فإنه كثيرا ما قيل إنّ عروض الجلاَّد كانت فى الأصل لونًا من التضحية البشرية مورست من خلال دوافع دينية ، وإن حياة المتوحشين القبلية الجافية جعلت من المستحيل الإبقاء على أفراد القبيلة المسنّين العجزة ، وإن قتل الآباء كان يُعَدّ عند القاتل والمقتول كليهما دليلا على الرحمة ، وإنه قبْل وجود إدارة كُفْءَة العدالة كان الانتقام الشخصى هو الرادع الوحيد للجريمة ، وبالمثل الاغتيالُ السياسى بالنسبة للاستغلال ، وإن عدم

مبالاة بعض المتوحشين تجاه جريمة اللصوصية تأتى من أنهم كانوا قد تعودوا على أن تكون ملكية كل شىء عامة ، وإن القانون الإسبرطى الذى كان يضفى الشرعية على السرقة كان يقوم فيما يقوم عليه على رغبة فى ترقية المهارة العسكرية بين الشعب ، وأساساً على الرغبة فى مقاومة الثراء ، وإن اتخاذ الرقيق أساسه الرحمة ، إذ قُصِد به منع الفاتحين من قتل أُساراهم . كل هذا صحيح ، لكن ثمة إجابه أخرى أشمل ، إذ ليس من المتوقع ولا من المقبول أن نظن أن الناس فى جميع العصور كان ينبغى عليهم أن يتفقوا فى تطبيق مبادئهم الأخلاقية . وكل ما يمكن قوله هو أن هذه المبادىء كانت دائما واحدة . إن بعض هذه الأعمال التى تبدو قاسية ووحشية قد أملَتْها المشاعر الإنسانية دون غيرها ، وكان العالم ينظر إليها على أساس القيمة التى ندينها الآن بسببها . وحتى حين لا يكون الأمر هكذا ، فكل ما يمكن استنباطه هو أن المقياس الإنسانى منحط جدا، ولكن على رغم ذلك ما زالت الإنسانية معترفاً بها كفضيلة ، والقسوة كرذيلة »[١] .

---

(1) History of European Morals from Augustus to Charlemagne, by William Edward Hartpole Leckey , M. A., Vol.I, pp.101 - 102 .

الإذن المزعوم بقتل اليهود

٨٢ ـ قتل ابن سُنَيْنَة :

روى بعض كتاب السيرة المسلمين ، وتلقفه بحماسة بعض الأوروبيين ، أنه « في اليوم الذى تلا مقتلَ كعب أعطى محمد لأتباعه إذنا عاماً بأن يقتلوا أى يهودى يجدونه فى طريقهم »[١] ، وكانت نتيجة هذا الإذن أن قَتَل محيِّصةُ ابنَ سُنَيْنَة التاجر اليهودى، « وعندما لام حوَيِّصةُ محيِّصة على قتله حليفه اليهودى واستيلائه على ثروته أجاب محيصة : « والله ، لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك » ، فصرخ حويصة : « أوالله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ » ، فأجابه المتعصب : « نعم ، والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها »، فرد حويصة : « والله إن دينا بلغ بك هذا لعجب » ، ثم اعتنق حويصة الإسلام من فوره »[٢] .

يقول ابن إسحاق إن هذه القصة قد رواها له مولى لبنى حارثة عن ابنة مُحيِّصة عن أبيها [٣] . ولنا على ذلك هذه الملاحظات التالية :

---

(1) Muir's Life of Mahomet, Vol. III, p. 148 .

(٢) المرجع السابق / جـ ٣ / ص ١٤٩ .

(٣) ابن هشام / ص٥٥٤ .

(١) لا أحد يعرف شيئاً عن هذا الرجل الغامض مولى بنى حارثة ، ومن ثم لا يمكن الاعتماد على هذه القصة .

(٢) كذلك لا نعرف شيئا عن ابنة القاتل مُحَيِّصَة كما يسميه ابن هشام .

(٣) ليس لمحيصة نفسه هذه الشخصية المحترمة التى يمكن أن تعطى لروايته ظلاً من الحقيقية .

(٤) وأخيراً فإن الرواية التى تقول إن محمداً قد أعطى لأتباعه إذناً عاما بأن يقتلوا أى يهودى يجدونه فى طريقهم ومن ثم قَتَل محيصةُ ابنَ سُنَيْنَة وإن حويصة دخل الإسلام تناقضها رواية أخرى أوردها ابن هشام (ص / ٥٥٤ ـ ٥٥٥) عن أبى عبيدة مُفادها أنَّ رجلاً يقال له كعب بن يهوذا قد سُلِّم ، أثناء قتل بنى قريظة ، إلى محيصة ليقتله ، وعندما قتله هذا لامه أخوه الذى كان لا يزال كافراً ، فأجابه محيصة : « لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك » ، ففوجىء حويصة إلى حد كبير بجواب أخيه وانصرف مندهشاً . وفى تلك الليلة تكرر استيقاظه وتعجبه من إخلاص أخيه الشديد لعقيدته ثم أصبح وهو يقول : « والله إن هذا لدين » ، ثم أتى إلى الرسول واعتنق الإسلام . فهذه الملاحظات الأربع تبين أن الإذن المزعوم بقتل اليهود ، وكذلك قَتْل ابن سُنَيْنَة ودخول حُوَيِّصة من ثم

فى الإسلام ، كل ذلك مجرد تلفيق .

٨٣ ـ الاستشهاد بسير وليم موير :

وحتى سير وليم موير ، وهو الحريص جدا على جمع مثل هذه الروايات المشكوك فيها والمتعلقة بشخص النبى ، يشك فى هذه الرواية ويعلن عدم احتمال وقوعها وعدم استصواب العقل لها . يقول:

« ولكن الأمر بالقتل نفسه غريب ، ولا بد أنه قد صاحبته بعض الظروف أو التحفظات التى لا تظهر لنا الآن . هكذا يفترض الواحد منا ، فمن المؤكد أن سيلان الدماء فى شوارع المدينة لو نُفِّذ أَمْرُ النبى حرفيا لم يكن مما يخدم قضيته فى ذلك الحين . ومع ذلك فهذا ما تبينه بوضوح أفضل الروايات .

وليس من المحتمل أن هذا الإذن قد صدر فى الوقت الذى كانت خيانة اليهود تثير حفيظة محمد عليهم . وفى ابن هشام رواية تقول إن هذا الإذن قد صدر عندما أمر النبى بقتل جميع الذكور من بنى قريظة ، وكان يمكن أن تكون هذه الرواية هى الأرجح ما لم تكن الأخرى بهذه القوة والتأكيد » [1] .

ولكن الرواية التى استشهد بها موير لا يمكن أن تكون أفضل

(1)The Life of Mahomet, Vol.III, pp. 148 - 149 , foot-note.

الروايات ولا أقواها كما سبق أن بينت . كذلك لم يقل ابن هشام إن هذا الإذن قد صدر أثناء قتل بنى قريظة ، بل كل ما هنالك أنه روى قصة محيصة وحويصة على أنها وقعت فى ذلك الوقت .

إجلاء بنى النضير

٨٤ـ بنو النضير :

لقد انتقد سير وليم موير إجلاء بني النضير قائلا : « إن الحجة التى حوصر على أساسها بنو النضيـر وأُجْلُـوا عن ديارهـم (وهى أن جبريل قد فضح تآمرهم على حياة الرسول) حجة متهافتة ولا تجدر بقضية شريفة » [١] . والواقع أن فى القرآن سورة كاملة مخصصة لبنى النضير ، لكنها لا تشير إلى ما يُنْسَب إليهم من جريمة التآمر على حياة الرسول ولا إلى أن إجلاءهم كان لهذا السبب . أما الروايات التى تتنـاول هـذا الموضـوع فـهى روايـات غيـر موثوقة ، ومن طرف واحد ، وخرافيـة . ولو أن مثـل هذه الرواية كـانت معروفة على عهد محمـد أو مـا يسمى بالصدر الأول لكـان أعـداد وفيـرة مـن الـرواة نقلوهـا إلينا [٢] . لقد كـانت جريمتـهم هى

---

(١) المرجع السابق/ جـ٤/ ص ٣٠٨ .

(٢) إن الرواية التى تقول إن محمدا ذهب إلى بنى النضير طالباً مساعدتهم فى دفع دية وإنهم تآمروا على قتله (موير/ جـ٣/ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩) كما رواها ابن اسحاق (فى ابن هشـام / ص ٦٥٢) هى روايـة مـرسلة (انظر الزرقـانى / جـ١/ ص٩٥) ، ومن ثم لم تكن معروفة فى عصر الرسول .

الخيانة (١) ، إذ كانوا عنصرا خطيراً على المدينة لأن التحالف فى أى وقت بين اليهود الخائنين والقرشيين المعتدين أو أى عدو أخر للإسلام كان من شأنه أن يشكل خطراً قاتلا على سلامة المدينة ، إلا أن إخراجهم كان عقوبة أقل كثيرا مما ينبغى .

٨٥ ـ لم يُقْطَع النخيل المثمر :

ويقال إن محمداً قد قطع النخيل الذى كان هناك وأحرق أفضل أشجاره أثناء محاصرته بنى النضير، وإنه قد سوّغ فعلته بإذاعة سورة « الحشر » (٢) . لكن أشجار النخيل التى قُطعَتْ لم تكن بها ثمار ولم تكن تمثل لبنى النضير ولا لغيرهم أى غذاء أساسى . و«اللّينة» المذكورة فى القرآن هى شجرة لا تعطى ثماراً ، أى أنه لم تُقْطَع أشجار مثمرة (الزرقانى/ جـ ٢ / ص ٩٨)، بل التى قطعت هى الأشجار التى لا تحمل ثمراً، وهو ما يسوغه قانون موسى (انظر سفر « التثنية » / الأصحاح العشرون / ٢٠).

---

(١) يقول ابن عقبة ، وهو أحد كتاب السيرة الأوائل (ت ١٤٠هـ) ، إن سبب غزوة بنى النضير هو أنهم قد حرضوا قريشا على الحرب ضد محمد ، وأنهم قد استطلعوا نقط الضعف فى المدينة . وقد أورد ابن مردويه وعبد بن حُميد وعبد الرزاق روايات قوامها أن قريشاً بعد بدر كتبت إلى يهود المدينة أن يشنوا حرباً ضد محمد ، وأن بنى النضير قد بيتوا النية على نقض العهد (انظر الزرقانى/ جـ٢/ ص٩٦ ـ ٩٧).

(2) Muir's Life of Mahomet ,Vol. III, pp. 202 , 213, foot-note .

النساء ومعاهدة الحديبية

٨٦ ـ النساء ومعاهدة الحديبية :

لم تكن هدنة الحديبية سارية على النساء ، وكان شرط تسليم الفارّين مقصوراً على الذكور ، أما إذا أتت امرأة من مكة إلى المدينة أثناء فترة الهدنة فبناءً على ما تأمر به الآية العاشرة من سورة «الممتحنة» كانت تُمْتَحَن ، فإن وُجد أنها مؤمنة أُبْقِيَتْ لأنه كان يحرم عليها أن تتزوج كافراً ، أمّا وليّها فقد كان على المسلمين أن يردوا عليه ما أنفقه عليها . لكن سير وليم موير قد فهم أن النساء اللاتى تشير إليها هذه الآية هن زوجات لبعض أهل مكة . يقول : « لقد كان كفر أزواجهن كفيلا بفسخ عقد الزواج الذى يربطهم بهن، وكان يحل لهن حينئذ أن يتزوجن من مؤمنين بشرط واحد هو أن يُدْفَع إلى أزواجهن الكفار ما قد أعطوه لهن من مهر »[1] . إلا أننا لا نجد شيئا يدل على أن هؤلاء النسوة كان لهن أزواج فى مكة أو يُثْبت أن زواجهن قد أُلغى بسبب كفر أزواجهن . كذلك فما دام القرآن قد حرم الزواج من نساء لهن أزواج (النساء / ٢٤) ، وما دامت الآية التى نحن بصددها الآن (الممتحنة / ١٠) لا تتحدث عنهن بوصفهن نساءً متزوجات، فإننى أستطيع القول بأن

---

(1) Muir's Life of Mahomet, Vol.IV, p. 44 .

هذه الآية إنما تتعلق بغير المتزوجات . ذلك أن شريعة القرآن لا تقضى بأن يكون كفر أحد الزوجين سبباً فى فصم عقد زواج تم سلفاً ، ولكنها تنهى المسلم أن يتزوج مشركةً وأهلَ المسلمة أن يزوجوها مشركا إلا إذا آمنا (البقرة / ٢٢١) .

٨٧ ـ ستانلى يدافع :

وبعد أن يستشهد سير وليم موير بالآيات ١٠ ـ ١٢ من سورة «الممتحنة» يقول : « لقد استشهد ستانلى فى حديثه عن « الرسالة الأولى إلى الكورنثيين » (الأصحاح الخامس / ١ ـ ٤٠) بالنص السابق قائلاً إن القاعدة التى تتضمنها هذه الآية تشبه القاعدة التى وضعها بولس » (جـ ١ / ص ١٤٥) . لكن لا توجد مشابهة بينهما فى الحقيقة ، فالقاعدة الإنجيلية تختلف تماما عن القاعدة التى وضعها محمد : « أىّ أخ عنده زوجة غير مؤمنة ويسرها أن تبقى معه فعليه ألا يسرحها ، ومثل ذلك ينطبق على الزوجة المؤمنة التى بعلها كافر » (١ كورنثيين / أصحاح ٧ / ١٢ ـ ١٦)، بينما يعلن محمد نقض ميثاق الزواج القائم بسبب كفر أحد الزوجين ، وهو ما لا يُتَوَقّع إلا من فكرته المنحلة عن عقد الزواج»[1]. أما أنا فأرى أن ستانلى صحيح تماماً وأن قاعدة الإنجيل والقاعدة القرآنية تتشابهان فى هذه المسألة ، لأن الأمر التالى :

(١) المرجع السابق/ ص٤٦ / بالهامش .

« لا هن (أى النساء المؤمنات) حلٌّ لهم (أى للكفار) ولا هم يَحلّون لهن » لا تتعلق بالنساء المتزوجات فعلاً ، وأن النص التالى ﴿ ولا تمسكوا بعصَم الكوافر ... وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار ... ﴾ يؤدى معنى ما جاء فى (١ كورنثيين / أصحاح ١٥/٧) : « أما إذا غادر الكفار فدعوهم يغادرون ، إذ لا يلزم الأخ أو الأخت عقد فى هذه الحالة » [١].

٨٨ ـ الزواج ميثاق غليظ :

لم تكن فكرة محمد عن الزواج فكرة منحلة ، فقد جعل من الزواج عقداً أقوى وأثبت مما كان عليه بين العرب وسماه « ميثاقا غليظا »[٢] . وكانت زينب ابنةُ محمد زوجةً لأحد الكفار ففرّت

(١) وهذه هى الآيات : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن. الله أعلم بإيمانهن . فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار. لا هنّ حلٌّ لهم ولا هم يحلون لهنّ . وآتوهم ما أنفقوا . ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن . واسألوا ما أنفقتم ، وليسألوا ما أنفقوا . ذلكم حكمَ الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم * وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا . واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون﴾ (الممتحنة / ١٠ ـ ١١) .

(٢) النساء / ٢٥ . وقد ناقشت بالتفصيل كيف نفّر محمد من الطلاق واتخذ فى القرآن عدة خطوات ليصعّب ما كان جاريا عند العرب من سهولة هذا الأمر ، وذلك فى كتابى "The Proposed Political, Legal and Social Reforms under Muslim Rule", PP. 120-143, Bombay Education Society, 1883 .

إلى أبيـها فى المدينة هرباً من الاضطهـاد الذى تعرضت له فى مكة بعد الهجرة [١] فلم يُلْغِ أبوها زواجهـا من زوجـها الكافر ، وعندما دخل خَتَنُه الإسـلام بعد مرور ست سنوات من مجىء زوجتـه إلى المدينة جمع محمد بينهما مرة أخرى بعقد الزواج الأول ، ولم يكن هناك زواج جديد ولا مهر جديد (انظر حديث ابن عباس عند أحمد وأبى داود وابن ماجة والترمذى) . كـمـا كـان لصـفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل زوجتان مؤمنتان عند فتح مكة ، ولم يفسخ محمد عقدى زواجهما (انظـر روايـة ابـن شهـاب فى « الموطـإ » وفى « طبقات ابن سعد ») ، وكذلك احتفظ ابن سفيان وحكيم ابن حزام بزوجتيهما الكافرتين بعد أن دخلا هما فى الإسلام ، ولم يُلْغِ محمد عَقْدَىْ زواجهما السابق (انظر الأحاديث التى ذكرها البخارى فى هذا المعنى). لكن من جاء بعد ذلك من الفـقـهـاء وعلماء الشريعة هم الذين فهموا من آية «الممتحنة» أن كفر أحد الزوجين يهدم عقد الزواج .

---

(١) وعندما سمع نبأ رحيلها بعضُ الأوباش من قريش خرجوا فى أثرها وفى عزمهم أن يعيدوها إلى مكة ، وكان أول من ظهر منهم هبّار ، الذى ضرب البعير برمحه ، مما أفزع زينب وتسبب فى إسقاط حملها (Muir's Life of Mahomet,Vol. IV, p. 7) .

الجهاد الشعبى

٨٩ ـ القرآن لا يوجب إلا الحروب الدفاعية :

كل الكتّاب العـاديين تقـريبـا ، المسلمين منهم والأوروبيين ، يظنون أن الحرب العدوانية الدينية هى واحدة من مبادىء الإسلام فرضها القرآن بغية إدخال الناس فى الدين لأخذ الجزية منهم ، لكنى لا أرى أن هذه القاعدة قد أمر بها القرآن أو علّمها محمد لأتباعه أو دعا إليها ، فإن مهـمته لم تكن شن الحروب أو المطالبة بالجزية أو القـضاء على من لم يؤمن برسالته ، بل مهـمته الوحيدة هى هداية العـرب إلى عبـادة الله الواحـد على النحو الصحيح والحضُّ على الفضيلة والنهى عن الرذيلة ، وهو ما أداه على خير وجه . أما كونه قـد اضطُهـد هو وأتبـاعـه وطُردوا من ديارهم وغُزوا وشُنّت عليـهم الحروب ، وأنهم لكى يصـدوا العـدوان وينالوا حرية الضـمـير ويؤمّنوا حياتهم ويمارسوا دينهم من غير حَجْر قد شنوا حروبا دفاعية ولاقَوْا جيوشا تتفوق عليهم فى العدد وعقـدوا معاهدات دفاعية لتأمين الغرض الرئيسى من الحرب ، ألا وهو أن تسلم حياتهم من الأذى فى مكة والمدينة ويستطيعوا الوصول إلى المسجد الحرام ويمارسوا شعائر دينهم فى حرية ، فـهـذه كلهـا مسـائـل منفـصلـة عـن موضـوع الجهـاد (أقصد الجهاد الشعبى ، أو شن الحرب بغية إدخال الناس فى الإسلام والمطالبة بالجزية والقضاء على الكفار) ، ولا مناسبة بينهـا وبينه ، وليس هناك مـا يربطهـا به . فكل الحـروب الدفـاعيـة

والآيات القرآنية التى تتعلق بذلك هى بلا ريب حروب وآيات مؤقتة ، وليس لها بطبيعتها صفة الدوام ، ومن ثم لا يمكن اتخاذها مثلاً أو جعلها مبدأ أو أمراً بشن حرب عدوانية ، كما أنها لم يُقْصَد بها أن تكون كذلك . بل لا يمكن أن تُتّخذ مثالاً أو أمراً بحرب دفاعية تقوم بها أمة أو دولة محمدية ، لأن الظروف التى شن محمد فى ظلها حروبه الدفاعية كانت كلها ظروفا محلية ووقتية . لكن جميع الكتاب الأوروبيين تقريباً لا يفهمون أن القرآن لا يدعو إلى حرب عدوانية ، بل كان عليه فقط فى ظل الظروف العدوانية أن يأمر بالحرب الدفاعية مقدّماً العذر بين يديه ومحرّماً تحريما باتا اتخاذَ أية إجراءات عدوانية .

٩٠ ـ الفقه والجهاد :

كل ما ورد فى القرآن من أمر بالقتال هو فى المحل الأول للدفاع عن النفس فقط وليس له أية علاقة بشن حرب عدوانية . كذلك لابد أن نُلاحظ على وجه الخصوص أن هذه الأوامر كانت مؤقتة بطبيعتها ، ولا يمكن اعتبارها أوامر حتمية لتطبيقها مستقبلاً أو مبادىء دينية تلتزم بها الأجيال المقبلة [١] ، بل هى إجراءات مؤقتة لمواجهة حالة الطوارىء الناجمة عن الظروف العدوانية . إن الفقه

(١) كان عطاء ، وهو قاض مكى متبحر فى العلم اشتهر فى نهاية القرن الأول للهجرة وكانت له مكانة عالية كفقيه ، يرى أن الجهاد كان مفروضاً على صحابة النبى فقط وليس واجباً على أحدٍ من بعدهم (انظر تفسير « مجمع البيان » للطبرسى/ الآية ٢١٢ من سورة « البقرة ») .

المحمدى مخطىء فى هذه المسألة بتجويزه مهاجمة الكفار بدون استفزاز من جانبهم ، ولكنه يضع هذا فى خانة فرض الكفاية لا فى فرض العين ، الذى يجب على كل مسلم فعله ، أما مهاجمة الكفار بدون استفزاز من جانبهم فلا تُعَدّ فرض عين ، ففى «الهداية» : «الجهاد فرض كفاية إذا قام به فريق من الناس سقط عن الباقين»[1] .

٩١ ـ متى يكون الجهاد فرض عين؟

يجعل الفقه المحمدى القتال فرض عين عندما يكون هناك نَفيرٌ عام فقط (أى عندما يغزو الكفار أرضاً إسلامية ويصدر الإمام نداء عاما يطلب فيه من الناس جميعاً أن يخرجوا للقتال ، لأن الحرب فى هذه الحالة تصبح فرض عين) [٢] ، وهذا ما يجيزه قانون الأمم وقانون الطبيعة .

٩٢ ـ الاستشهاد بما جاء فى « الهداية » وتخطئته :

جاء فى « الهداية » (تأليف نور الدين على المرغينانى المتوفى

---

(1) The Hidaya or Guide, or A Commentary on the Mussulman Laws, translated by Charles Hamilton, Vol. II. Book IX, Chapter I, P. 140, London, MDCCXCI .

(٢) المرجع السابق / جـ٢/ ص١٤١ .

٥٩٣ هـ) أن «قتال الكفار واجب وإن لم يبدأوا ، للعمومات»[1].
لكن الأوامر القرآنية لا تساعد على هذا التأكيد بل على العكس تناقضه مناقضة صريحة ، فهناك عدة آيات فى القرآن استشهدنا بها من قبل (الفقرات ١٦ ـ ٢٥) تحرم تحريما قاطعاً اتخاذ أية إجراءات عدوانية ولا توجب إلا الحرب الدفاعية ، وكذلك هناك بعض الآيات الأخرى التى تشبه الآيات المشار إليها فى وضوحها (أو بتعبير آخر : هى آيات مقيدة) .

ولكن القاعدة التى تحكم التفسير واتجاه القرآن العام وروحَه وسياقَ الآيات والنصوصَ المشابهة ، كل ذلك ينبىء أن تلك الآيات القليلة المطلقة ينبغى أن تفهم على أنها آيات مقيدة كى تتمشى مع نصوص أخرى أوضح وأقوى تعبيرا وأكثر تقييدا وكذلك مع قواعد التفسير العامة . فصاحب « الهداية » إذن وغيره من الكتاب الذين يؤلفون فى الفقه يستشهدون بهذه الآيات القليلة المطلقة الشاملة ويغمضون أعينهم عن تلك الآيات الكثيرة وعن اتجاه القرآن العام وروحه .

آيات مقيدة و مشروطة	آيات عامة أو مطلقة
سورة الحج/ ٣٩ ـ ٤٢	سورة البقرة/ ٢٤٥ (تُقْرأ مع الآية ٢٤٧)

(١) المرجع السابق / ص١٤١ .

سورة البقرة/ ١٨٦ ـ ١٨٩ ، ٢١٢ ، ٢١٤ سورة النساء/ ٧٦ـ٧٨ ، ٨٦ ، ٩١ـ١٠٣ سورة التوبة/٣٩ـ٤١ ، ٥٨ـ٦٦ ، ٧٣ـ٧٤ سورة الأنفال/ ١ ـ ١٥ ، ٢٩ ، ٣٦ وقد سبق الاستشهاد بهذه الآيات في الفقرات ١٦ ـ ٢٥ ، ٣٥ .	سورة الأنفال/ ١٢٤ وسياق هذه الآيات والنصوص المتشابهة وتاريخ نزولها كلها تبين أنها مقيدة ومشروطة كي تتمشى مع اتجاه القرآن العام

٩٣ ـ القاعدة التي تحكم التفسير: وليس هناك إلا آيتان اثنتان فقط (البقرة / ٢٤٥ ، والأنفال / ١٢٤)تشتملان على أمر مطلق وغير مشروط لشن الحرب على الكفار . وربما أمكنك أن تفصل بعض العبارات الأخرى أو تنتزع بعض أنصاف الآيات من بين تلك التي وردت في خانة « الآيات المقيدة » ، إلا أن الآيات المطلقة وكذلك أجزاء بعض الآيات الأخرى المنتزعة من السياق لا يمكن تبعاً لأية قاعدة من قواعد التفسير أن تدل على أمر مطلق بشن الحرب على الكفار من غير استفزاز من جانبهم ومن غير تقييد . وهناك قاعدة في تفسير القرآن وغيره من الكتب الدينية هي أنه إذا تعارض أمران : أحدهما مشروط ، والآخر عام أو مطلق ، وكانا كلاهما يتعلقان بموضوع واحد أُخذ بالأمر المشروط وحُمل المطلق عليه ، لأن الأول أكشف لما يريد قائل النصّ من الثاني الذي يُعَدّ غامضاً في عبارته .

والقاعدة هي : إذا وُجد نص غامض المعنى أو يتضمن تعبيرا غير مألوف أو يتناول مبدأ ما من غير تفصيل أو كانت ألفاظه عامة فلا بد من تأويله حتى يتوافق مع ما جاء في مواضع أخرى فيها العبارة

أوضح أو الموضوع أبين وأكثر تفصيلاً ، إذ لا يمكن شرح نص مفرد أو عام بما يتعارض مع نصوص كثيرة أخرى مقيدة مشروطة محدّدة ، بل يُؤَوّل حتى يتوافق معها مع بعض التحفظات المناسبة .

٩٤ ـ الفقه وشرّاحه :

ليس عجباً أن يكون الفقهاء المحمديون مخطئين فى هذه المسألة، لأنهم كقاعدة أو كأمر واقع قد جمعوا الفقه من مصادر مختلفة بغض النظر عن الحكم القرآنى ، ثم عنّى شراحُ الفقه أنفسَهم بالدفاع عمّا فيه من آراء ومبادىء وفتاوى وتسويغ للفتوحات الإسلامية التى تمت فى عهد الخلفاء بالاستشهاد بالقرآن . وهنا ارتكبوا خطأ لا يغتفر بالاستشهاد بأجزاء متفرقة من آيات قرآنية لا هى كافية الدلالة لا على ما استُشْهِد بها له ولا معناها عام . وهم بعملهم هذا يتجنبون ما ورد فى الموضوع ذاته من آيات كثيرة أخرى مقيدة وأصرح معنى .

٩٥ ـ الاستشهاد بكتاب « الكفاية » :

ويعلق مصنف « الكفاية » (أحد شروح « الهداية ») الذى اشتهر فى القرن السابع الهجرى على النص التالى : « وقتال الكفار واجب وإن لم يبدأوا » ، وهو ما سبق أن استشهدنا به فى الفقرة ٩٢ ، بقوله إن « قتال الكفار الذين لا يقبلون الإسلام ولا يدفعون الجزية واجب وإن لم يبدأوا بالقتال » . لقد ذكر صاحب

« الهداية » ذلك الإجراء العدوانى رغم أن قول الله : ﴿ فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ [(١)] يشير بوضوح إلى أن قتال الكفار غير واجب إلا إذا قاتلونا . لكن الوضع هنا مع ذلك مختلف ، إذ إن قتالهم فرض حتى لو لم يكونوا هم المعتدين [(٢)] .

٩٦ ـ استشهاد آخر :

ويمضى مصنف « الكفاية » محاولاً التوفيق بين نظريته ومبادىء القرآن المتعددة التى لا تجوّز حرب العدوان :

« اعلم أن الرسول كان مأمورا فى الابتداء بالصفح والإعراض عن المشركين. قال الله تعالى : ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾، وقال : ﴿وأعرض عن المشركين ﴾ . ثم أُمر بالدعاء وبالموعظة والمجادلة بالطريق الأحسن. قال عز وجل : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ . ثم أُمر بالقتال إذا كانت البداية منهم فقال : ﴿ أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا﴾، أى أذن لهم بالدفع ، وقال : ﴿ فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ ، وقال أيضا :

---

(١) البقرة / ١٩١ .

(٢) « الهداية » وعليها « الكفاية »/ جـ ٢/ ص ٧٠٨ / Calcutta Medical/ ١٨٣٤م. وكقاعدة عامة لا يشير المصنّفون المحمديون إلى أرقام الآيات القرآنية ، فهم عموماً يذكرون أول جملة أو جزءاً منها فقط .

﴿ وإن جنحوا للسّلْم فاجنح لها ﴾ . ثم أُمِر بالبداية بالقتال خلال فترة معينة . قال تعالى : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم ﴾ ، وبعد ذلك أُمِر بالقتال مطلقاً : فى كل وقت وفى كل مكان . قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ [1] .

٩٧ ـ الرد على « الكفاية » :

لقد جهد صاحب « الكفاية » هنا بالحيلة والمغالطة فى أن يصنف سياسة القرآن فيما يتعلق بجهاد الكفار إلى خمسة مراحل متتابعة :

المرحلة الأولى : العفو والصفح (الحجر / ٨٥ ، والأنفال / ١٠٦) .

المرحلة الثانية : الدعوة (الحجر / ١٢٥) .

المرحلة الثالثة : القتال دفاعاً عن النفس (الحج / ٣٩ ، والأنفال / ٦١ ، والبقرة / ٩١) .

المرحلة الرابعة : المبادأة بالقتال فى أوقات معينة (التوبة / ٥) .

المرحلة الخامسة : المبادأة بالقتال مطلقاً (البقرة / ١٩٣ ، والأنفال / ٣٩) .

---

(١) المرجع السابق فى نفس الموضع .

وهو بذلك مخطىء فيما يتعلق بالتاريخ وترتيب الحوادث واتجاه القرآن العام والروح السارية فيه ، بل إنه كذلك لا يبالى سياق الآيات التى يستشهد بها .

إن هذه الآيات تدعو إلى الصفح والإعراض والعفو والتغاضى والترك ، وهذه الدعوة موجودة حتى فى ما نزل من آيات فى آخر المرحلة المدنية (انظر البقرة / ١٠٩ ، والنساء / ٦٣ ، ٨٠ ، والمائدة/ ١٦ ، ٤٥ ، والأعراف / ١٩٩) ، وليس لها علاقة بالحرب أو بالسلام .

إن دعوة الناس إلى دين الله كانت هى مهمة الرسول الأساسية، ولم تقتصر على فترة معينة بل شملت أوقات الحرب والسلم معاً . حتى أثناء القتال كان على الرسول أن يعامل العدوّ برأفة إذا رغب أن يسمع دعوة الإسلام (انظر التوبة / ٦) .

٩٨ ـ بحث الآية الخامسة من سورة « التوبة » :

ليست الآية الخامسة من سورة «التوبة» أمراً بالمبادأة بالقتال أو بشن حرب عدوانية بأى حال ، فهذه الآية واحدة من عدة آيات نزلت بعد أن انتهك أهل مكة معاهدة الحديبية فهاجموا بنى خزاعة حلفاء محمد . لقد أُعْطِىَ المكيون مهلة أربعة أشهر يستسلمون بعدها، وإلا قوتلوا لنقضهم المعاهدة واعتدائهم على بنى خزاعة ، لكنهم استسلموا قبل انقضائها وفُتِحَتْ مكة صلحًا ، ومن ثم

فالآيات المشار إليها فيما سلف (التوبة / ١ ـ ١٥) لم توضع موضع التنفيذ ، فلم يكن هناك إذن أمر بشنّ حرب عدوانية . وقد بحثنا هذا الموضوع في الفقرات ٥١ ـ ٥٥ من هذا الكتاب ، ويمكن القارىء الرجوع إليها إذا أراد الإحاطة بالموضوع .

٩٩ـ بحث الآية ١٩٣ من سورة «البقرة» :

ليست الآية ١٩٣ من سورة «البقرة» أمراً بشن حرب عدوانية بحالٍ ، إذ لو قُرِئَت الآيات ١٩٠ ـ ١٩٣ بوصفها نصا واحداً لتبين أن الأمر بالقتال إنما كان دفاعاً عن النفس . وهذه الآيات هي :

﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا . إن الله لا يحب المعتدين * واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة (الاضطهاد) أشد من القتل . ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم . كذلك جزاء الكافرين * فإن انتهوْا فإن الله غفور رحيم * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ (أى اضطهاد) ويكون الدين لله ، فإن انتهْوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ .

١٠٠ـ الآيتان ١٩٣ من «البقرة» و ٣٩ من «الأنفال» دفاعيتان :

وإلى جانب ذلك فهذه الآية وكذلك الآية ٣٩ من سورة «الأنفال» تدلان دلالة ذاتية على أنهما تتعلقان بالحرب الدفاعية ، إذ إن لفظة « فتنة » فى هاتين الآيتين تشير بوضوح شديد إلى التعذيب

والعدوان وما أنزله أهل مكة بالمسلمين من صنوف الاضطهاد ، ومن ثم أبرزت الآيتان الغاية من القتال أو من الرد على القتال ، وهى القضاء على هذه الاضطهادات . إن فى الآيتين إشارة واضحة إلى الاضطهاد ، وقد أمَرَتا بالقتال بغية وضع حد له أو القضاء عليه . ولا شك أنه كان قتالاً قُصد به الدفاع عن النفس . كما تشير الآيتان أيضا إلى أن أهل مكة لم يكفّوا عن اضطهاد المسلمين والعدوان عليهم ، ومن ثم ذُكر فيهما أنهم إذا انتهَوْا عن عدوانهم فلن تكون ثمة عداوة . وهذا كاف تماماً للدلالة على أن هاتين الآيتين تتعلقان بحروب محمد الدفاعية .

١٠١ ـ كل الأوامر محلية ومؤقتة :

وأخيراً لو فُرض أن القرآن قد جوّز شن الحروب الهجومية على أهل مكة الذين بدأوا بالعدوان فإن هذا لا يثبت النظرية الفقهية أو المبدأ الفقهى الخاص بشن حروب هجومية مشروعة فى المستقبل احتجاجا بهذه الآيات ، فإن جميع الآيات التى وردت فى القرآن عن الحرب إنما تتعلق بالوثنيين العرب الذى أصروا طويلاً على عداوتهم للمسلمين ، أو اليهود الذى نقضوا عهدهم مع المسلمين وانحازوا إلى أعدائهم وساعدوهم ضدهم . إن هذه الآيات لا تلزم أحداً آخر تختلف ظروفه عن ظروف المسلمين فى المدينة (انظر الفقرة ٩٠) .

١٠٢ ـ الاستشهاد بالعينى والرد عليه :

ويتابع العينى [١] (أحدُ شراح « الهداية » والمتوفَّى سنة ٨٥٥هـ) صاحبَ « الكفاية » الذى سبق الاستشهاد به فيذكر بعض الآيات القرآنية التى تدور حول الحرب العدوانية ولم يوردها صاحب « الكفاية » ، وهى :

﴿ ... فقاتلوا أئمة الكفر ، إنهم لا أيمان لهم ، لعلهم ينتهون ﴾ (التوبة / ١٢) .

﴿ كُتب عليكم القتال وهو كُرْهٌ لكم ﴾ (البقرة / ٢١٦) .

﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهِدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ﴾ (التوبة / ٤١) .

لكن الآية الأولى إذا أُورِدَتْ تامة كانت كالآتى : ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر ، إنهم لا أيمان لهم ، لعلهم ينتهون ﴾ . وواضح تماماً أنها تتعلق بالحرب الدفاعية ، فإن نقض العهود والطعن فى الإسلام كانا هما السبب فى شن الحرب لعلّ المعتدين ينتهون . وهذه الآية واحدة من الآيات الأولى من سورة « التوبة » التى سبق بحثها (انظر الفقرة ٤٠).

---

(١) العينى فى « البناية » / مجلد٢/ جـ٢/ ص٧٨٩ .

كذلك لا تجوّز الآية الثانية (البقرة / ٢١٦) الحرب العدوانية، فإن الآية ٢١٤ من « البقرة » تتحدث صراحة عن الهجمات التى شنها المعتدون على المسلمين ، وقد سبق الاستشهاد بها كاملة فى الفقرة ١٧ .

أما الآية الثالثة فقد نزلت بمناسبة غزوة تبوك ، التى كانت بالتأكيد إجراءً دفاعيا ، وقد سبق بحث هذه الآية فى الفقرة ٤٠ .

١٠٣ ـ الاستشهاد بالسرخسى والردّ عليه :

ويقسّم السرخسى الملقب بشمس الأئمة (ت ٦٧١هـ) ، كما ورد فى « الرد المحتار » [1] لابن عابدين ، نزول الأمر بالقتال إلى عدة مراحل فيقول :

« اعلم أن الأمر بالقتال نزل مرتّبا ، فقد كان ﷺ مأمورا أوّلا بالتبليغ والإعراض : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعْرِض عن المشركين ﴾ ، ثم أُمِر بالمجادلة بالأحسن: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ ، ثم أُذن لهم بالقتال : ﴿ أُذن للذين يقاتَلون ... ﴾ ، ثم أُمروا بالقتال إن قاتلوهم : ﴿ فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ ، ثم أُمروا به بشرط انسلاخ الأشهر الحرم : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم فاقتلوا المشركين ﴾ ، ثم أُمروا به مطلقاً :

(١) جـ ٣ / ص ٢١٩ .

﴿ وقاتلوا فى سبيل الله ... ﴾ . واستقر الأمر على هذا » .

ولكن ليس هناك فى القرآن أمر بالقتال مطلقاً أو أمر بالعدوان . وقد سبق أن شرحتُ الآية الخامسة من سورة « التوبة » موضحا أنها لا تجيز الحرب العدوانية . والشيء نفسه يقال عن الآية ١٩٠ من سورة « البقرة » ، فإنها تتضمن شرط القتال ضد أولئك الذين يقاتلون المسلمين . أما الآية ٢٤ من السورة ذاتها فإنها مقيدة بالآية١٩٠ التى تتحدث عن الإجراءات الدفاعية (وقد سبق الاستشهاد بها فى الفقرة ١٧) .

١٠٤ ـ الاستشهاد بابن حَجَر والرد عليه :

يقول شهاب الدين أحمد بن حجر : « كان الجهاد فى عهد رسول الله ﷺ قبل الهجرة ممتنعا لأن الذى أُمر به ﷺ أول الأمر هو التبليغ والإنذار والصبر على أذى الكفار تألُّفاً لهم ، ثم بعدها أذن الله تعالى للمسلمين فى القتال بعد أن نهى عنه فى نيّف وسبعين آية إذا ابتدأهم الكفار به فقال : ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾ . وصحّ عن الزهرى : أول آية نزلت فى الإذن فيه: ﴿ أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا ﴾ ، أى أذن لهم فى القتال بدليل « يُقاتَلونَ » ، ثم أباح الابتداءَ به فى غير الأشهر الحُرُم بقوله : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ ، ثم فى السنة الثامنة بعد الفتح أمر به على الإطلاق لقوله : ﴿ انفروا خفافا وثقالا ﴾ ، ﴿ وقاتلوا المشركين كافة ﴾ ، وهذه

هى آية السيف . وقيل : التى قبلها ، وقيل : هما » [1].

١٠٥ ـ الرد على ابن حجر :

سبق أن شرحت الآيات التى استشهد بها المؤلف فى فقرات سابقة ، ولكنى سأبدى هنا بعض الملاحظات على الآية الوحيدة (التوبة / ٣٦) التى لم يجرؤ المؤلفون المذكورون على ذكرها لأنها تناقض ما يؤكدونه . وربما كان ذلك سهواً أملته السرعة على ابن حجر ، وهو ما يمكن قبول عذره فيه . إلا أننى لن أتردد فى القول بأن الفقهاء المحمديين بعامة عندما يدعمون نظرياتهم بما ورد فى القرآن يستشهدون بجزء من آية غير عابئين بالسياق الذى ورد فيه . وهم بهذا يتسببون فى ضرر كبير لا يمكن تداركه ، إذ يضللون غيرهم من الكتاب ، وبخاصة الأوروبيون كما هو واضح مما شهد به مستر لين وأوردناه فى الفقرة ١١٣ .

والآية التى يستشهد بها ابن حجر المكى فى الفقرة السابقة هى: ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ (التوبة/ ٣٦)، ومن الواضح أنها تتحدث عن الحرب الدفاعية ، وليس فيها أدنى إشارة إلى حرب عدوانية يشنّها المسلمون ، إذ إنها متعلقة بغزوة تبوك .

---

١) تحفة المحتاج فى شرح المنهاج / جـ ٤ / ص ١٣٧ .

١٠٦ ـ الاستشهاد بالحلبى : ويقول علىُّ الحلبى (ت ١٠٤٤هـ) صاحب «إنسان العيون» ، وهو كتاب فى السيرة النبوية : « لا يخفى أنه ﷺ مكث بضع عشرة سنة ينذر بالدعوة بغير قتال صابرا على شدة أذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له ﷺ ولأصحابه لأمر الله تعالى له بذلك ، أى بالإنذار والصبر على الأذى والكفّ بقوله : ﴿ وأعْرِض عنهم ﴾ وبقوله : ﴿ واصبر ﴾ ووعده بالفتح ، فكان يأتيه أصحابه بمكة ما بين مضروب ومشجوج فيقول ﷺ : « اصبروا ، فإنى لم أومر بالقتال » ، لأنهم كانوا بمكة شرذمة قليلة . ثم لما استقر أمره ﷺ بعد الهجرة وكثرت أتباعه ، وشأنهم أن يقدّموا محبته على محبة آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وأصر المشركون على الكفر والتكذيب ، أذن الله لنبيه ﷺ ولأصحابه فى القتال ، وذلك فى صفر فى السنة الثانية من الهجرة ، لكن لمن قاتلهم وابتدأهم به بقوله: ﴿ فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ ... ثم لما رمتهم العرب قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب حتى كانوا لا يبيتون إلا فى السلاح ولا يصبحون إلا فيه ويقولون : « ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله ؟ » أنزل الله : ﴿ وَعَد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَسْتخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليُمَكّنَنّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدّلَنّهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ ، ثم أُذن فى القتال ، أى أبيح الابتداء به حتى لمن لم يقاتل لكن فى غير الأشهر الحُرُم ، التى هى رجب وذو

القعدة وذو الحجة ومحرم » بقوله : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ..... ﴾ » ثم أُمِر به وجوبا بعد فتح مكة فى السنة الثامنة مطلقا » أى من غير تقييد بشرط ولا زمان » بقوله : ﴿ وقاتلوا المشركين كافّة ﴾ » أى جميعا فى أى زمن .. فعلِم أن القتال كان قبل الهجرة وبعدها إلى صفر من السنة الثانية محرّما » لأنه كان فى ذلك مأمورا بالتبليغ » وكان إنذارا بلا قتال لأنه نهى عنه فى نيف وسبعين آية » ثم صار مأذونا له » أى أُبيح قتال من قاتل » ثم أُبيح قتال من لم يبدأ به فى غير الأشهر الحرم » ثم أُمر به مطلقا » أى لمن قاتل ومن لم يقاتل » فى كل زمن » أى فى الأشهر الحرم وغيرها » [11] ..

١١٠٧ ـ الرد على الحلبى ::

لكن لا الآية الخامسة من سورة « براءة » ولا السادسة والثلاثون منها قد أجازت العدوان » فقد كانت مناسبة نزولهما حربا دفاعية .. وقد سبق شرح الآيات التى استشهد بها الحلبى جميعها وبحثها فى الفقرات ٧١٣ ـ ٨١١..

١١٠٨ ـ الاستشهاد بالعينى وتخطئته مرة أخرى ::

وقد استشهد العينى ((صاحب « البناية » أحد شروح « الهداية »))

((١١)) إنسان العيون // جـ ٢ // ص ٢٢٨/٩٩ ـ ٢٢٩/١١ ..

بآيتين قرآنيتين[١] وحديثين نبويين[٢] ليسوغ الحرب العدوانية قائلاً: « فإن قيل : « العمومات متعارضة لقوله تعالى : ﴿ فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ ، وهذا يدل على أن قتالهم إنما يجب إذا بدأونا بالقتال كما قاله الثورى ، أُجيب بأنه منسوخ بقولـه : ﴿ وقاتلوهم حتـى لا تكون فتنـة ﴾ وبقـوله : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله... ﴾ » [٣].
ولكن العينى يخطـىء فى تأكيده أن هاتين الآيتين قد نسختهـما الآيتان ١٩٣من « البقرة » و ٢٩ من « التوبة » . كذلك ليس هناك سند لمثل هـذا الافتراض الاعتباطـى . وفضـلا عن ذلك فهـاتان الآيتان كلتاهما (البقرة / ١٩٣ ، والتوبة/ ٣٩) تتعلقان بالحرب الدفاعية كما سبق أن بينا فى الفقرات ٩٦ ـ ٩٩ .

١٠٩ ـ متابعة ما سبق :

واضح من نص الآية ١٩٣ وجـود الفـتنة (أو الاضطهـاد) ومحاربة الكفار المعتدين للإسلام . وكان على المسلمين أن يستعيدوا حريتهـم المدنية والدينية التى حرِمـوا منهـا ظلما كى يقضوا على اضطهـاد أهل مكة لهم ، فكانت هـذه الحـرب التى قـام بهـا

(١) التوبة / ٥ ، ١٢. وقد سبق بحث هاتين الآيتين فى الفقرة ٤٠ .
(٢) « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » و « أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألاَّ إله إلاَّ الله » . انظر الفقرة التالية .
(٣) انظر شرح العينى على « الهداية » / مجلد ٢ / جـ ٢ / ص ٧٩٠ .

المسلمون ليصدوا عن أنفسهم العدوان حربَ دفاع وحماية للذات ، وهو ما أمرت به الآية . أما آية التوبة (٣٩) فتتعلق بغزوة تبوك أو بغزوة خيبر ، وهما غزوتان ذواتا طابع دفاعى . انظر الفقرات ٣٠ ـ ٣٢ .

١١٠ ـ الاستشهاد ببعض الأحاديث والرد عليها :

ويستشهد الفقهاء أيضا بحديث من «سنن أبى داود» يقول فيه النبى : « الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة » ، إلا أن كلمة « جهاد » لاتعنى حرفيًا أو أصليا « الحرب » أو « القتال فى الحرب » ، بل تعنى ، كما ورد فى الشعر القديم وفى القرآن ، أن يستفرغ الإنسان غاية وسعه ، أن يكدّ ، أن يكدح ، أن يبذل طاقته وجهده وقدرته ، وأن يعمل بهمة ويقظة وعزيمة وحرارة وإخلاص ، وأن يكون مثابراً دءوبا ، وألا يدخر وسعاً أى وسع . ثم إن يزيد بن شيبة ، وهو حلقة فى سلسلة الحديث ، مجهول [١] ، أى أن سيرته غير معروفةٍ ، ومن ثم فحديثه لا سند له .

وهناك حديث آخر فى البخارى جاء فيه : « أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله » ، إلا أن هذا الحديث يتعارض مع ما جاء فى القرآن من الأمر بالحرب دفاعاً عن النفس فقط ، أى

(١) انظر العينى فى شرحه على « الهداية » / مجلد ٢ / جـ ٢ / ص ٧٩٨ .

حتى لا تكون فتنة أو صراع أهلى (انظر البقرة / ١٩٣ ، والأنفال / ٣٩) . وعلى هذا فإما أن الحديث غير صحيح وإما أن الرواة أخطأوا تفسير كلام النبى .

١١١ ـ الاستشهاد بالمسلمين الأوائل على خطإ هذا التفسير :

سيتبين أيضاً من آراء المسلمين الأوائل ، وهم فقهاء القرنين الأول والثانى للهجرة ، مثل ابن عمر وسفيان الثورى وابن شبرمة وعطاء وعمرو بن دينار ، أن القرآن لم يجعل الاعتداء فى وقت نزوله أو فى المستقبل جائزاً ، فكل هؤلاء الفقهاء الأوائل كانوا يرون أن القتال غير واجب ديناً بل هو أمر اختيارى ، وأن المعتدين على المسلمين هم فقط الذين يقاتَلون [1] .

١١٢ ـ (أسقطتُ ترجمة هذه الفقرة لأنها لا تتضمن إلا ترجمة الصحابة والتابعين الذين مرت أسماؤهم فى الفقرة السابقة ـ المترجم) .

١١٣ ـ خطأ الكتّاب الأوروبيين :

وتبين شهادة مستر أوركهارت ومستر إدوارد وليم لين الخطأ الذى يقع فيه الكتاب الأوروبيون حين يؤكدون أن القرآن يجوّز العدوان ، أو بتعبير آخر : يجوّز شن الحرب على الكفار دون أى استفزاز من جانبهم . يقول لين : « لقد أخطأتُ الفهم بتأثير رأى

---

(١) المرجع السابق / جـ٢ / ص ٧٨٩ ـ ٧٩٠ .

أولئك الفقهاء وما هو سائد فى أوروبا فصوَّرتُ أحكام « الجهاد » أقسى مما وجدتُها فى القرآن نصا وروحًا أو فى المذهب الحنفى . وإنى مدين لمستر أوركهارت لاقتراحه علىَّ بضرورة مراجعة رأيى السابق فى هذه المسألة . ولا بد لى أن أذكر أنى مقتنع بأنْ ليس فى القرآن أى مبدإ يمكن ، لو فُهِم فى ضوء سياقه ، أن يسوِّغ شَنْ حرب عدوانية »[1].

١١٤ ـ الاستشهاد بسير وليم موير :

سأستشهد الآن بعدة ملاحظات لبعض الكتاب الأوروبيين ، ومن بينهم رجال دين ومبشرون يعملون فى الهند ، وذلك لأبين ضلالهم إذ عَزَوْا إلى القرآن وإلى محمد أنهما يأمران بالعدوان وبالإكراه على الإسلام : فالسير وليم موير يعرض مبادىء الإسلام بوصفها تتطلب شن حرب دائمة فيقول :

« كان أساسيا لاستمرار الإسلام أن يتابع دائمًا خطته العدوانية، وأن يفرض بحد السيف حقه المدَّعَى فى أن يُؤْمن به العالم كله أو على الأقل فى أن تكون له السيادة الشاملة فيه . وقد بدا فى ذلك الحين أن الأمر قد تحقق داخل الجزيرة العربية ، وبقى أن ينتصر

---

(1)The Modern Egyptians , by Edward William Lane, Vol. I, p. 117, London, 1871 .

اللتين على القبائل النصرانية والوثنية فى صحراء الشام ، ثم أن يتحدى إلى الحرب باسم الله إمبراطوريتى روما وفارس ، اللتين ردتا باحتقار على ما كان النبى وجهه إليهما قبل أربع سنين من دعوة تتضمن إنذاراً شديداً واللتين حان الوقت حينئذ لعقابهما » (١) .

أما المناسبة التى يشير إليها سير وليم موير هنا فهى محو ذكرى الهزيمة التى وقعت فى مؤتة ، وكان سبب هذه الغزوة قتلُ الرسول الذى بعث به محمد إلى أمير بصرى الغسّانى ، فأرسل محمد جماعة لمعاقبة شرحبيل الأمير المعتدى .. ولا يمكن قط أن يقال إن هذا العمل يدل على ولع بالحرب أو إنه منهج عدوانى لمتابعة القتال أو لتحقيق دعوى السيادة العالمية بحد السيف ..

١١٥ ـ الإسلام دين غير عدوانى :

يتبين تماماً من القرآن فى أكثر من موضع أن الإسلام كما دعا إليه محمد لم يكن قط ديناً عدوانياً .. لقد اضطهدت قريش محمداً طوال دعوته إلى رسالته وصدّته واحتقرته ، وأخيراً طاردته واضطرته إلى الهروب إلى مدينة نائية يبحث فيها عن الحماية .. لقد نفّوه وهاجموه وحاصروه وهزموه ومنعوه من العودة إلى مكة أو من زيارة الكعبة المشرفة هم والقبائل الأخرى المحيطة بهم والتى انضمت

(1) Muir's Life of Mahomet, Vol. IV, pp. 251 - 252.

إليهم. بل إن اليهود كذلك قد تآمروا عليه ولم يكونوا أقل عدوانية نحوه من حلفائهم القرشيين ، وحرضوهم على شن الحرب عليه ، واستقدموا جيشا جرارا مثبتين أنهم خونة وأنهم أخطر من القرشيين أنفسهم .

وكان من ثَمّ يعيش فى خطر وقلاقل لا تنقطع ، فكان مستحيلاً فى مثل هذه الظروف أن يكون عدوانيا أو تتاح له الفرصة ليتخذ خطة عدوانية أو يحاول بحد السيف فرض دينه على العالمين أو بسط سلطانه حتى لو كانت هذه نيته . لكنه لا يمكن أن يكون قد رحّب بفكرة فتح العالم . ويقر سير وليم موير فى محاضرة له ألقاها عام ١٨٨١م ، أى بعد عشرين عاماً من كتابة الفقرة التى أرد عليها الآن ، بأن « خَطْو الإسلام خارج الجزيرة العربية كان سببه الظروف وليس التخطيط المقصود ، فقد كان الإسلام فى الأصل مقصوداً به العرب ، وكانت الدعوة من البداية إلى النهاية موجهة إليهم أوّلاً » . كما يقول فى أحد الهوامش الخاصة بهذه المحاضرة (ص/ ٥) :

« صحيح أن محمداً قبل ثلاث سنوات أو أربع كان قد بعث برسائل إلى قيصر وكسرى وغيرهما من الحكام القريبين يدعوهم فيها إلى اعتناق الإسلام ، لكن هذه الخطوة لم تتْلُها أية خطوات

أخرى »⁽¹⁾ .

١١٦ ـ الاستشهاد بمستر فريمان :

يقول مستر فريمان عن محمد : « لقد كان أمام محمد مثال هو الشريعة الموسوية التي أعلنت على خُطاة كنعان إبادةً أشد قسوة ، وكان أمامه أيضا ما كانت تفعله القوى المحيطة به من نصرانية ويهودية ووثنية ، على رغم أنه كان يمكن أن يتعلم من الجفوة بين الشام ومصر وبين عرش القسطنطينية الأرثوذكسي كيف أن من السهل أن يفسد الاضطهادُ الغايةَ من ورائه . وفي ظل هذه الظروف لا يوجد سبب شديد الوجاهة لإدانته على لجوئه إلى السيف ، فهو لم يفعل أكثر مما كان يفعله سابقوه وكل الأمم المحيطة به . ومع ذلك يمكن القول بأن رجلاً كمحمد له هذه العبقرية العظيمة كان يُتَوَقَّع منه ، بلا افتئات عليه ، أن يرتفع فوق قيود الآراء المسبقة وينسج على غير مثال سابق »⁽²⁾.

---

(1)The Early Caliphate and Rise of Islam, being the Rede Lecture for 1881, delivered before the University of Cambridge , by Sir William Muir, K. C. S. I., LL. D., p. 5, London, 1881 .

(2)The History and Conquests of the Saracens, by Edward A. Freeman, D. C. L., LL. D.,pp. 41 - 42, London, 1877 .

لكن محمداً لم يقل قطُّ إنه يتبع خُطاَ موسى ويوشع فى شنّ حرب إبادة ونشر للدين ، بل احتكم فقط إلى السيف دفاعاً عن نفسه وعن أتباعه ، ولم يبد عليه قط أن به رغبة إلى اقتباس ما كانت تفعله الأمم من حوله من النصارى واليهود والمصريين ، بل كانت حروبه الدفاعية فى الحقيقة شديدة الاعتدال ، وبخاصة فيما يتعلق بمعاملة الأطفال والنساء والمسنين الذين لم يكن يجوز التعرض لهم قطّ ، وقبل كل شيء فيما كان يلقاه أُسارى الحرب من معاملة رقيقة ، إذ كانوا يُمَنُّ عليهم أو يُفْدَوْن . ولم يحدث قط أن استُرِقَّ أسير على عكس ما كان جارياً عند الأمم المحيطة بالعرب. وقد كان من نتيجة حروب محمد الدفاعية ما كسبته الإنسانية من مأثرة القضاء على الرق ، هذه المأثرة العظيمة الكريمة .

١١٧ ـ الاستشهاد بمستر ستيفن الموقّر :

ويقول مستر ستيفن الموقّر : « يأمر القرآن المسلم أمرا مطلقا وقاطعا أن يشن الحرب على كل من يرفض الإيمان بالنبى حتى يخضع أو يدفع الجزية لإعفاء نفسه من ذلك كما هو الحال مع اليهود والنصارى . إن رسالة المسلم ، كما بينها القرآن ، رسالة عدوانية حقاً . ويمكننا القول إن محمداً قد خلّف لأتباعه مهمة نشر الدين بالسيف إذا فشل الإقناع . إن العبارتين التاليتين : ﴿ فقاتل فى سبيل الله ﴾ ، ﴿حرض المؤمنين على القتال ﴾ هما مثال على

الوصايا التى كان محمد يعتقد أنها نزلت عليه من عند الله . أما ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ ، ﴿ وقاتلوا المشركين كافة ﴾ فعبارة عن مواعظ محمد نفسه لأتباعه » [١].

لكن السيد الموقرّ مخطىء أشد الخطإ فى ما يقوله فى حق القرآن ، إذ إنه لا يأمر المسلم أن يشن حربا عدوانية أو أن يُكْرِه الناس فى الدين ، وإن ما استشهد به ليس إلا آيات محرفة انتُزعت بعنف من سياقها ، ولا يمكن إيراد جزء منتزع من آية أو جملة مفردة منها لإثبات مبدإ أو نظرية ، بل لا بد من أخذ السياق جيداً فى الاعتبار ، وكذلك الاتجاه العام والنصوص المشابهة . إن الآيات التى يشير إليها مستر ستيفن هى الآية ٨٤ من سورة « النساء » ، والآيتان ٢٩ ، ٣٦ من سورة « الأنفال » ، وقد سبق إيراد هذه الآيات جميعها كاملة وبَحْثها فى موضع آخر من هذا الكتاب [٢] ، وهى إنما تتعلق بالحرب الدفاعية .

١١٨ ـ النقل عن مستر بوزورث سميث :

« لقد تحول التسامح الذى كان يوصى به محمد تجاه العقائد الأخرى تدريجيا إلى تعصب ، وأخذ يضطهد الآخرين بعد أن لم يعد

---

(1) Christianity and Islam : The Bible and the Koran, by the Rev. W. R. W. Stephen, pp. 98-99, London, 1877 .

(٢) انظر الفقرات ١٧ ، ٢٩ ، ١٢٦ .

يضطهده أحد ، وبرز إلى أم الأرض وفى إحدى يديه القرآن وفى الأخرى السيف يعرض عليها خطة من ثلاث : فإما الدخول فى الإسلام ، وإما الجزية ، وإما الموت » [(١)].

لكن محمداً لم يستبدل بخطته فى التسامح ولا دعوته إليه تعصباً ، فقد كان دائماً مضطهَداً فى مكة وفى المدينة ، ولم يحدث قط أن أصبح هو المضطهِد . وأما الاختيار الثلاثى الذى يكثر الحديث عنه دون دليل فى معظم الأحيان فغير موجود فى أى موضع فى القرآن . وقد بُحِثَ هذا الموضوع بحثا تاما فى الفقرات ٣٤ ـ ٣٩ .

١١٩ ـ النقل عن مستر . ج . سيل :

يقول مستر چورچ سيل فى مقدمته المشهورة لترجمة القرآن مشيراً إلى السنة الثالثة عشرة من بعثة محمد :

« كانت الطرق التى اتبعها محمد فى الدعوة إلى دينه حتى ذلك الحين طرقا حسنة عادلة ، ومن ثم فلا بد أن يُعْزَى كل ما حصل عليه من نجاح فى مهمته قبل الهجرة إلى الإقناع وحده لا إلى الإكراه ، إذ لم يُؤْذَن له قط قبل بيعة العقبة الثانية باللجوء إلى القوة . وهو فى عدة مواضع من القرآن يدعى أنها أُوحِيَت له أثناء

(1) Mohammed and Mohammedanism, Lectures delivered at the Royal Institution of Great Britain in February and March 1874, by R. Bosworth Smith, M. A., Second Edition, p. 137, London, 1876 .

مُقامه فى مكة يعلن أن مهمته ليست إلا التبليغ والتذكرة ، وأنه لا حق له فى إكراه أى إنسان على اعتناق دعوته ، وأنه ليس من شأنه أن يؤمن الناس أو لا يؤمنوا ، فذلك موكول إلى الله وحده . كذلك لم يسمح لأتباعه باستعمال القوة بل طلب منهم الصبر على ما كان يصيبهم من أضرار من جرّاء إيمانهم . وعندما وقع عليه اضطهاد آثَر ترك مسقط رأسه واللجوء إلى المدينة على أى ضرب من ضروب المقاومة . لكن هذا الاعتدال وتلك الاستكانة الشديدين كانا راجعين إلى افتقاره إلى القوة وإلى تفوق أعدائه الحاسم طوال السنوات الاثنتى عشرة الأولى من بعثته ، لأنه ما إن أصبح قادراً بفضل مساندة أهل المدينة على أن يصمد لأعدائه حتى أعلن أن الله قد أذن له ولأتباعه بالدفاع عن أنفسهم ضد الكفار ، وعندما ازداد عدد قواته بعد وقت طويل زعم أنه قد تلقى الإذن الإلهى بأن يهاجم الوثنية ويقضى عليها وأن يقيم الدين الحق بحد السيف ، فقد هدته خبرته إلى أن مشاريعه لن تتقدم إلا ببطء ، إن لم تُقْلَب رأساً على عقب . كما رأى أن أصحاب الأفكار الجديدة نادراً ما يتعرضون لأية مخاطرة إذا اعتمدوا على قوتهم فقط واستطاعوا إكراه الآخرين، ومن ثم توصل الزعيم السياسى إلى أن الأنبياء المسلحين قد نجحوا ، أما غيرهم فقد فشلوا . وما كان لموسى أو سيروس أو ثيسيوس أو رومولوس أن يستطيعوا فرض احترام أنظمتهم ومؤسساتهم لأية فترة من الوقت ما لم يكونوا مسلحين . ويقال إن آيات سورة « الحج » هى أول ما نزل من القرآن بالإذن لمحمد أن يدافع عن نفسه بقوة

السلاح ، وبعدها نزل عدد كبير من الآيات للغرض ذاته .

وربما أمكن القول بأن لمحمد الحقّ فى حمل السلاح دفاعاً عن نفسه ضد اضطهاد الظالمين ، ولكنى لن أقطع هنا برأى فى السؤال التالى : أكان يصح بعد ذلك أن يلجأ إلى هذه الوسيلة يقيم بها دينه ؟ إن البشرية لم تتفق على مدى جواز أو وجوب تدخل القوة المادية فى مثل هذه الأمور ، وإن طريقة هداية الناس بالسيف لا تعطى فكرة طيبة عن الدين الذى يُدْعَى إليه على هذا النحو ، كما أنها غير مقبولة من لَدُن أصحاب الديانات الأخرى على رغم أن هؤلاء الأشخاص أنفسهم على استعداد لقبول هذه الطريقة لنشر دينهم ، إذ مع أنه لا ينبغى لدين غير صحيح أن تؤسسه قوة السلطة فإن الدين الصحيح يجوز له ذلك ، مما يترتب عليه أن يمضى أصحاب القوة فى استخدامها ويمضى من ينزل بهم العنف فى الشكوى منها » [1] .

إننى لا أوافق مستر جورج سيل على قوله عن محمد إنه « عندما ازداد بعد وقتٍ طويل عددُ قواته زعم أنه تلقى الإذن الإلهى بأن يهاجم الوثنية ويقضى عليها وأن يقيم الدين الحق بحد السيف » ، إذ إنه لم يهاجم قط قريشا أو غيرها إلا للدفاع عن نفسه. لقد كان القضاء على الوثنية هو مهمته ، ولكنه لم يلجأ حتى

(1)The Koran, by George Sale , The " Chandos Classics", The Preliminary Discourse, Section II, pp. 37 - 38 .

فى ذلك إلى قوة السلاح . ولم يكن ثمة إكراه فى الدين، ولا تاريخه يشير إلى أى استئصال للوثنيين بحد السيف من ديارهم بوصفهما غاية رسالته . لقد كان لابد أن يُوضَع حدّ للاضطهادات والمنازعات الأهلية أو يُزَال هذا كله ، فاستُعْملت القوة لصدّ القوة ، ولا شيء غير ذلك . ولم يقع أبداً أن أكره محمد أى إنسان على اعتناق دينه .

١٢٠ ـ النقل عن ميجور أوزبورن

لقد رسم ميجور أوزبورن فى كتابه "Islam under the Arabs" صورة مظلمة لما سماه عقيدة الجهاد (١)، واصفاً حروب محمد الدفاعية بأنها « وسيلة ارتزاق كانت مألوفة لدى العقل العربى الذى لم يكن يرى فيها ما يُخْجِل أو يُعَدّ انتهاكاً للأخلاق . لقد كان هذا سطواً ، فلم لا يحق للمؤمنين أن يوسعوا ضيق أرزاقهم باستخدام هذه الشُغْلة الشريفة المربحة المتاحة لكل من فى يده سيف ويعرف كيف يستخدمه ؟ فمن المؤكد أن نَهْب هؤلاء الكفار لإطعام الجائعين وكساء العراة من شعب الله سيكون عملاً يرضى الله . وهكذا كانت أول خطوة لتحويل الإسلام إلى دين السيف » (ص/ ٤٦ ـ ٤٧) . ثم يقول ميجور أوزبورن : « إن سورة « التوبة » هى السورة التى تتضمن إعلان النبى الحرب على أتباع جميع

(1) London, Longmans, Green & Co.,1876, pp. 46 - 54 .

الديانات الأخرى غير الإسلام » (ص/٥٢) ، ثم يستشهد بعدة آيات بعضها أنصاف جمل محرفة تحريفاً شديداً ، وذلك من سورة « الأنفال » و «التوبة » على نحو متتابع من غير أن يذكر أرقام الآيات . وهذه الآيات هى : الآيات ٢٠ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٨١، ١٢٠ من سورة « التوبة » ، والآية ٦٧ من سورة « الأنفال » ، والآيات ٣٦ ، ٥ ، ٢٩ ، ١٩ من سورة « التوبة » ، والآية ٤ من سورة « محمد » ، والآية ٥ من سورة « التوبة » ، والآية ٤٢ من سورة « الأنفال » . ويختم الميجور العالم كلامه قائلا : « وهذه طبيعة الحرب المقدسة التى أُمر بها المؤمنون . إنها أعظم إنجازات محمد وأسوأها معاً. لقد أدرك حين كان يتعرض للاضطهاد كيف يفشل التعذيب البدنى فى جعل العقل يؤمن بدين جديد . لقد كانت إحدى الحكَم التى أرساها هى ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ . كما قال فى مناسبات سابقة متحدثا إلى اليهود والنصارى : ﴿ لكلٌ جعلنا منكم شرْعَةً ومنهاجًا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات . إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ ، لكن نشوة النصر كانت قد طمست منذ وقت طويل على صوت نفسه الطيبة . إن النبى العجوز، وهو يقف على حافة القبر مخلفا وراءه الأمر بحرب تشمل العالم بوصفها وصيته الأخيرة ، ليذكرنا بقوة على سبيل التضاد بآخر ما قال معلم دينى آخر لحوارييه من أنه ينبغى عليهم أن يذهبوا إلى جميع الأمم ويبلغوها بشارة السلام . وليست الاستجابة لكلتا الوصيتين بأقلّ لفتا للنظر إلى هذا التضاد : ففى ناحية نرى العربى ،

وقد أمسك القرآن بيد والسيفَ بالأخرى ، ينشر عقيدته بين وهج المدن المحترقة وصرخات البيوت المنتهكة ، وفى الناحية الأخرى نرى حواريى المسيح يؤدون عملهم وسط ظلمات العالم الرومانى الأخلاقية بقوة النور التى لا تقاوَم رغم لطفها ، واضعين بذلك أسساً للمجتمع جديدة ومطهرين من أساسها ينابيع الحياة الأسرية والقومية » .

١٢١ ـ الرد على ميجور أوزبورن :

إن المؤلف العالم الذى نقلت عنه آنفا إما أنه لم يفهم طبيعة الحروب التى خاضها نبى الإسلام وإمّا أنه أساء عرضها إساءة بالغة . لقد أخطأ فى نقطتين : فهو أولاً قد جعل هذه الحروب حروب غزو وإكراه وعدوان . والصحيح أنها كانت جميعاً فى سبيل الدفاع عن الحقوق المدنية والدينية للمسلمين الأوائل الذين ، كما سبق أن ذكرت ، اضطُهدوا وأُزعجوا وعُذّبوا فى مكة من أجل دينهم ، والذين بعد فترة طويلة من الاضطهاد العنيف المستمر أُخْضِعوا لصنوف من المعاناة أقسى وأشدّ وطُرِدوا من ديارهم تاركين وراءهم لمصائب الاضطهاد أقارب وإخوانا فى الدين أعزّة عليهم ، والذين هاجمتهم فى مهاجَرهم أعداد متفوقة من قريش ومعها عدد من القبائل المحيطة من عرب ويهود يظاهرونها على العدوان شانّين عليهم الغارات المخرِّبة ومهددين حياتهم بألوان من الشقاء أعظم وأضخم . من هذا يتضح أن هذه الحروب لم تكن حروب غزو ولا حروب إكراه فى الدين . والخطأ الأكبر الثانى الذى وقع فيه ميجور أوزبورن هو أنه فهم من أوامر

الحرب ضد المكيين وغيرهم من المعتدين أنها فرض عام فى الإسلام بشن الحرب على غير المؤمنين جميعاً . إن هذه الأوامر فى الحقيقة موجهة فقط ضد أولئك المعتدين الذين تعدَّوْا تعدّيا شديدا على حقوق المسلمين الأوائل وحرياتهم ونكبوهم بأضرار بالغة . فهذه الأوامر لم تكن وليس لها أية علاقة بتوجيه العالم الإسلامى فى المستقبل .

١٢٢ ـ سورة « التوبة » :

إنه لَتحريف بالغ من ميجور أوزبورن أن يؤكد أن « سورة « التوبة » تتضمن إعلان النبىِّ الحربَ على أتباع جميع الديانات الأخرى غير الإسلام » ، فليس من قول أبعد عن الحقيقة من قوله هذا ، إذ إن هذه السورة ، أو على الأصح الآيات الأولى منها ، تتضمن إعلان النبى الحرب على كفار مكة الذين نقضوا معاهدة الحديبية واعتدوا على المسلمين (التوبة / ٤ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ . انظر الفقرات ٢٣ ـ ٢٥) . وقد أعطتهم هذه الآيات مهلة أربعة أشهر لكنهم استسلموا وفُتِحَتْ مكة صلحاً ، مما كانت نتيجته أن الحرب التى أعلنتها السورة لم تقع . أما أولئك الذين لم ينقُضوا عهدهم فلهم وضع خاص ، إذ لا تتعلق بهم مهلة الأربعة أشهر (سورة « التوبة » / الآيتان ٤ ، ٧ اللتان استشهدنا بهما سابقا فى الفقرة ١٧) . وهكذا يتضح تماماً أن الحرب قد أُعْلِنت فقط على

المعتدين الذين نقضوا الصلح وليس على معتنقى الديانات الأخرى غير الإسلام . لقد سبق أن بحثت سورة « التوبة » فى الفقرة ٤٠ من هذا الكتاب . أما بقية الآيات فهى تتعلق بغزوة تبوك ، التى كانت دفاعية الطابع تماماً كما وضحت فى الفقرة ٣٣ (انظر أيضا الفقرة ٤٢).

١٢٣ ـ النقل عن الموقّر ويرى :

يقول إ.م. ويرى المحترم ، فى ملاحظته على مقدمة سيل لترجمة القرآن ، إنه «على رغم احتذاء محمد مثال موسى وتصوّره أنه يتبع خطواته حين أصدر الأمر بقتال الكفار فليس ثمة مجال للمقارنة بينهما فيما يتعلق بالحرب ضد الكفار ، إذ أُمِر الإسرائيليون أن يقتلوا الكنعانيين بوصفهم أدوات تخريب إلهية ، لكن محمداً قد شن الحرب لكسب معتنقين جدد . لقد كان محرما على الإسرائيليين إدخال أحد من الكنعانيين إلى دينهم ، أما المسلمون فقد طُلِب إليهم نشر دينهم بقوة السيف » [1] .

لكن محمداً لم يقل قط إنه يتبع خطوات موسى عندما أصدر أمره بالقتال دفاعاً عن النفس وصدّا للقوة بالقوة، ولا يمكن أن يكون

---

(1) A Comprehensive Commentary on the Quran, comprising Sale's Translation and Preliminiary Discourse, with Additional Notes and Emendations, by the Rev. E. M. Wherry, M.A., p. 220, London, Trübner & Co.,1882 .

ثمة وجه للمقارنة بحالٍ بين حروب موسى التى لم تكن إلا حروب غزوٍ وعدوان وإبادة واستئصال وبين حروب محمد التى قام بها للدفاع عن النفس . إن محمداً لم يبدأ عمله بحرب متصلة لإدخال الناس فى دينه ، ولم يُدْخِل أحداً قط فى دينه بقوة السيف المحضة . يقول مستر ت. هـ. هورن فيما يتعلق بإبادة الكنعانيين : « إنهم ، بعد أن نَفَدَ صبر الله عليهم ، كان لا يزال أمامهم إما الفرار إلى مكان آخر كما فعل فى الواقع كثير منهم ، وإما التخلى عن أصنامهم وعبادة إله اسرائيل (انظر سفر « التثنية » / الأصحاح العشرون / ١٠ ـ ١٧) »[1]. ولا ريب فى أن هذا إكراه فى الدين وتحويل للناس عن عقيدتهم بحد السيف .

١٢٤ ـ ذكر مثال من التاريخ اليهودى :

ثمة مثال واحد لا غير من تاريخ اليهود ذكره القرآن بخصوص حرب محمد الدفاعية ، وهو سؤال بنى إسرائيل نبيهم أن يبعث لهم ملكا ليقاتلوا الفلسطينيين الذين طالما ساموهم الظلم ، فنُصِّب طالوت ملكاً عليهم ، وقَتَل داودُ جالوتَ دفاعاً عن الإسرائيليين . وقد سبق أن أوردت الآيات التى تتعلق بهذا الموضوع (سورة البقرة / ٢٤٦ ـ ٢٥١ فى الفقرة ١٧) :

(1) An Introduction to the Critical Study and Knowledge of the Holy Scripture, by Thomas Hartwell Horne, Esq., M. A., Vol. II, p. 524, London, 1828 .

﴿ ألم تر إلى الملإ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم : ابعث لنا ملكا نقاتلْ فى سبيل الله ؟ قال : هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألاّ تقاتلوا ؟ قالوا : وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أُخرِجْنا من ديارنا وأبنائنا ؟ ﴾ . فهذا يبين أن ما احتذاه القرآن أو محمد من تاريخ اليهود إنما كان حربهم الدفاعية .

١٢٥ ـ التعاليم الموسوية :

إنه لظلم بيّن من النصارى أن يهوّلوا فى الحديث عن حروب محمد التى كانت دفاعية تماماً ، بينما يقدمون الأعذار عما قام به موسى ويوشع وغيرهما من زعماء اليهود من أقسى ما عرف التاريخ من حروب الغزو والإبادة بناء على أوامر الله الصريحة (انظر سفر «العدد»/ الأصحاح ٣١ ، وسفر « التثنية » / الأصحاح ٢١ وغير ذلك) .

ولكن انظر إلى ما يقوله مستر ويرى فيما كتب عن الآية ١٩٠ من سورة « البقرة » :

« لقد هوّل اللاهوتيون النصارى بخصوص مثل قوله : ﴿ واقتلوهم ... ﴾ ليبينوا شخصية النبى العربى القاسية وليصلوا من ذلك إلى أنه كان دجّالاً وأن قرآنه تدليس . ولست أنكر أن محمداً كان قاسياً ، ولكنا نظن أن طريقة الهجوم هذه لا توصف بأقل من أنها غير مقنعة ، لأن من الممكن استخدامها ضد العهد القديم ، إذ لو قُبلَت دعوى محمد تلقّىَ الأمر الإلهى باستئصال الوثنية عن طريق قتل الوثنيين

الصّلاب الرقبة لما كان هنـاك اعتراض فى رأيى علـى تنفيذه هذا الأمر . إلا أن المسألة هى : هل أمر الله بقتل عبدة الأوثان فعلاً كما أمر بإبادة الكنعانيين والعمالقة ؟ إننا لو نظرنا إلى الأمر بعين المسلم، الذى يؤمن بأن الله قـد أمـر بذلك محمداً وأتباعه ، فإن الدفاع عن أخلاقه فيما يتعلق بهذا الموضوع يصبح ممكنا ، وبالتحديد بناء على الأساس عينه الذى يدافع النصارى به عن موسى ويوشع.» [١] .

١٢٦ ـ النقل عن الموقّر ت . پ . هيوز :

يقول الموقر ت. پ. هيـوز فى ملاحظاته على الديانة المحمدية : « الجهاد (حرفيا "effort") هو حرب دينية على الكفار كما أمر بها محمد فى القرآن : ﴿ فقاتل فى سبيل الله ﴾ ، ﴿وكُلاً وعَدَ الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين ﴾ (النساء/ ٨٤ ، ٩٥)، ﴿ والذين قُتلوا[*] فى سبيل الله فلن يُضلّ أعمالهم ﴾ (محمد / ٤) » [٢].

لكن الآية الأولى التى استشهد بها مستر هيوز تتعلق بالحرب

---

(1) Commentary on the Quran, by the Rev. Wherry p . 358 .

(*) ترجم المؤلف هذه الكلمة هكذا : " those who fight " ، ومعناها : « الذين قاتلوا » وليس « الذين قُتلوا » .

(1) Notes on Mohammedanism. being Outlines of the Religious System of Islam, by the Rev. T. P. Hughes. M. R. A. S., Missionary to the Afgans, 1877. Vol.II. p. 206 . Second Edition, 1877.

دفاعًا عن النفس . وهى ذاتها تشير إلى هذا بوضوح ، إلا أن مستر هيوز لم يحب أن يوردها كاملة مكتفيا بإيراد نصف جملة منها مغلقا عينه عن بقيتها . لقد سبق أن أوردت هذه الآية فى الفقرة ١٧ ، وهى كما يلى: ﴿ فقاتل فى سبيل الله ، لا تُكلَّفُ إلا نفسك، وحرِّض المؤمنين ، عسى الله أن يكفَّ بأس الذين كفروا . والله أشد بأسًا وأشد تنكيلا ﴾ (النساء / ٨٤). إن الاضطهاد البالغ القسوة والتعذيب الأليم والعدوان الباطش الذى قام به أهل مكة وحلفاؤهم ، كل ذلك تشير إليه كلمة « بأس » (وترجمتها بالإنجليزية " prowess ") وتذكره الآية ٧٧ من السورة نفسها ، وهى تبين أن الحرب المأمور بها هنا كانت لإيقاف اعتداءات الخصم وصد القوة بالقوة . ولذلك فمما يجانب الإنصاف أن يلْوِى الموقر ت. پ. هيوز نصف جملة وينتزعها من سياق الآية ويبرزها للتمثيل والتدليل على غرض فى نفسه .

١٢٧ ـ معنى « الجهاد » :

أما الآية الثانية التى استشهد بها المؤلف فهى مجرد خطإ فى الترجمة ، إذ لا يوجد فى النص الأصلى كلمة يمكن ترجمتها بـ " fighting " . والترجمة الحقيقية للجملة المستشهد بها هى :
" Good promesses hath he made to all, But God hath assigned to the *strenuous*. a rich recompense above those who sit still at home ". والكلمة التى تُرْجِمَتْ بـ "strenuous "

هى فى النص الأصلى « مجاهد » (وجمعها « مجاهدون » ، من الجهاد) ، وهى فى العربية الفصحى القديمة وفى القرآن كله تعنى أن يستفرغ الإنسان وسعه ، أن يبذل جهده ، أن يكدح ، أن يكدّ ، أن يعمل بهمة ويقظة وعزيمة وحرارة وإخلاص أو بنشاط ، ولا تعنى قتالاً أو حرباً ، ثم استُعْمِلت بعد ذلك فى معنى « الحرب الدينية » ، إلا إنها لم تُسْتَعْمَل فى القرآن لهذا المعنى قطّ .

١٢٨ ـ سورة « محمد » / الآية ٥ :

كذلك فإن المثال الذى استشهد به مستر هيوز هو خطأ فى ترجمة جملة من الآية الخامسة من سورة « محمد » ، إذ اللفظة الأصلية هى « قُتِلوا : those who are killed » وليس « قاتلوا : those who fight » كما ترجمها وشرحها المؤلف . وبذلك تكون الترجمة الصحيحة للجملة هى : " and those who are killed , their work God will not suffer to miscarry ". إن بعضا يقرأ الكلمة هكذا : « قاتَلوا » وهى تعنى " those who fight " ، ولكن القراءة الشائعة المحققة هى « قُتِلوا » . وحتى لو سلمنا بأن القراءة الأولى هى القراءة الصحيحة فإن معناها يتضح من عدة آيات أخرى تعنى القتال دفاعا لا القتال عدوانا ، وهو ما لم يَدْعُ إليه القرآن بل حرّمه (البقرة / ١٩٠). والآية التى تدل على هذا المعنى هى : ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا . إن الله لا يحب

المعتدين ﴾ ، وهى تجوّز الحرب الدفاعية فقط وتحرّم كل إجراء عدوانى . ويجب أن نفسر كل الآيات الأخرى التى تتعلق بما يقوم به المسلمون من قتال تفسيراً يتسق مع هذه الآية .

١٢٩ ـ النقل عن مستر مالكولم ماكُلْ الموقر :

ويقول مستر مالكولم ماكُل الموقَّر : « يقسم القرآن الأرض إلى دار الإسلام ودار الحرب ، وكل من لا ينتمى إلى الإسلام فهو ضدُّه، ومن ثم فواجب المؤمنين أن يقاتلوا الكفار حتى يعتنقوا الإسلام أو يُقْضَى عليهم ، وهو ما يسمى بالجهاد أو الحرب الدينية ، التى لا يمكن أن تنتهى إلاَّ باستسلام آخر كافر على ظهر الأرض أو موته . وهكذا فإن واجب أمير المؤمنين هو شن الحرب على غير المسلمين كلما سنحت الفرصة . إلا أن دار الحرب تنقسم بدورها إلى « وثنيين » و « أهل كتاب (وهم اليهود والسامريون والنصارى)». إن سكان دار الحرب جميعهم كفار ، ومن ثم فهم خارج دائرة النجاة ، ومع ذلك فلأهل الكتاب بعض الامتيازات هنا على الأرض إذا خضعوا لما يفرضه الإسلام من شروط . ذلك أن غيرهم من الكفار لا بد أن يختاروا واحداً من اثنين : الإسلام أو السيف ، أما هم فأمامهم اختيار ثالث هو الخضوع ودفع الجزية . لكنهم إذا رفضوا الخضوع وعادوا إلى محاربة المؤمنين فإنهم يجرى عليهم فى الحال ما يجرى على غيرهم من الكفار ، ويمكن

باختصار أن يُقتَلوا أو يباعوا رقيقا »(١).

إن السيد الموقر ، للأسف الشديد ، مخطئ تماماً فى تأكيداته ضدّ القرآن ، إذ إن تقسيم العالم على هذا النحو لا وجود له فى القرآن . لا ولا وجود كذلك لتعبيرَىْ « دار الإسلام ، ودار الحرب » فى أى مكانٍ فيه . وليس فى القرآن أمر للمؤمنين بأن يقاتلوا الكفار حتى يعتنقوا الإسلام أو يقتلوهم . أما مصطلحا« دار الإسلام »و« دار الحرب » فلا يوجدان إلا فى الفقه المحمدى ولا يستعملان إلا فى أمور القضاء ، إذ ما من قاضٍ مسلم يصدر حكماً فى قضيةٍ على شخص ارتكب جريمة فى بلد أجنبى ، والأمر نفسه ينطبق على المحاكم المدنية(٢) . وليس يلزم أن يكون جميع من يعيشون فى دار الحرب كفاراً ، فإن بعض المحمديين يمكن أن يكونوا ، على الدوام أو لفترة مؤقتة عن طريق حصولهم على إذنٍ من حاكم بلد أجنبى ، من سكان « دار الحرب » ، وهى أىّ بلدٍ لا يقع فى اختصاص القضاء الإسلامى أو يكون فى حرب معه .

١٣٠ ـ نظريات الفقه التى لا يمكن الدفاع عنها ، والخاتمة :

ليست إلا نظرية فى فقهنا (فى أبوابه الخاصة بالجهاد

(1)The Nineteenth Century, London, December 1877, p. 832 .

(٢) هذا الموضوع عُولج معالجة شاملة فى كتابى "The Proposed Political, Legal, and Social Reforms in Muslim States ", pp. 22 - 25, Bomboy, Education Society Press, 1883 .

والعلاقات الدولية) تلك التى تجوّز بدون استفزاز من غير المسلمين شن حرب عليهم طلباً للجزية من أهل الكتاب وغيرهم من عبدة الأوثان ما عدا هؤلاء الذين يسكنون جزيرة العرب ، فإن المذهب الحنفى لا يقبل إلاّ أن يتحولوا إلى الإسلام أو يُقْضَى عليهم بالسيف. إن فقهاءنا بعامة يدعمون نظرياتهم باستشهادات من القرآن ومن السنة مهما تكن طريقتهم فى الاستنتاج والاستنباط غير معقولة ولا يمكن الدفاع عنها . وهم ، فى نظريتهم هذه المتعلقة بشن الحرب على غير المسلمين وطلب الجزية منهم ، يستشهدون بآيات «الأنفال» وغيرها ، وقد سبق أن أوردنا وشرحنا هذه الآيات . وإن ما يلجأون إليه فى استنباط هذه النظريات الحربية من القرآن من مغالطة وتحايل لهو أمر عقيم ، فهذه الآيات إنما تتعلّق بالحروب التى شنها النبى وأتباعه خالصة للدفاع عن النفس ، فلا هى كانت تتعلّق بشنّ حربٍ عدوانية أو للحصول على الجزية فى عهد محمد ، ولا كان من الممكن أن تُجْعَل قانونا لما سيقع فى المستقبل من فتح حربى . لقد كانت هذه الآيات مؤقتة التنفيذ ودفاعية الطابع تماماً ، وإن الفقه الإسلامى ليس بحالٍ قانوناً إلهيا أو عُلْويا ، فهو فى معظمه يتكون من أحاديث غير موثوق بها ، وعادات وأعراف عربية ، وبعض الاستنباطات القليلة القيمة والعَرَضيّة التى أُخذَت من القرآن ، وكذلك مجموعةٍ ضخمة من المغالطات والتحايلات قام بها الفقهاء ولم يحدث أن عدَّها مقدسةً أو غير قابلة للتغيير المستنيرون من

المحمديين فى أى أقليم أو فى أى عصر منذ تصنيفها فى القرن الرابع الهجرى ، إذ لم يقم أحد من المجتهدين وأهل الحديث وغيرهم من الفقهاء غير المقلّدين أىّ اعتبار للمذاهب الفقهية المحمدية الأربعة (أو القانون العام) .

ـ الآية ١٦ من سورة « الفتح » ، والآيتان ٤ ـ ٥ من سورة « محمد » :

لا يستشهد الفقهاء عموماً بل بعضٌ قليل منهم فقط بالآية ١٦ من سورة « الفتح » ليدعموا بها نظريتهم فى الجهاد ، إذ إنها لا تأخذ شكل طلبٍ أو أمرٍ بل هى أقرب إلى أن تكون نبوءة :

﴿ قل للمخلَّفين من الأعراب : ستُدْعَوْن إلى قوم أُولِى بأسٍ شديد تقاتلونهم أو يُسْلِمون ... ﴾ [(١)].

---

(١) يترجم سير وليم موير وغيره من مترجمى القرآن الأوروبيين كلمة « يُسْلمون » بـ " they shall profess Islam ". (انظر The Life of Mahomet, Vol. IV, p. 39, foot-note) ، إلا أنها ينبغى ترجمتها بـ " they shall submit". إن هناك اختلافاً فى الرأى بين المفسرين والفقهاء حول هذه الكلمة: فبعضهم يفسرها على المعنى الأول ، والآخرون يفسرونها على المعنى الثانى. وهذا الاختلاف فى التفسير هو اختلاف مذهبى ، إذ كل فريق يريد أن يدعم رأيه . إن أولئك الفقهاء الذين يرون أن المشركين وعبدة الأصنام يمكن إما أن يقاتلوا وإمّا أن يخضعوا لسلطان الإسلام عن طريق دفع الجزية يفهمون الكلمة بمعنى الخضوع والاستسلام لا غير ، أما أولئك الذين يرون أنّ أهل الكتاب هم فقط الذين تقبل منهم الجزية ، بينما غيرهم من المشركين لا بد أن يُقضى عليهم أو يرغموا على اعتناق الإسلام ، فإنهم يفسرونها على معنى « الدخول فى الإسلام » . ولكن ما دامت الكلمة ليست حكما شرعيا فإننا من فورنا ندين تحايل الفقهاء ومغالطاتهم .

أما الآيتان ٤ ـ ٥ من سورة « محمد » ، فهما ، مَثَلُهما مَثَلُ كل الآيات الأخرى التى تتناول هذا الموضوع ، تتعلقان بالحروب الدفاعية ، ولم يحدث قط أن استشهد بهما أحد على الحروب العدوانية . وقد سبق أن أوردت هاتين الآيتين (فى الفقرتين ٦٦ ـ ٦٧) ، كما عالجت موضوع إلغاء الاسترقاق بما تأمر به الآية الخامسة من هذه السورة فى غير هذا الموضع . لقد كان من عادة العرب ، مثل جميع الأمم المتوحشة حولهم ، إما أن يقتلوا أسرى الحرب أو يسترقّوهم ، ثم جاءت هذه الآية القرآنية فأمرت بإلغاء هذه العادات الوحشية . ومنذ ذلك التاريخ لم يَعُدْ أسرى الحرب يُقْتَلون أو يُسْتَرَقّون بل يُطْلَق سراحهم مقابل فدية أو بدونها .

ALL THE WARS OF MOHAMMAD WERE DEFENSIVE.

The Persecutions.

1. The early persecutions of Moslems by the people of Mecca.

THE severe persecution which Mohammad and his early converts suffered at Mecca at the hands of their fellow-citizens, the Koreish, is a fact admitted by all historians.

The Koran, which may be regarded as a contemporary record of the ill-feeling manifested towards the Prophet and his followers, bears ample testimony to the fact. Not only were the early Moslems persecuted for renouncing the pagan religion and obtaining converts to the monotheistic religion of Mohammad, but they were also tortured and otherwise ill-treated to induce them to return to the religion which they had forsaken. The persecution seems to have been so great that Mohammad was compelled to recognize those of his followers, who by force and cruelty were compelled to renounce Islam and profess paganism, but were inwardly steadfast in their belief of the one true God, as true Moslems.

The Koran says:

"Whoso after he hath believed in God denieth

Him, if he were forced to it, and if his heart remain steadfast in the faith, *shall be guiltless;* but whoso openeth his breast to infidelity, on them, in that case, shall be wrath from God, and a severe punishment awaiteth them."—Sura xvi, 108.

"The incarceration and tortures," says Mr. Stobart, "chiefly by thirst in the burning rays of the sun, to which these humble converts were subjected, to induce their recantation and adoration of the national idols, touched the heart of Mahomet, and by divine authority, he permitted them, under certain circumstances, to deny their faith so long as their hearts were steadfast in it."[1]

2. Notices of the persecution in the Koran.

The oppressions, trials, and sufferings which the early Moslems underwent compelled them to fly from their homes, leaving their families and property in the hands of their oppressors. They chose this course rather than revert to paganism. They held steadfastly to the one true God whom their Prophet had taught them to trust and believe. All these facts are clearly outlined in the following verses of the Koran :—

"And as to those who when oppressed have fled their country for the sake of God, We will surely

---

[1] Islam and its Founder. by J. W. H. Stobart, B. A., page 76.

But, in fact, there was no such permission. The verse quoted above says, that the wrath and punishment of God will be on those who deny God, except those who do so by being forced. The latter were not put on the same footing as the former; in short, those who denied God under compulsion were not counted unbelievers.

provide them a goodly abode in this world, but greater the reward of next life, did they but know it."

"They who bear ills with patience, and put their trust in the Lord!"—xvi, 43, 44.

"To those also who after their trials fled their country, then did their utmost and endured with patience, verily, thy Lord will afterwards be forgiving, gracious."—*Ibid*, 111.

"But they who believe, and who fly their country, and do their utmost in the cause of God, may hope for God's mercy: and God is Gracious, Merciful."—ii, 215.

"And they who have fled their country and quitted their homes and suffered in my cause and have fought and fallen—I will blot out their sins from them and will bring them into gardens beneath which the streams do flow."—iii, 194.

"And as to those who fled their country for the cause of God, and were afterwards slain, or died, surely with goodly provision will God provide for them! for verily, God is the best of providers!"—xxii, 57.

"Those believers who sit at home free from trouble, and those who toil in the cause of God with their substance and their persons, shall not be treated alike. God hath assigned to those who strive with their persons and with their substance, a rank above those who sit at home. Goodly promises hath He made to

all: But God hath assigned to those who make efforts a rich recompense above those who sit still at home."

"The angels, when they took the souls of those who had been unjust to their own weal, demanded, 'What hath been your state?' They said, 'We were the weak ones of the earth.' They replied, 'Was not God's earth broad enough for you to flee away in?' These! their home shall be Hell, and evil the passage to it"—

"Except the men and women and children who were not able through their weakness to find the means *of escape*, and were not guided on their way. These haply God will forgive: for God is Forgiving, Pardoning."—iv, 97, 99, 100.

"God doth not forbid you to deal with kindness and fairness towards those who have not made war upon you on account of your religion, or driven you forth from your homes: verily, God loveth those who act with fairness."

"Only doth God forbid you to make friends of those who, on account of your religion, have warred against you, and have driven you forth from your homes, and have aided your expulsion: and whoever maketh friends of them, these therefore are evil-doers."—lx, 8, 9.

3. Insults suffered by Mohammad.

The Prophet himself suffered insults and personal injuries from the hands of his persecutors. He was prevented

from offering his prayers (xcvi, 10). He allowed himself to be spat upon, to have dust thrown upon him, and to be dragged out of the Kaaba by his own turban fastened to his neck. He bore all these indignities with the utmost humility, and he daily beheld his followers treated oppressively. After his uncle's death his life was attempted, but he escaped by flying to Medina.

"And *call to mind* when the unbelievers plotted against thee, to detain thee prisoner or to kill thee or to banish thee: they plotted—but God plotted; and of plotters is God the best."—viii, 30.

4. Historical summary of the persecutions.

About 615 of the Christian era, the Koreish of Mecca began to persecute the faith of Islam. Those who had no protection among the early Moslems were hard pressed, as related above. A body of eleven men, some with their families, fled the country, and found refuge, notwithstanding their pursuit by the Koreish, across the Red Sea at the Court of Abyssinia. This was the first Hegira, or flight of the persecuted Moslems. After some time, the persecution being resumed by the Koreish more hotly than ever, a larger number of Moslems, more than hundred, emigrated to Abyssinia. This was the second flight of the Moslems. The Koreish had sent an embassy to the Court of Abyssinia to fetch back the refugees. The king denied their surrender. About two years

later the Koreish formed a hostile confederacy, by which all intercourse with the Moslems and their supporters was suspended. The Koreish forced upon the Moslems, by their threats and menaces, to retire from the city. For about three years, they, together with the Prophet and the Hashimites and their families, had to shut themselves up in the *Sheb* of Abu Tálib. They remained there, cut off from communication with the outer world. The ban of separation was put rigorously in force. The terms of the social and civil ban put upon them were, that they would neither intermarry with the proscribed, nor sell to or buy from them anything, and that they would entirely cease from all intercourse with them. Mohammad, in the interval of the holy months, used to go forth and mingle with the pilgrims to Mecca, and preached to them the abhorrence of idolatry and the worship of the One True God. The *Sheb*, or quarter of Abu Tálib, lies under the rocks of Abu Cobeis. A low gateway cut them off from the outer world, and within they had to suffer all privations of a beleaguered garrison. No one would venture forth except in the sacred months, when all hostile feelings and acts had to be laid aside. The citizens could hear the voices of the half-famished children inside the *Sheb;* and this state of endurance on the one side, and persecution on the other, went on for some three years. Five of the

chief supporters of the adverse faction detached from the league and broke up the confederacy and released the imprisoned religionists. This was in the tenth year of Mohammad's ministry. Soon after Mohammad and the early Moslems suffered a great loss in the death of his venerable uncle and protector Abu Tálib. Thus, Mohammad and his followers became again exposed to the unchecked insults and persecutions incited by Abú Sofian, Abu Jahl, and others; and being a handful in the hostile city, were unable to cope with its rich and powerful chiefs. At this critical period, either because he found it unsafe to remain at Mecca, or because he trusted his message would find more acceptance elsewhere, Mohammad set off to Tayef of the Bani Thakif,—the town was one of the great strongholds of idolatry. There was a stone image, called Al-Lât, adorned with costly vestments and precious stones, was an object of worship, and esteemed to be one of the daughters of God. Here Mohammad preached to unwilling ears, and met with nothing but opposition and scorn from the chief men, which soon spread to the populace. He was driven out of the town, maltreated, and wounded. He could not return to and enter Mecca unless protected by Mut-im, a chief of the blood of Abd Shams.

At the yearly pilgrimage, a little group of worshippers from Medina was attracted and won over

by the preaching of Islam; and the following year it increased to twelve. They met Mohammad and took an oath of allegiance. A teacher was deputed by Mohammad to Medina, and the new faith spread there with a marvellous rapidity. Again the time of pilgrimage arrived, and more than seventy disciples from Medina pledged themselves to receive and defend him at the risk of their lives and property. This was all done in secret; but the Koreish, having got notice of it, renewed such severities and persecutions, including, in some cases, imprisonment, as hastened the departure of the Moslems to Medina, their city of refuge.

5. The Hegira.

Mohammad, being much troubled by the intolerance of the people and the personal safety and security of himself and his followers being endangered, and mutual intercourse denied, saw that it was hopeless to expect any forbearance on the part of the Koreish, who would not permit him to live and preach his religion at home, and looked for assistance and protection from a strange land. He asked the people of Medina to receive and protect him. The Medina converts, who had come to Mecca on pilgrimage, pledged themselves to Mohammad, and promised to defend him as they would defend their wives and children. The Medina converts, although not acting on the offensive, became at once objects of suspicion to the Koreish,

who endeavoured to seize those who were in Mecca. They maltreated one of the Medina converts who fell into their hands, and the work of persecution was recommenced in right earnest.[1] Two months elapsed before the believers, except those detained in confinement or who were unable to escape from slavery, or women and children, could emigrate. Families after families silently disappeared, and house after house was abandoned. One or two quarters of the city were entirely deserted. The Koreish held a council and proscribed Mohammad, who escaped together with Abu Bakr, leaving Ali in his house, around whom, to lull the suspicions of his neighbours, he threw his own mantle, and desired him to occupy his bed. Mohammad and his follower took refuge in a cave. The Koreish despatched scouts in all directions to search for Mohammad, but in vain. After hiding for three days in the cave, Mohammad and Abu Bakr started for Medina, where they arrived safely.

The foregoing circumstances would have fully justified immediate hostilities on the part of Mohammad, but he did not take up arms until compelled to do so by the attacks of the Meccans.

[1] "The support of the Medina adherents, and the suspicion of an *intended* emigration, irritated the Koreish to severity; and this severity forced the Moslems to petition Mahomet for leave to emigrate. The two causes might co-exist and re-act one another; the persecution would hasten the departure of the converts, while each fresh departure would irritate the Koreish to greater cruelty."—William Muir's Life of Mahomet, Vol. II, pp. 242, 243, foot-note.

Notwithstanding the flight of the Prophet and of all the early Moslem converts who were able to effect an escape except their families, women and children, and those weak Moslems who could not leave Mecca, the Meccans or the Koreish did not forgive the fugitives and did not abstain from their aggressions against them. They maltreated the children and weak Moslems left at Mecca (iv, 77, 99 and 100), expelled the Moslems from their houses, and would not allow them to come back to Mecca for a pilgrimage (ii, 214). The Meccans several times invaded the Medina territory with the avowed intention of making war upon the Moslems (and actually fought the battles of Bedr, Ohad, Khandak or Ahzáb, at Medina), consequently the Moslems were forced to resort to arms in pure self-defence.

6. The persecution of the Moslems by the Koreish after their flight from Mecca.

These were sufficient grounds for the Moslems to assume the offensive. They were desirous also of rescuing their families and those who had been unable to join in the flight from the tyranny and oppression of the Meccans. Yet they were in no instance the aggressors. Driven from their homes and families they did not resort to arms until absolutely compelled to do so in self-defence.

All that Mohammad claimed for himself and his followers was, full liberty of conscience and actions, and permission to preach and practice his religion with-

out being molested. This being refused, he advised his followers to leave the city and seek refuge elsewhere. They emigrated twice to Abyssinia, and for the third time were expelled to Medina, where he himself followed, when his own life was attempted.

The Meccans or the Koreish.

7. A Koreish chieftain commits a raid near Medina.—A. H., I.

The attitude of the Koreish towards the Prophet and his followers after the flight rapidly became more hostile. Kurzibn Jábir, one of the marauding chieftains of the Koreish, fell upon some of the camels and flocks of Medina, while feeding in a plain a few miles from the city, and carried them off.

8. The Koreish march to attack Medina. Mohammad marches forth in defence, and gains the battle at Badr.—A. H., II.

Still there was no hostile response from Medina, till the aggressors (the Koreish) brought from Medina an army of 950 strong, mounted on 700 camels and 100 horses, to Badr, nine stages from Mecca, advancing towards Medina. Then the Prophet set out from Medina at the head of his small army of 305 to check the advance of his aggressors. This was the first offensive and defensive war between the Koreish and Mohammad respectively. The aggressors lost the battle.

9. Attack by Abu Sofian upon Medina.—A. H., II.

After this Abu Sofian, the head of the Koreish, accompanied by 200 mounted followers, alarmed Mohammad and the people of Medina by a raid

upon the cornfields and palm gardens two or three miles north-east of Medina. The nomad tribes of Suliem and Ghatafán, who were descended from a common stock with the Koreish, being probably incited by them, or at least by the example of Abu Sofian, had twice assembled and projected a plundering attack upon Medina—a task in itself congenial with their predatory habits.

The Koreish made great preparations for a fresh attack upon Medina. One year after the battle of Badr, they commenced their march,—three thousand in number, seven hundred were mailed warriors, and two hundred well mounted cavalry. Reaching Medina they encamped in an extensive and fertile plain to the west of Ohad.

10. The battle of Ohad.

Mohammad met Abu Sofian at the head of 700 followers and only two horsemen, but lost the battle and was wounded.

Mohammad's prestige being affected by the defeat at Ohad, many of the Bedouin tribes began to assume an hostile attitude towards him. The Bani Asad, a powerful tribe connected with the Koreish in Najd and Bani Lahyan in the vicinity of Mecca, prepared to make a raid upon Medina. The Mohammadan missionaries were killed at Rají and Bir Maúna. The marauding bands of Duma also threatened a raid upon the city. Bani Mustalik also raised forces to join the Koreish in their threatened attack upon Medina.

11. Mohammad's prestige affected by the defeat.

12. Abu Sofian threatened the Moslems with another attack next year.

Abu Sofian, while retiring from the field, victorious as he was, threatened the Moslem with a fresh attack the next year as he said to Omar: "We shall meet again, let it be after a year, at Badr." Medina and the Moslems, however, enjoyed a long exemption from the threatened attack of the Koreish.

At length the time came when the forces of the Koreish and the Moslems were again to meet at Badr. But the year was one of great draught, and the Koreish were desirous that the expedition should be deferred to a more favorable season. Accordingly the Koreish engaged Naeem, an Arab of a neutral tribe, to repair to Medina, and there to give forth an exaggerated account of the preparations of the Koreish, in the hope that, with the field of Ohad fresh in memory, it might deter the Moslems from setting out to meet them. But Mohammad, with a force of fifteen hundred men and only ten horses, set forth for Badr. The Koreish, who never appeared mortified at the triumph of Mohammad, began to project another grand attack upon him.

13. The Koreish again attack Medina with a large army. Mohammad defends the city. The enemy retire. (Ditch or Nations. —A. H., V.)

The winter season in the next year was chosen for the renewal of hostilities by the Koreish. They joined an immense force of the Bedouin tribes (the entire army was estimated at ten thousand), marched against Mohammad, and

besieged Medina. Mohammad defended the city by digging a Ditch. The army of Medina was posted within the trench, and that of the Koreish encamped opposite them. In the meantime Abu Sofian succeeded in detaching the Jewish tribe of Koreiza from their allegiance to Mohammad. The danger to Medina from this defection was great. The enemy made a general attack, which was repulsed. Bad weather set in, and Abu Sofian ordered the allied force to break up. The enemy retired, and never came again to attack the Moslems. This, therefore, was the last war of aggression on the part of the Koreish, and of defence on the part of Mohammad.

14. Mohammad, with his followers, advanced to perform the lesser pilgrimage of Mecca. The Koreish opposed Mohammad, who returned disappointed.—A. H., VI.

Six years had passed since the expulsion of Mohammad and his followers from Mecca. They had not since visited the Holy house, nor had they joined the yearly pilgrimage, which was an essential part of their social and religious life. Mohammad undertook to perform the lesser pilgrimage to Mecca in the month of Zalkada, in which war was unlawful throughout Arabia. Mohammad, with his followers, the pious and peaceful worshippers, fifteen hundred in number, set forth for Mecca. The pilgrims carried no arms, but such as were allowed by custom to travellers,—*namely*, each a sheathed sword. The Koreish, with their allies, the surrounding tribes,

hearing of the approach of the pilgrims, took up arms. They pushed forward to obstruct the pilgrims. Mohammad encamped at Hodeibia, where a treaty of peace was concluded between the Koreish and Mohammad. The treaty was to the effect, that war should be suspended for ten years, neither party attacking the other. Whosoever wished to join Mohammad and enter into treaty with him, should have liberty to do so. "If any one goeth over to Mohammad, without the permission of his guardian, he shall be sent back to his guardian. But if any one from amongst the followers of Mohammad return to the Koreish, the same shall not be sent back, provided, on the part of the Koreish, that Mohammad and his followers retire from us this year without entering our city. In the coming year he may visit Mecca—he and his followers—for three days, when we shall retire therefrom. But they may not enter it with any weapons, save those of the travellers—*namely*, to each a sheathed sword." Bani Khozaá entered into the alliance of Mohammad, and Bani Bakr adhered to the Koreish.

15. Violation of the treaty by the Koreish, and their submission.

The peace remained unbroken until the Koreish violated the treaty of Hodeibia[1] and treacherously killed several men of the Bani Khozaá. Moham-

[1] Unfortunately several missionary expeditions sent by Mohammad were met with unfavorable circumstances. The party sent to Bani Suleim, demanding their allegiance to the faith of Islam, was slain. Another party sent to Bani Leith was surprised, and its camels plundered. A small party sent by Mohammad to Fadak was cut to pieces by Bani Murra. Another party sent to Zat Atlah to call upon the people to

mad marched against them in the eighth year of the Hegira in defence of the injured and oppressed Bani Khozaá, and to chastize the Koreish for violation of the treaty. But the Koreish submitted to the authority of Mohammad before he arrived at Mecca, and the city was occupied without resistance.

16. Two other tribes assume the offensive.

Soon after, the great and warlike tribe of Hawazin and Thakeef assumed the offensive. They assembled at Autas, and advanced upon Honain to attack Mohammad. He was obliged to leave Mecca and set out to disperse them, who were beaten back at Honain (S. ix, 26-28). Taif of the Thakeef was besieged, but in vain.

The defensive character of the wars.

17. Verses from the Koran in support of the defensive character of the wars.

This brief sketch of the defensive wars of Mohammad with the Koreish will fully show, that those who assert that Mohammad was aggressive or revengeful in his wars, or that he made war to force his religion upon the people, are altogether in the wrong.

I will now quote some verses of the Koran, showing that all the wars of Mohammad with the Koreish were defensive wars.

39. "Verily, God will ward off[1] *mischief* from believers: lo, God loveth not the false, the unbeliever."

---

embrace Islam, of which only one person escaped. Mohammad's messenger despatched to the Ghassanide Prince at Bostra was murdered by the chief of Muta. His army sent to avenge the treachery of the chief was defeated. All these mishaps and reverses dangerously affected the prestige of Mohammad, and encouraged the Meccans to violate the truce.

[1] Or defend, '*Yadafeo*' repel.

40. "A sanction is given to those who have been fought,[1] because they have suffered outrages, and verily, God is well able to succour them"—

41. "Those who have been driven forth from their homes wrongfully, only because they say, 'Our Lord is the God.' And if God had not repelled some men by others, cloisters and churches and oratories and mosques wherein the name of God is ever commemorated, would surely have been destroyed! And him who helpeth God will God surely help: Verily, God is Strong, Mighty."

42. "They who, if We established them in *this* land, will observe prayer and pay the alms of obligation and enjoin what is recognized *as right*—and forbid what is unlawful. And the final issue of all things is unto God."—Sura, xxii.

186. "And fight for the cause of God against those who fight against you: but commit not the injustice of *attacking them first*: verily, God loveth not the unjust."

187. "And kill them wherever ye find them, and eject them from whatever place they have ejected you, for (*fitnah*)[2] persecution is worse than slaughter: yet attack them not at the sacred mosque, until

[1] *Yokâtaloona*, or who fight *Yekateloona*. The former reading is the authorized and general.

[2] The primary signification of *fitnah* is burning with fire. It signifies a *trial* or *probation* and affliction, distress or hardship; and particularly an *affliction whereby one is tried, proved, or tested.*—*Vide* Lane's Arabic-English Lexicon, p. 2335.

they attack you therein; but if they attack you, then slay them—Such is the recompense of the infidels!"—

188. "But if they desist,[1] then verily God is Gracious, Merciful!"

189. "And do battle against them until there be no more (*fitnah*) persecution, and the worship be that of God:[2] but if they desist,[3] then let there be no hostility, save against wrong-doers."

214. "They will ask thee concerning war in the Sacred Month. Say: The act of fighting therein is a grave crime; but the act of turning others aside from the path of God, and unbelief in Him, and to prevent access to the Sacred Mosque, and to drive out his people, is worse in the sight of God; and persecution (*fitnah*) is worse than bloodshed. But they will not cease to war against you until they turn you from your religion, if they be able: but whoever of you shall turn from his religion, and die an infidel, their works shall be fruitless in this world and in the next: and they shall be consigned to the fire; therein to abide for aye."

215. "But they who believe, and who fly their

---

[1] Desist from persecuting you and preventing you to enter your native city and prohibiting access to the sacred mosque and attacking you, and from religious intolerance.

[2] *i.e.*, the religious persecution and intolerance and hindrance to visit the sacred mosque being suppressed; you may profess, preach and practice your religion freely.

[3] *Vide* note 2 in p. 17.

country, and do their utmost in the cause of God, may hope for God's mercy : and God is Gracious, Merciful."

245. "And fight in the cause of God; and know that God is He who Heareth, Knoweth."

247. "Hast thou not considered the assembly of the children of Israel after *the death of* Moses, when they said to a prophet of theirs,—'Raise up for us a king ; we will do battle for the cause of God ?' He said, 'May it not be that if to fight were ordained you, ye would not fight ?' They said, 'And why should we not fight in the cause of God, since we are driven forth from our dwellings and our children ?' But when fighting was commanded them they turned back, save a few of them : But God knew the offenders!"

252. "And by the will of God they routed them ; and (Dâood) David slew Goliath ; and God gave him the kingship and wisdom, and taught him according to his will : and were it not for the restraint of one by the means of the other imposed on men by God, verily the earth had assuredly gone to ruin, but God is bounteous to his creatures."—Sura, ii.

76. "Let those then fight in the cause of God who barter this present life for that which is to come ; for whoever fighteth on God's path, whether he be slain or conquer, We will in the end give him a great reward."

77. "But what hath come to you that ye fight not on the path of God, and *for* the weak among men, women and children, who say, 'O our Lord! bring us forth from this City whose inhabitants are oppressors; give us a champion from thy presence; and give us from thy presence a defender?'"

78. "They who believe, fight on the path of God; and they who believe not, fight on the path of Thâgoot: Fight then against the friends of Satan—Verily, the craft of Satan shall be powerless!"

86. "Fight then on the path of God: lay not burdens on any but thyself; and stir up the faithful. The prowess of the infidels, God will haply restrain; for God is the stronger in prowess, and the stronger to punish."

91. "They desire that ye should be unbelievers as they are unbelievers, and that ye should be alike. Take therefore none of them for friends, until they have fled their homes for the cause of God. If they turn back, then seize them and slay them wherever ye find them; but take none of them as friends or helpers."

92. "Except those who seek asylum among your allies, and those who come over to you—prevented by their own hearts by making war on you, or from making war on their own people. Had God pleased, He would certainly have given them power against you, and they would certainly have made war upon

you ! But, if they depart from you, and make not war against you and offer you peace, then God alloweth you no occasion against them."

93. "Ye will find others who seek to gain your confidence as well as that of their own people : So oft as they return to sedition, they shall be overthrown in it : But if they leave you not, nor propose terms of peace to you, nor withhold their hands, then seize them, and slay them wherever ye find them. Over these have We given you undoubted power."—Sura, iv.

19. "*O Meccans!* If ye desired a decision, now hath the decision come to you. It will be better for you if ye give over *the struggle* (*or attacking upon Medina or the Moslem*). If ye return *to it* we will return ; and your forces, though they may be many, shall by no means avail you aught, because God is with the faithful."

39. "Say to the infidels : If they desist (*from persecuting, obstructing, and attacking the Moslems*), what is now past shall be forgiven them ; but if they return *to it* (commit again the hostilities), they have already before them the doom of the ancients !"

40. "Fight then against them till civil strife be at an end, and the religion be all of it God's ; and if they desist, verily God beholdeth what they do."

41. "But if they turn their back, know ye that God is your protector : Excellent protector ! and excellent helper !"

73. "......And they who have believed, but have not fled their homes, shall have no rights of kindred with you at all, until they too fly their country. Yet if they seek aid from you on account of the faith, your part it is to give them aid, except against a people between whom and yourselves there may be a treaty. And God beholdeth your actions."

74. "And the infidels have the *like* relationships one with another. Unless ye do the same (*i.e., aid the oppressed and repel the oppressor*), there will be discord in the land and great corruption."—Sura, viii.

(When the Meccans broke the Hodeibia treaty mentioned in the above paragraph, the Koreish and Bani Bakr attacked Bani Khozaá, who were in alliance with Mohammad. It became incumbent on him to assist Bani Bakr and to chastize the aggressors. The following verses were published on that occasion, but happily, before the expiration of the fixed period, the Koreish submitted and Mecca was taken without bloodshed, and these verses were not acted upon :—)

1. "An immunity from God and His Apostle to those with whom ye are in league (*and they have violated the same — compare verses 4, 8 and 10*) among the polytheist Meccans."

2. "Go ye therefore at large in the land four months (*i.e., four sacred months from Shaw-wal. The treaty was violated by the Koreish in Ramzan, a month immediately previous to the sacred months.*

It is announced here that four months' time is given to the aggressors, who violated the treaty of Hodeibia, to make terms. After the time is over (verse 5) the Moslems will commence hostilities to defend their allies, the Bani Khozaá), but know that ye shall not find God feeble, and that those who believe not, God will put to shame."

3. "And a proclamation on the part of God and His Apostle to the people on the day of the greater pilgrimage, that God is free from *any engagement with* those who worship other gods with God, as is his Apostle. If then, ye turn to God, it will be better for you; but if ye turn back, then know that ye shall not find God feeble: and to those who believe not, announce thou a grievous punishment."

4. "But this concerneth not those Polytheists with whom ye are in league, and who have afterwards in no way failed you, and not yet aided any one against you. Observe, therefore, your engagement with them through the whole time *of their treaty*. Verily, God loveth those who fear Him."

5. "And when the sacred months are passed[1] kill those who join other gods with God[2] wherever ye find them; and seize them, and besiege them, and lay wait for them with every kind of ambush;

---

[1] Shaw-wal, Zulkada, Zulhij, and Moharram, the 10th, 11th, 12th, and 1st months of the Arabian year.

These verses were promulgated in Ramzan, the 9th month of the year.

[2] And have violated the Hodeibia Truce. Compare verses 4, 8, and 12.

but if they repent and observe prayer and pay the obligatory alms, then let them go their way.[1] Verily, God is Gracious, Merciful."

6. "If any one of those who join gods with God ask an asylum of thee, grant him an asylum, in order that he hear the Word of God; then let him reach his place of safety. This, for that they are people devoid of knowledge."

7. "How can they who add gods to God be in league with God and His Apostle, save those with whom ye made a league at the sacred temple? So long as they are true to you,[2] be ye true to them: verily, God loveth those who fear Him."

8. "How *can they?* since if they prevail against you, they will not regard in their dealing with you, either ties of blood or good faith: With their mouths they content you, but their hearts are averse, and most of them are perverse doers."

9. "They sell the signs of God for a mean price, and turn others aside from his way; of a truth, evil is it that they do!"

10. "They respect not with a believer either ties of blood or good faith; and these are the transgressors!"

---

[1] It is not meant that they should be forced to observe prayer or pay obligatory alms, or in other words be converted to Islam; the context and general scope of the Koran would not allow such a meaning. The next verse clearly enjoins toleration.

[2] The Bani Kinana and Bani Zamara had not violated the truce of Hodeibia while the Koreish and Bani Bakr had done so.

11. "Yet if they turn to God and observe prayer, and pay the impost, then are they your brethren in religion: and We make clear the signs for men of knowledge."[1]

12. "But if, after alliance made, they violate their covenant and revile your religion, then do battle with the ringleaders of infidelity—verily there is no faith in them! Haply they will desist."

13. "Will ye not do battle with a people (*the Meccans*) who have broken their covenant and aimed to expel your Apostle and attacked you first? Will ye dread them? God truly is more worthy of your fear if ye are believers!"

14. "Make war on them: By your hands will God chastize them, and put them to shame, and give victory over them, and heal the bosom of a people who believe."

36. "......... and attack those who join gods with God one and all, as they attack you one and all."—Sura, ix.

18. What the above-quoted verses show.

I need not repeat here what these verses and the facts related above show, that the wars of Mohammad with the Koreish were merely defensive, and the Koreish were

[1] This is the same as verse 5. It only means, if meanwhile they become converts to Islam, they are to be treated as brethren in religion. But it cannot mean that it was the sole motive of making war with them to convert them. Such an interpretation is quite contrary to the general style of the Koran.

the aggressors, and that Mohammad was quite justified in taking up arms against them.

"In the state of nature every man has a right to defend," writes Mr. Edward Gibbon,[1] "by force of arms, his person and his possessions; to repel, or even to repeat, the violence of his enemies, and to extend his hostilities to a reasonable measure of satisfaction and retaliation. In the free society of the Arabs, the duties of subject and citizen imposed a feeble restraint; and Mahommed, in the exercise of a peaceful and benevolent mission, had been despoiled and banished by the injustice of his countrymen." It has been fully shown in the foregoing paragraphs that the Moslems in Mecca enjoyed neither safety nor security. Religious freedom was denied to them, though they were harmless and peaceful members of the community. Besides this they were expelled from their homes, leaving their families and their property in the hands of their persecutors, and were prevented from returning to Mecca, and were refused access to the Sacred Mosque; and, above all, they were attacked by the Meccans in force at Medina.

19. Justification of the Moslems in taking up arms against their aggressors.

The persecution of the early Moslems by the Koreish was on religious grounds. They would not allow the believers to renounce the religion of their fore-

[1] The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, by Edward Gibbon, Vol. VI. p. 245.

fathers and profess Islam. Their intolerance was so strong and harsh that they tortured some of the professors of the new faith to renounce the same and to rejoin their former idolatry. "Taking away the lives, the fortune, the liberty and the rights of our brethren merely for serving their Maker in such a manner as they are persuaded they ought, when by so doing they hurt not human society or any member of it materially, is evidently inconsistent with all justice and humanity: for it is punishing those who have not injured us, and who, if they mistake, deserve pity from us."[1] The early Moslems had had every international right to resent persecution and intolerance of the Meccans and to establish themselves by force of arms, to enjoy their religious liberty and to practise their religion freely.

20. The first aggression after the Hegira was not on the part of Mohammad.

Some of the European biographers of Mohammad say, "that the first aggressions after the Hegira were solely on the part of Mahomet and his followers. It was not until several of their caravans had been waylaid and plundered, and blood had thus been shed, that the people of Mecca were forced in self-defence to resort to arms."[2]

This is not correct. The aggressors, in the first instance, were the Koreish, who, as already shown,

[1] Archbishop Secker's Works, III, p. 271.
[2] Sir W. Muir, II, p. 265.

followed up their persecution of the Moslems by an attack upon the city in which the Prophet and his followers had taken refuge. Even taking it for granted that the Moslems were the first aggressors after the Hegira, was not the Hegira, or expulsion itself (leaving aside the previous persecutions and oppressions at Mecca), a sufficient reason for the commencement of hostilities by the Moslems, who were anxious to secure their moral and religious freedom, and to protect themselves and their relatives from further aggressions ?

Sir William Muir admits, that "hostilities, indeed, were justified by the 'expulsion' of the believers from Mecca."[1] "It may be said," says Major Vans Kennedy, "that, in these wars, Mohammad was the aggressor by his having, soon after his flight, attempted to intercept the caravans of Mecca. But the first aggression was, undoubtedly, the conspiracy of the Koreish to assassinate Mohammad, and when to save his life he fled from Mecca, himself and his followers were thus deprived of their property, and obliged to depend for their subsistence on the hospitality of the men of Medina, it could not be reasonably expected that they would allow the caravans of their enemies to pass unmolested."[2]

---

[1] Life of Mahomet, Vol. III. p. 79.

[2] Remarks on the character of Mohammad (suggested by Voltaire's Tragedy of Mahomet) by Major Vans Kennedy. *Vide* Transactions of the Literary Society of Bombay for 1821, Vol. III, p. 153, reprint Bombay. 1877.

There is no proof that Mohammad, after the Hegira, commenced hostilities against the Koreish by intercepting their caravans. The alleged instances of the caravans being waylaid by the Moslems at Medina are not corroborated by authentic and trustworthy traditions. They have also internal evidences of their improbability. The Medina people had pledged themselves only to defend the Prophet from attack, and not to join him in any aggressive steps against the Koreish.[1] Therefore, it seems impossible that they should have allowed Mohammad to take any aggressive steps against the Koreish which would have involved them in great trouble.

21. The alleged instances examined.

The alleged expeditions against the Koreish caravans by Hamza and the other by Obeida in pursuit of caravans which escaped, are in themselves improbable. Mohammad would not send fifty or sixty persons to waylay a caravan guarded by two or three hundred armed men.

22. Hamza and Obeida expedition.

The alleged expeditions of Abwa, Bowat, and Osheira, said to have been led by Mohammad himself to intercept the Mecca caravans, but in vain, are altogether without foundation. He might have gone, if he had gone at all, to Abwa, and Osheira to negotiate friendly

23. The Abwa, Bowat, & Osheira expeditions.

[1] "Mahomet did not send the Medina converts on any hostile expedition against the Koreish, until they had warred with him at Badr, and the reason is, that they had pledged themselves to protect him only at their homes."--K. Wackidi, 43; Muir's Life of Mahomet, Vol. III, p. 64, *note*.

terms with Bani Dhumra[1] and Bani Mudlij, as his biographers say, he did.

24. The affair at Nakhla.

The affair of the *Nakhla* marauding party, as related in the traditions, is full of discrepancies, and is altogether inconsistent and untrustworthy. The very verse (Sura, ii, verse 214) which the biographers say was revealed on the occasion, and which I have quoted above (para. 16), contains a reference to the Meccans' fighting against the Moslems, which runs counter to the assumption of the European biographers, who make it an aggressive attack on the part of Mohammad. It is probable that Mohammad might have sent some six or eight scouts to bring in news of the movements and condition of the Koreish, whose attitude towards Mohammad had become more hostile since his flight to Medina. As the Koreish had a regular and uninterrupted route to Syria for traffic, it was only reasonable on the part of Mohammad to take precautions, and he was always on his guard. The biographers *Ibn Is-hak*, *Ibn Hisham* (p. 424), *Tabri* (Vol. II, p. 422), *Ibnal Athir* in *Kamil* (Vol. II, p. 87), *Halabi* in *Insanul Oyoon* (Vol. III, p. 318), say, that Mohammad had given written instructions to

---

[1] "K. Wackidi, 98½. The provisions are noted only generally, "that neither party would levy war against the other, nor help their enemies." The version quoted by Weil binding the Bani Dhumra to fight *for the faith* &c., is evidently anticipatory and apocryphal. It is not given by the Secretary of Wackidi in his chapter of treaties."—Muir's Life of Mahomet, III, p. 67, *note*.

Abdoollah-bin-Jahsh, which was to the effect "bring me intelligence of their affairs." They also say that Mohammad was displeased with Abdoollah's affair at Nakhla, and said, "I never commanded thee to fight in the Sacred Month." The biographers also relate that Mohammad even paid blood-money for the slain.

25. At Badr Mohammad had come only in his defence.

Some of the European biographers of Mohammad allege, that the battle of Badr was brought by Mohammad himself. They appear to hesitate to justify Mohammad in defending himself against the superior numbers of the Koreish, who had advanced to attack him as far as Badr, three stages from Medina. It is alleged that Mohammad intended to attack the caravans returning from Syria, conducted by Abu Sofian, his arch-enemy, therefore he set out upon his march with eighty refugees and two hundred and twenty-five people of Medina, and halted at Safra to waylay the caravan. Abu Sofian, warned of Mohammad's intention, sent some one to Mecca for succour. The Koreish, with nine hundred and fifty strong, marched forth to rescue the caravan. In the meantime, the caravan had passed unmolested, but the Koreish held a council whether to return or go to war. On the one hand, the biographers say, it was argued that the object for which they had set out having been secured, the army should at once retrace its steps. Others demanded that the army should advance. Two tribes returned

to Mecca, the rest marched onwards ; but it is not fair to allege that Mohammad had set forth to attack the caravan. Had he any such intention, the people of Medina, who had pledged themselves only to defend him against personal attack, would not have accompanied him. The presence of a large number of the *Ansárs*, the people of Medina, more than double that of the *Mohajirins*, the refugees, is a strong proof that they had come out only in their defence.

Mohammad, on receiving intelligence of the advancing force of the Koreish, set out from Medina to check the advance of the Meccan force, and encountered it at Badr, three days' journey from Medina. The Meccan army had advanced nine days' journey from Mecca towards Medina. The forces met at Badr on the 17th of Ramzan (13th January 623), the Meccans had left Mecca on the 8th of Ramzan (4th January), and Mohammad started only on the 12th of Ramzan (8th January), about four days after the Meccan army had actually set out to attack him. Supposing Abu Sofian had some reason for apprehending an attack from Medina, and sent for succour from Mecca, but the object of the Meccan army of the Koreish for which they had set out having been secured, the caravan having passed unmolested, they ought at once to have retraced their steps. The fact that Mohammad left Medina four days after the Koreish had left Mecca with a large

army advancing towards Medina, is strongly in his favour.

26. The first aggressions after the Hegira, if from Mohammad, might fairly be looked upon as retaliation.

Even taking it for granted that the first aggressions after the Hegira were solely on the part of the Moslems, and that several of the caravans of the Koreish had been waylaid and plundered, and blood had been shed, it would be unfair to condemn Mohammad. Such attacks, had they been made, might fairly be looked upon as a retaliation for the ill-treatment of the Moslems before the flight from Mecca. "Public war is a state of armed hostility between sovereign nations or governments. It is a law and requisite of civilized existence that men live in political continuous societies, forming organized units called states or nations, whose constituents bear, enjoy and suffer, advance and retrograde together, in peace and in war. The citizen or native of hostile country is thus an enemy, as one of the constituents of the hostile state or nation, and as such is subjected to the hardships of war."[1] The almost universal rule of most remote times was, and continues to be with barbarous nations, that the private individual of a hostile country is destined to suffer every privation of liberty and protection, and every description of family ties. But Mohammad protected the inof-

[1] Contributions to Political Science by Francis Lieber, LL.D., Vol. II of his miscellaneous writings, p. 251, London, 1881.

fensive citizen or private individual of the hostile country. He even protected those who had actually come out of Mecca to fight at Badr, but were reluctant to do so. Mohammad had desired quarters to be given to several persons in the Koreish army at Badr. Abul Bakhtari, Zamaa, Hárith Ibu Amir, Abbás and other Bani Háshim were amongst those named.

The Jews.

27. The Jews broke treaties.

Mohammad, on his first arrival at Medina, made a treaty of alliance with the Jews, by which the free exercise of their religion and the possession of their rights and property were guaranteed. It was stipulated in the treaty that either party, if attacked, should come to the assistance of the other. Medina should be sacred and inviolable for all who joined the treaty. But the Jews broke their treaty and rebelled. They assisted the enemy during the siege of Medina, and committed treason against the city.

28. Bani Kainúkaá, Bani Nazeer, Koreiza, Khyber, and Ghatafán.

The Bani Kainúkaá were the first among the Jews who broke the treaty and fought against Mohammad between the battles of Badr and Ohad.[1]

The Bani Nazeer broke their compact with Mohammad after his defeat at Ohad. They had also made a conspiracy to kill Mohammad. They were banished; some of them went over to Khyber. The Jewish

[1] Hishamee, p. 545. Gottengen, 1859; or, The Life of Muhammad, by Abd eU Malik ibn Hishám. London: Trübner and Co., 1867.

tribe of Koreiza had defected from their allegiance to Mohammad, and entered into negotiations with the enemy, when Medina was besieged by the Koreish and Bedouin tribes at the battle of the Ditch. They were afterwards besieged by Mohammad. They surrendered at the discretion of Sád, who passed a bloody judgment against them. The Jews of Khyber (including those of Nazeer) and Bani Ghatafán, who had lately besieged Medina with the Koreish in the battle of the Ditch, made alliance against Mohammad,[1] and were making preparations for an attack on him. They had been inciting the Bani Fezára and other Bedouin tribes in their depredations, and had combined with Bani Sád-Ibn Bakr to attack upon Medina. They were subjected at Khyber, and made tributaries, paying *jizya* in return of the protection guaranteed to them.

29. Notices of them in the Koran.

The treachery of the Bani Kainúkaá, Nazeer and Koreiza, and Khyber is noticed in the Koran in the following verses :—

58. "They with whom thou hadst leagued, but who ever afterwards break their league, and fear not God !"

59. "And if thou capture them in battle, then (*by the example of their fate*) put to flight those who are behind them—they will perhaps be warned:"—

[1] Hishamee, p. 757.

60. "Or, if thou fear treachery from any people, throw back *their treaty* to them in like manner: verily, God loveth not the treacherous."

61. "And think not that the infidels shall get the better of Us! Verily, they shall not find God to be weak."

62. "Make ready then against them what force ye can, and squadrons of horse whereby ye may strike terror into the enemy of God and your enemy, and into others beside them whom ye know not, *but* whom God knoweth; And all that you expend for the cause of God shall be repaid you; and ye shall not be wronged."

63. But if they lean to peace, lean thou also to it; and put thy trust in God: He verily is the Hearing, the Knowing."

64. "But if they seek to betray thee, then verily God will be all-sufficient for thee. He it is who strengthened thee with his help and with the faithful and made their heart one. Hadst thou spent all the riches of the earth, thou wouldst not have united their hearts; but God hath united them: He verily is Mighty, Wise."

65. "O Prophet! God and such of the faithful as follow thee will be all-sufficient for thee!"

66. "O Prophet! stir up the faithful to the fight. . . . . ."—Sura, viii.

26. "And He caused those of the people of the

Book (the Jews) who had aided *the confederates*, to come down out of their fortresses, and cast dismay into their hearts: a part ye slew, a part ye took prisoners."—Sura, xxxiii.

29. "Make war upon such of those to whom the Scriptures have been given,[1] as believe not in God, or in the last day, and who forbid not that which God and his apostles have forbidden, and who profess not the profession of the Truth, until they pay tribute out of hand, and they be humbled."

124. "Believers! wage war against such of the unbelievers as are your neighbours, and let them assuredly find rigour in you: and know that God is with those who fear Him."—Sura, ix.

30. The judgment of Sâd.

The Bani Koreiza had surrendered themselves to the judgment of *Sâd*, an *Awsite* of their allies, Bani Aws. To this Mohammad agreed. Sâd decreed that the male captives should be slaughtered. Mohammad, dis-

[1] The Jews of Khyber, if it does not relate to Tabook. Sir W. Muir calls this hostile declaration against Jews and Christians, and says,—"The exclusion and growingly intolerant position of Islam is sufficiently manifested by the ban issued against the Jews and Christians, as unfit for the sacred rites and holy precincts of the Meccan temple; and by the divine commands to war against them until, in confession of the superiority of Islam, they should consent to the payment of a tribute."—Life of Mahomet, Vol. II, p. 289. The command referred to by Sir W. Muir refers to the treatment of those who took up arms against the Mussalmans, rather than to their ordinary condition. No ban was issued against the Jews and Christians, as unfit for the sacred rites and holy precincts of the Meccan temple. On the contrary, the Christians of Najran, when arrived at Medina, were accommodated by the Prophet in his Mosque, and they used to say their prayers there.

approving the judgment, remarked to Sâd: "Thou hast decided like the decision of a king," meaning thereby a despotic monarch. The best authentic tradition in Bokhari (Kitáb-ul-Jihád) has the word '*Malik*,' monarch; but in other three places of Bokhari, Kitabul Monakib, Maghazi, and Istizan, the narrator has a doubt whether the word was *Allah* or *Malik*. Moslim, in his collection, has also '*Malik*,' and in one place the sentence is not given at all. It was only to eulogize the memory of Sâd after his death, that some of the narrators of the story gave out that Mohammad had said that Sâd had decided like the decision of a *Malak*, angel; or some narrators interpreted the word *Malik*, king, as meaning God; and therefore put the word *Allah* in their traditions. Mohammad never said *Malak*, meaning angel, or *Malik*, allegorically meaning *Allah*; he simply said *Malik*, literally meaning a king or monarch.

31. Defensive character of the expedition against the Jews of Khyber.

The expedition against the Jews of Khyber was purely defensive in its character. They had, since the Jews of the tribe of Nazeer and Koreiza being banished from Medina in consequence of their treason against the Moslem commonwealth, had joined them, been guilty of inciting the surrounding tribes to attack upon Medina, and had made alliance with the Bani Ghatafán, who had taken a prominent part

among the confederates who had besieged Medina at the battle of the Ditch, to make a combined attack upon Medina. They, especially Abul Hukeik, the chief of Bani Nazeer, had excited the Bani Fezára and other Beduoin tribes to commit incursions on Medina. They had made a combination with the Bani Sád-Ibn Bakr to make inroads on the Moslims. Bani Sád, a branch of Hawazin, were among the confederates who had besieged Medina. Lately, Oseir Ibn Zárim, the chief of Nazeer at Khyber, maintained the same relations with Bani Ghatafán, as their former chief had, to make a combined attack on Medina. The Bani Ghatafán, with their branches of Bani Fezára and Bani Murra, in league with those of Khyber, were always plotting mischief in the vicinity of Fadak at Khyber. They (the Ghatafán) had continued for a long time to alarm Medina with threatened attacks. At the seventh year of the Hegira timely information was received by Mohammad of the combined preparation of Khyber and Ghatafán. He rapidly set forth in his defence, and marched to Khyber at once. He took up a position at Rají, between Khyber and Ghatafán, to cut off their mutual assistance. So it was not a sudden and unprovoked invasion, as Sir W. Muir calls it. He writes: "Mahomet probably waited for some act of aggression on the part of the Jews of Kheibar (it was the fertile lands and villages of that tribe which he had

destined for his followers), or on the part of their allies, the Bani Ghatafán, to furnish the excuse for an attack. But no such opportunity offering, he resolved, in the autumn of this year, on a sudden and unprovoked invasion of their territory."[1] It will appear from what I have stated above, that the invasion of Khyber was purely defensive in its character.

The Christians or Romans.

32. Tabúk, the last expedition.

The last expedition of Mohammad was that of Tabúk, and it was also purely defensive. The travellers and traders arriving from Syria brought news of the gathering of a large army on the borders of Syria. A year's pay, they said, had been advanced by the Greek or Roman Emperor, who was then at Hims, in order that the soldiers might be well-furnished for a long campaign; the tribes of the Syrian desert, the Bani Lakhm, Judzam, Amila, and Ghussan were flocking around the Roman Eagles, and the vanguard was already at Balcâ. Mohammad at once resolved to meet this danger. When he arrived in the vicinity of the Syrian border at Tabúk, he found no troops to oppose him. There were no signs of impending danger, and he therefore returned with his army to Medina. This was in the ninth year of the Hegira.

[1] Life of Mahomet, Vol. IV, p. 61.

This concludes the description of all the wars of the Prophet. I hope I have shown, on good and reasonable grounds, and from the surest and most authentic sources, that the wars were not of an offensive and aggressive character; but, on the contrary, they were wars of defence and protection. The early Moslems were wronged, because they believed in the faith of Mohammad; they were deprived of their civil and religious rights, were driven forth from their homes and their properties, and after all were attacked first, by the Koreish and their confederates, the Jews and other Arabian tribes. They fought neither for revenge, nor to impose the faith of Mohammad by force of arms, nor for the plunder of the caravans which passed in proximity to their city. The permission to fight was only given to the believers because they were fought against or were attacked first, and had been wronged and driven from their homes without just cause. They therefore took up arms against those who first compelled them to fly from their homes, and then attacked them. This was in full accordance, therefore, with the law of nations and the sacred law of nature. The people of Medina had only pledged themselves to protect Mohammad from his enemies. They could not, and would not, have gone forth or allowed Mohammad and his *ansárs* to go forth to plunder the caravan of the Koreish passing by Medina.

33. The conclusion.

The Intolerance.

34. Mohammad never taught intolerance.

Those people are greatly mistaken who say, that "the one common duty laid upon the Faithful is to be the agents of God's vengeance on those who believe not. These are to be slaughtered until they pay tribute, when they are allowed to go to Hell in their own way without further molestation."[1] Mohammad did not wage war against the Koreish and the Jews because they did not believe in his mission, nor because he was to be the instrument of God's vengeance on them; on the contrary, he said, "He was no more than a warner."

"The truth is from your Lord, let him then who will, believe; and let him who will, be an unbeliever."[2]

"Let there be no compulsion in religion."[3] "Verily, they who believe, and the Jews, and the Sabeites, and the Christians, whoever of them believeth in God and in the last day, and doth what is right, on them shall come no fear, neither shall they be put to grief."[4] Even during active hostilities, those who did not believe were allowed to come and hear the preaching, and were then conveyed to their place of safety.[5] Nor were the wars of Mohammad to exact tribute from the unbelievers.

---

[1] Islam under the Arabs, by Major R. D. Osborne. London, 1876, p. 27.
[2] XVIII. 28. [3] II, 257. [4] V, 73. [5] IX. 6.

The tribute was only imposed upon those who had sought his protection, and even then they were exempted from other regular taxes which the Moslems paid to their Commonwealth.

On the contrary, as has already been shown, Mohammad merely took up arms in the instances of self-preservation. Had he neglected to defend himself after his settlement at Medina against the continued attacks of the Koreish and their allies, he with his followers would, in all probability, have been exterminated. They fought in defence of their lives as well as their moral and religious liberties.

35. In what sense the wars were religious wars.

In this sense the contest might be called a religious war, as the hostilities were commenced on religious grounds. Because the Koreish persecuted the Moslems, and expelled them for the reason that they had forsaken the religion of their forefathers, *i.e.*, idolatry, and embraced the faith of Islam, the worship of One True God; but it was never a religious war in the sense of attacking the unbelievers aggressively to impose his own religion forcibly on them. How much is Sir W. Muir in the wrong, who says, that fighting was prescribed on religious grounds? "Hostilities," he says, "indeed, were justified by the 'expulsion' of the believers from Mecca. But the main and true issue of the warfare was not disguised to be the victory of Islam. They

were to fight '*until the religion became the Lord's alone.*'"[1]

36. The alleged verses of intolerance explained. The verses of the Koran referred to above are as follows :

186. "And fight for the cause of God against those who fight against you : but commit not the injustice *of attacking them first:* verily God loveth not the unjust."

187. "And kill them wherever ye shall find them, and eject them from whatever place they have ejected you ; for (*fitnah*) persecution or civil discord is worse than slaughter ; but attack them not at the sacred Mosque, until they attack you therein, but if they attack you, then slay them—Such is the recompense of the infidel !"

188. "But if they desist, then verily God is Gracious, Merciful."

189. "And do battle against them until there be no more (*fitnah*) persecution or civil discord and the only worship be that of God : but if they desist, then let there be no hostility, save against wrong-doers."—Sura, ii.

These verses generally, and the last one especially, show that the warfare was prescribed on the ground of self-preservation, and to secure peace, safety and religious liberty, to prevent (*fitnah*) persecution.

---

[1] The Life of Mahomet. Vol. III. p. 79.

By preventing or removing the persecution (*fitnah*), the religion of the Moslems was to be free and pure from intolerance and compulsion to revert to idolatry, or in other words, to be the only or wholly of God. That is, when you are free and unpersecuted in your religion, and not forced to worship idols and renounce Islam, then your religion will be pure and free. You shall have no fear of being forced to join other gods with God.

The same verse is repeated in Chapter VIII.

39. "Say to the unbelievers: If they desist,[1] what is now past shall be forgiven them, but if they return *to it*,[2] they have already before them the doom of the former."[3]

40. "Fight then against them till *fitnah* (civil strife or persecution) be at an end, and the religion be all of it God's, and if they desist, verily God beholdeth what they do."

This shows that the fighting prescribed here against the Koreish was only in the case of their not desisting, and it was only to prevent and suppress their *fitnah*, and when their intolerance and persecution was suppressed, or was no more, then the Moslem religion was to become all of it God's. They were not forced to join any god with the true God.

---

[1] From attacking and persecuting you and preventing you from entering your homes and visiting the sacred mosque.

[2] That is, if again attack you and commit aggressions.

[3] Meaning those who were defeated at Badr.

37. Sir W. Muir quoted.

Sir W. Muir, in his last chapter on the person and character of Mohammad, observes in reviewing the Medina period: "Intolerance quickly took the place of freedom; force, of persuasion." . . . . "Slay the unbelievers wheresoever ye find them" was now the watchword of Islam:—"Fight in the ways of God until opposition be crushed, and the Religion becometh the Lord's alone!"[1] Here, Sir W. Muir plainly contradicts himself. He has already admitted at the 136th page of the fourth Volume of his work that the course pursued by Mohammad at Medina was to leave the conversion of the people to be gradually accomplished without compulsion, and the same measure he intended to adopt at his triumphal entry into Mecca. His words are: "This movement obliged Mahomet to cut short of his stay at Mecca. Although the city had cheerfully accepted his supremacy, all its inhabitants had not yet embraced the new religion, or formally acknowledged his prophetic claim. Perhaps, he intended to follow the course he had pursued at Medina, and leave the conversion of the people to be gradually accomplished without compulsion." This was at the end of the eighth year after the Hegira.

Mohammad died at the beginning of the eleventh year, then the question naturally comes up, when was

[1] The Life of Mahomet, Vol. IV. p. 319.

that alleged change to intolerance, and how Sir W. Muir says, this change is traced from the period of Mohammad's arrival at Medina ? In the action taken in the fifth year of the Hegira against the Jewish tribe of Koreiza, who had treasoned against the city, Sir W. Muir admits that up to that period Mohammad did not profess to force men to join Islam, or to punish them for not embracing it. His words are : "The ostensible grounds upon which Mahomet proceeded were purely political, for as yet he did not profess *to force* men to join Islam, or to punish them for not embracing it."[1] In a foot-note he remarks : "He still continued to reiterate in his Revelations the axiom used at Mecca, 'I am only a public preacher,' as will be shown in the next chapter." Further, Sir W. Muir, in his account of the first two years after Mohammad's arrival at Medina, admits in a foot-note (p. 32, Vol. III), that "as yet we have no distinct development of the intention of Mahomet to impose his religion on others by force : it would have been dangerous in the present state of parties to advance this principle."

38. Comment on the above quotation.

It will appear from the foregoing statements that in each of the three distinct periods of Mohammad's sojourn in Medina, *i. e.*, the first two years, the fifth year, and the eighth year, Sir W. Muir has himself admit-

[1] The Life of Mahomet, Vol. III, p. 282.

ted that Mohammad had no intention to impose his religion by force, and did not profess to force people to join Islam, or punish them for not embracing it, and that the conversion of the people at Medina was gradually accomplished without compulsion, and the same course he followed at his taking of Mecca. Then there is no room left for the uncalled for and self-contradictory remark of Sir W. Muir, that at Medina "Intolerance quickly took place of freedom; force, of persuasion." Up to the end of the eighth year when Mecca was captured, there was admittedly no persecution or constraint put in requisition to enforce religion. Mohammad breathed his last early in the eleventh year. During the two years that intervened, the din of war had ceased to sound, deputations continued to reach the Prophet from all quarters of Arabia, and not a single instance of intolerance or compulsory adoption of faith is found on record.[1]

---

[1] There is only one instance of intolerance, *i. e.*, making converts at the point of sword, which Sir W. Muir, so zealous in accusing Mohammad of religious persecution during the Medina period, has succeeded in finding out during the ten eventful years of Mohammad's sojourn in Medina. I refer to the story of Khalid's mission in the beginning of the tenth year A. H., to Bani Haris, a Christian tribe at Najran, whose people had entered into a covenant of peace with Mohammad, and to whom an ample pledge had been guaranteed to follow their own faith. According to Sir W Muir, Khalid was instructed to call on the people to embrace Islam, and if they declined, he was, after three days, to attack and force them to submit (Muir's Life of Mahomet, Vol IV, p. 224). The version of the story thus given by the Biographers of Mohammad is too absurd to be believed; because it is a well-established fact that the Bani Haris, or the Christians of Najran, had sent a deputation to Mohammad only a

Mohammad, neither sooner, nor later, in his stay at Medina, swerved from the policy of forbearance and persuasion he himself had chalked out for the success of his mission. At Medina, he always preached his liberal profession of respect for other creeds, and reiterated assurances to the people that he was merely a preacher, and expressly gave out that compulsion in religion was out of question with him.

These are his revelations during the Medina period. "Verily, they who believe (Moslems), and they who follow the Jewish religion, and the Christians, and the Sabeites,—whoever believeth in God and the last day, and doeth that which is right, shall have their reward with their Lord: and fear shall not *come* upon them, neither shall they be grieved."

Sura II, 59.

"And say to those who have been given the Scripture, and to the common folk, Do you surren-

---

year ago. *i. e.*, in A. H. 9, and obtained terms of security from him (Muir's Life of Mahomet. Vol. II, p. 299; Ibn Hisham. p. 401). It is quite an unfounded, though a very ingenious, excuse of Sir W. Muir to make the Bani Haris consist of two sects,—one of Christians, and the other of idolators,—and to say that the operations of Khalid were directed against the portion of Bani Haris still benighted with paganism; thus reconciling the apocryphal tradition with the fact of the Bani Haris being at a treaty of security, toleration and freedom, with Mohammad.

"I conclude," he writes in a note, "the operations of Khâlid were directed against the portion of Bani Hârith still idolaters:—at all events not against the Christian portion already under treaty" (The Life of Mahomet, Vol. IV, foot-note. p. 224). See the account of the conversion of Bani Hârith to Christianity long before Islam in Hishamee, pp 20—22. Gibbon, Chapter XLII, Vol. V. p. 207, foot-note; and Muir's Vol. I, p. ccxxviii.

der yourselves unto God? Then, if they become Moslems, are they guided aright; but if they turn away, then thy duty is only preaching; and God's eye is on his servants." *Sura III*, 19.

"The Apostle is only bound to preach: and God knoweth what ye bring to light, and what ye conceal." *Sura V*, 99.

"Say: Obey God and obey the Apostle. But if ye turn back, *still* the burden of his duty is on him only, and the burden of your duty rests on you. And if ye obey him, ye shall have guidance; but plain preaching is all that devolves upon the Apostle." *Sura XXIV*, 53.

"Let there be no compulsion in religion. Now is the right way made distinct from error; whoever therefore denieth Tâghoot,[1] and believeth in God, hath taken hold on a strong handle that hath no flaw therein: And God is He who Heareth, Knoweth." *Sura II*, 257.

"Whoso obeyeth the Apostle, in so doing obeyeth God; and *as to those* who turn back *from thee*, We have not sent thee to be their keeper." *Sura IV*, 82.

39. The object of Mohammad's wars.

"Slay the unbelievers wherever ye find them" was never the watchword of Islam. It was only said in self-preservation and war of defence, and concerned

[1] A name applied to an idol or idols—especially Allat and Ozza, the ancient idols of the Meccans.

only those who had taken up arms against the Moslems.

The verses—Suras II, 189; and VIII, 40—have been quoted above in paras. 17 and 37 (pp. 18, 21, 44 and 45), and they fully show by their context and scope that they only enjoined war against the Meccans, who used to come to war upon the Moslems. The object of making war is precisely set forth in these verses, and appears to mean that civil feuds and persecutions be at an end. But Sir W. Muir wrongly translates *Fitnah* as *opposition*. He himself has translated the meaning of the word in question as *persecution*, in Vol. II, p. 147, foot-note; in translating the tenth verse of the Sura LXXXV he writes: "Verily, they who persecute the believers, male and female, and repent themselves not." The original word there is *Fatanoo*,[1] from *Fitnah*. I do not know why he should put a twofold version on the same word occurring in the same book. (Suras II, 187; VIII, 40.)

The Ninth Chapter, or Sura Barat.

40. The opening portion of the IXth Sura of the Koran only relates to the Koreish who had violated the truce.

Sir William Muir, while relating the publication of some verses of the ninth chapter of the Koran on the occasion of the great pilgrimage A. H. 9, and referring to the opening verses of the Sura (from 1st to 7th inclu-

[1] The past tense, third person plural, of the infinitive *Fitnah*.

sive) writes : "The passages just quoted completed the system of Mahomet so far as its relations with idolatrous tribes and races were concerned. The few cases of truce excepted, uncompromising warfare was declared against them all."[1] This is not correct. The mistake, he as well as others who follow him commit, lies in their taking the incipient verses of Chapter IX, as originally published at the end of the ninth year of the Hegira, after the conquest of Mecca, in order to set aside every obligation or league with the idolators to wage war with them, either within or without the sacred territory, and "they were to be killed, besieged, and laid in wait for *wheresoever found.*"[2] In fact it has no such bearing of generally setting aside the treaties, and declaring *uncompromising warfare*, and was not published for the first time on the occasion stated above. The opening verses of the ninth Sura of the Koran, which I have quoted in full together with necessary notes in para. 17 (pp. 22-25), revealed for the first time, were before the conquest of Mecca, when the idolators thereof had broken the truce of Hodeibia. Their violation of the treaty is expressly mentioned in verses 4, 8, 10 and 13, and the same verses also enjoin to respect and fulfil the treaties

The injunctions contained in it were not carried out owing to the compromise.

[1] The Life of Mahomet, Vol. IV, p. 211.

[2] "Islam and its Founder," by J. W. H. Stobart, B.A., p. 179. London, 1878.

of those idolators who had not broken theirs. Therefore only those aggressors who had been guilty of a breach of faith, and instigated others to take up arms against the Moslems in the attack of Bani Bakr, on Khozáa, were to be waged war against, besieged, and taken captives after the expiration of four months from the date of the publication of the verses in question. But fortunately Abu Sofian compromised before the commencement of the sacred months, and before the period of the four months had elapsed. The people of Mecca submitted without bloodshed, and hence it is obvious that the injunctions contained in the commencement of the ninth chapter of the Koran were never carried out. They remained as dead letter, and will, I think, so remain perpetually. Almost all European writers, as far as I know, labour under the delusion that at the end of the ninth year Mohammad published the opening verses of the ninth Sura, commonly designated *Súra Barát*. But the fact is that it was published in the eighth year of the Hegira before the commencement of the sacred months, probably in the month of Shabán, while Mohammad marched in Ramzán against Mecca, not with the intention of prosecuting war, for it was to take place after the lapse of Zikad, Zelhaj and Moharram, but of taking Mecca by compromise and preconcerted understanding between himself and Abu Sofian. If it be ad-

mitted that the preliminary verses of Sura IX of the Koran were revealed or published for the first time in the last month of the ninth year of the Hegira, then they—the verses—become aimless, without being pregnant of any object in view. They contain injunctions for carrying hostile operations against those who had broken certain treaties, had helped others against the Moslems, and themselves had also attacked them. They proclaimed war against certain tribes, whose people did not regard ties of blood and good faith, and had been the first aggressors against the Moslems. Not many such persons were in the whole of Arabia at and after the time alleged for the promulgation of these verses, *i.e.*, at the last month of the ninth and the whole tenth year. By this time, almost all Arabia had tendered voluntary submission to the authority of Mohammad.

Deputations from each tribe of the Arabs continued to reach Medina during the whole of this period, and were pledged protection and friendship by the founder of the Islamic faith. From Medina the sound of drums and the bray of clarions had now died away. Hereupon we are able to speak with certainty that these verses could not be, and were not, revealed at the end of the ninth year as it has been asserted by several writers, both Mohammadan and European. And for the above reasons the most suitable occasion for the revelation of these verses is the breach of the

truce of Hodeibia by the Koreish and their allies during the eighth year of the Hegira which caused the reduction of Mecca by compromise. Several Mohammadan commentators are unanimous in their opinion as to this point. Consequently the verses, ordaining the manifestation of arms against the treaty-breakers and aggressors, as well as putting them to the sword wherever they were to be found, *i.e.*, within or without the harem, or the precincts of the Sacred Mosque, were not complied with owing to the compromise by the Koreish.

The alleged Interception of the Koreishite Caravans.

41. The nine alleged interceptions of the Koreish caravans.

It has been asserted by European biographers of Mohammad that several caravans of the Koreish going to and from Syria were intercepted and waylaid by the Moslems soon after the Hegira. The alleged incursions are as follow:

(1.) Seven months after Mohammad's arrival at Medina, an expedition headed by Hamza surprised a caravan under the conduct of Abu Jahl.

(2.) A month later a party led by Obeida was dispatched in the pursuit of another caravan guided by Abu Sofian.

(3.) After the expiration of another month, a third inroad headed by Sad proceeded to lie in ambush for the Koreish caravan on the way it was expected to pass.

(4.) Nearly twelve months after the Hegira, a fourth attempt was undertaken to plunder a caravan of the Koreishites by Mohammad himself at Abwa.

(5.) In the succeeding month Mohammad again marched to Bowat with the sole aim of despoiling a caravan composed of precious freight under the immediate escort of Omeya-bin Khalf.

(6.) After the lapse of two or three months Mohammad set out to Osheira to make aggression on another rich caravan proceeding to Syria led by Abu Sofian.

All these expeditions are said to have been not attended by any success on the part of the Moslems, the vigilance of the caravans in all cases eluding the pursuit made after them.[1]

(7.) In Rajab A. H. 2, a small band composed of some six persons was ordered to march to Nakhla to lie in wait there for the caravan of the Koreish. The party had a scuffle at Nakhla, in which a man of the convoy was killed; while two prisoners and the pilfered goods were taken to Medina. Hereupon Mohammad was much displeased, and told Abdallah-bin Jahsh, "I never commanded thee to fight in the sacred month."

(8.) The caravan of the Koreish, which on its passage had safely escaped the chase of the Moslems,

[1] I have closely followed Sir W Muir in these expeditions; *vide* The Life of Mahomet, Vol. III. pp. 64—69.

as already described in No. 6, was on its way back to Mecca. Mohammad anticipated their return, and prepared an attack, which terminated in the famous battle of Badr.

(9.) All these predatory inroads to intercept the caravans of Mecca are said to have happened during the first and the second year of the Hegira, or before the battle of Badr. It remains for me now to mention the only remaining instance of Moslem's foray upon the Koreishite caravan, which took place in the sixth year A. H. at *Al-Is.* The attack was completely successful.

42. The interceptions were impossible under the circumstances in which Mohammad was placed.

I have already explained (from paras. 21—24) that these early expeditions, numbered 1 to 8, are not corroborated by authentic and trustworthy traditions, and I have also given the probable nature of those marked 4, 5 and 6.

It was impossible for Mohammad and his adherents, situated as they were, to make any hostile demonstrations or undertake a pillaging enterprise. The inhabitants of Medina, where the Prophet with his followers had sought a safe asylum, and at whose invitation he had entered their city, had solemnly bound themselves on sacred oaths to defend Mohammad, so long as he was not himself the aggressor, from his enemies as they would their wives and

their children.[1] Mohammad, on his own part, had entered into a holy compact with them not to plunder or commit depredations.[2]

Upon these considerations it was impossible that the people of Medina would have permitted or overlooked the irruptions so often committed by Mohammad upon the caravans of the Koreish: much less would they have joined with their Prophet, had he or any of his colleagues ventured to do so. But granting that the Medinites allowed Mohammad to manifest enmity towards the Koreish by a display of arms, or that no restraint was put by them upon him when he encroached upon the territories of the neighbouring tribes, and that the caravans were molested without any grounds of justice, was it possible, I ask, for the people of Medina to avoid the troubles they would be necessarily involved in by the refuge they had given to their Prophet? They had long suffered from internal feuds, and the sanguinary conflict of Boás, a few years ago, which had

---

[1] "The people of Medina were pledged only to defend the Prophet from attack, not to join him in any aggressive steps against the Coreish." Muir's Life of Mahomet, Vol. III, p. 64.

[2] Bokharee relates from Obada-bin Sámat with the usual chain of narrators, that "I am one of the *Nakeebs* who pledged to the Prophet. We pledged that we will not join any other god with the God, and will not commit theft, and will not commit fornication, and will not commit murder, and will not plunder." Saheeh of Bokharee, Book of Campaigns, chapter on Deputations from Ansárs.

paralyzed their country, and humiliated its citizens, was but too fresh in their memory yet.

Let us suppose that these alleged interceptions of the Meccan caravans by the Moslems did actually take place, as related by the biographers of Mohammad, were they not all justified by the International Code of the Arabs, or the ancient usage and military law of nations. It has been proved beyond all dispute that the Meccans were the first aggressors in persecuting the Moslems, and expelling them from their dear homes at Mecca with the unbearable annoyance, they caused the converts of the new faith in the peaceful prosecution of their religion; taking all these causes of offence into consideration, as well as the International law and the law of Nature, the Moslems might be said to have law and justice both on their sides in waging war with their harassers for the restoration of their property and homes, and even in retaliating and making reprisals until they attained the object long sought by them. When the Meccans, on their own part, had first trumpeted hostility against the Moslems, the right of self-defence, as well as military necessity, compelled the latter to destroy their property, and obstruct the ways and channels of communication by which their traffic was prospering; for, "from the moment one State is at war with another, it has, on general prin-

43. The interceptions, if occurred, were justified by way of reprisals.

ciples, a right to seize on all the enemy's property of whatsoever kind and wheresoever found, and to appropriate the property thus taken to its own use, or to that of the captors." [1]

The alleged Assassinations.

44. Instances of alleged assassinations cited.

There were certain executions of culprits who had perpetrated the crime of high treason against the Moslem Commonwealth. These executions, and certain other cases of murders not grounded on any credible evidences, are narrated by European biographers of Mohammad as assassinations committed through the countenance and connivance which he lent them. They were about five or six in number, and they are styled assassinations from there being no trials of the prisoners by a judge and a jury, nor by any systematic court-martial. The punishment of death was inflicted upon the persons condemned, either from private enmity or for the unpardonable offence of high treason against the State, but it cannot be said, as I will hereafter show, that these so-called cases of assassinations had received the high sanction of Mohammad, or they were brought about at his direct instigation and assent for their commission.

[1] Wheaton's Elements of International Law, p. 419, Boston, 1855; Lieber's Miscellaneous Writings; Political Science, Vol. II, p. 250. Philadelphia. 1881.

The alleged instances are as follows :—

1. Asma-bint Marwán.
2. Abú Afak.
3. Káb-ibn Ashraf.
4. Sofian-ibn Khalid.
5. Abú Ráfi.
6. Oseir-ibu Zárim.
7. The attempted assassination of Abú Sofian.

45. Mr. Poole quoted.

Before reviewing the truth and falsity of evidence in each of these cases, and showing how far the Prophet was privy to them, I will avail myself of a quotation from Mr. Stanley Lane Poole, who has remarked with his usual deep discernment and accurate judgment, in his Introduction to Mr. E. W. Lane's Selections from the Koran :

"The execution of the half-dozen marked Jews is generally called assassination, because a Muslim was sent secretly to kill each of the criminals. The reason is almost too obvious to need explanation. There were no police or law-courts, or even courts-martial, at Medina ; some one of the followers of Mohammad must therefore be the executer of the sentence of death, and it was better it should be done quietly, as the executing of a man openly before his clan would have caused a brawl and more bloodshed and retaliation, till the whole city had become mixed up in the quarrel. If secret assassination is the

word for such deeds, secret assassination was a necessary part of the internal government of Medina. The men must be killed, and best in that way. In saying this I assume that Mohammad was cognisant of the deed, and that it was not merely a case of private vengeance; but in several instances the evidence that traces these executions to Mohammad's order is either entirely wanting or is too doubtful to claim our credence."[1]

1.—*Asma-bint Marwán.*

46. Asma-bint Marwán.

"The first victim was a woman," writes Major Osborn, "Asma, daughter of Marwan; she had composed some satirical verses on the Prophet and his followers; and Muhammad, moved to anger, said publicly: 'Who will rid me of this woman?' Omeir, a blind man, but an ardent Moslem, heard the speech, and at dead of night crept into the apartment where Asma lay asleep surrounded by her little ones; he felt about in the darkness till his hand rested on the sleeping woman, and then, the next instance his sword was plunged into her breast."[2]

The story of Asma's murder has been variously related by the Arabian writers, and the testimonies on which it rests are contradictory and conflicting in

[1] Selections from the Kur-an by Edward William Lane, with an Introduction by Stanley Lane Poole. Intro., p. xliv: Trübner & Co., London, 1879.

[2] Islam under the Arabs, by R. D. Osborn, p. 60. London, 1876.

themselves. Wákidi, Ibn Sád, and Ibn Hishám relate a very strange thing about it, that she was killed by Omeir the *blind* at the dead of night. A blind person commits murder in a stranger's house during nocturnal quietness, and is not arrested by any one! Doctor Weil writes, that Omeir was a former husband of Asma, and the origin of the murder may be traced to a long-brooding and private malice. Ibn Asákar in his history (vide *Seerat Shámee*) relates that Asma was a fruit-seller; some person of her tribe asked her if she had better fruits. She said 'yes,' and entered her house followed by that man. She stooped down to take something up, the person turned right and left, and seeing that nobody was near, gave a violent blow on her head, and thus dispatched her.

47. The story deserves not our belief.

The historians even relate that Omeir, being offended at the verses composed by Asma, had volunteered himself of his own free-will to kill her.[1] She might have been a sacrifice to envy or hatred by the sword of her assassin, but Mohammad really had no hand in her death. She had made herself an outlaw by deluding the people of Medina to a breach of treaty with the Moslems, whereby the rights and jurisdictions of Jews and Moslems were definitively settled.

[1] Wákidi's Campaigns of Mohammad, pp. 172 & 173: Calcutta Baptist Mission Press; edited by A. Von Kremer.

Ibn Ishak quietly leaves unnarrated any transaction with regard to Asma. Wakidi and Ibn Sád do not affirm that Mohammad, being annoyed at her lampoons, said dejectedly, "Who would rid me of that woman ?" On the contrary, Wakidi writes, that Omeir had voluntarily swore to take her life. It is only Ibn Hisham who relates without citing his authority, that Mohammad, hearing Asma's verses, declared : "Is there nobody for me (i. e., *to rid me*) from Bint Marwán ?" This version of the story has no corroborative proofs from the earliest biographers, and we are not inclined to put any faith in it.[1]

2.—*Abú Afak.*

48. Abú Afak.

It has been related that Abú Afak of Bani Amr had enraged the Moslems by fomenting enmity and sedition against their Government, when one Háris was executed for his murdering treacherously his fellow-comrade in the battle of Ohad during the time they were fighting together side by side. A convert from amongst the Bani Amr vowed to slay Abú Afak, and falling unawares upon him killed him with a cruel blow of his sword. From Ibn Ishak we learn that Mohammad had said with reference to Abú Afak,

---

[1] Sir W. Muir writes that "Hishami says, that Mahomet, being vexed by Asma's verses, said *publicly*, 'Who will rid me of this woman !'" But there is no such word in Ibn Hishám which may be rendered '*publicly*.'

"Who would rid me of this pestilent fellow?"[1] The biographers do not give their authorities whence they derived their information of the words attributed to Mohammad which he is said to have uttered with relation to Abú Afak before his followers; while at the same time it is no fair justice to form a hasty opinion of the fact without a critical examination and well-balancing of evidences of men like Ibn Ishak and others who have forgotten to tell us the original sources of their own assertion. Besides, the words quoted above are not equivalent to a peremptory order, and even granting this last condition, we are not justified in construing them to mean *assassination*. Sir W. Muir writes that, "the Secretary of Wâckidi says distinctly—'Now this was by command of the Prophet.'" (Vol. III, p. 133, *f. n.*) But it is a very easy thing for the secretary or other biographers to give an ample play to their fancies, or to fabricate commands, which the Prophet had never given out, on a very slender basis, or on no reasonable basis at all. The tendency of the biographers is always to exonerate the companions of the Prophet at the expense of truth, and to justify their deeds by casting the whole blame upon him.

[1] Ibn Hisham, p. 994. Wakidi does not give this sentence. On the contrary, he says, Sálim had taken a vow to kill Abú Afak or die himself.

3.—*Káb, son of Ashraf.*

49. Káb, son of Ashraf.

Káb-ibn Ashraf was an influential Jew connected with the tribe of Bani Nazeer. Being very much mortified by the defeat of the Meccans at the battle of Badr, he soon after proceeded to Mecca, where he stirred up the Koreish to avenge themselves on the Moslems of Medina. On his return to the latter place he manifested avowed hostility towards the Moslem Commonwealth. He was a traitor and a turncoat, for he not only violated his allegiance to the Moslems, but preached rebellion among their enemies. Under such circumstances, he deserved execution by the military and international law, and was decapitated at Medina accordingly. The mode of execution was a sudden violence or deception, but Mohammad never fulminated any harsh commands against him either for his assassination or for his murder. He deserved capital punishment for his treachery, which was duly measured out to him in the absence of any legal tribunals for trials of criminals by jury, for in that case any man was authorized to execute the sentence of the law. Even if it be taken for granted that the Prophet had prayed "O Lord, deliver me from the son of Ashraf, in whatsoever manner seemeth good unto thee, because of his open sedition and verses;" or said, "Who can ease me of the son of

Ashraf?"[1] This does not amount to a fiat for murder or execution, much less for assassination.

50. Mohammad could not have any share in his murder.

The biographers and narrators of the campaigns of Mohammad generally relate untrustworthy and fabulous details of such events, and are by no means to be relied upon. Mohammad Ibn Ishak, the earliest biographer, whose work exists, does not relate that Mohammad the Prophet ever prayed for, or said to his followers, to be got rid of Káb; whereas the latest biographers and traditionalists give us to understand that the Prophet sanctioned the murder of Káb by his own express orders. "I am far from asserting," says Sir W. Muir, "that every detail in the foregoing narrative, either of instigation by Mahomet, or of deception by the assassins, is beyond suspicion. The actors in such scenes were not slow to magnify and embellish their own services at the expense of truth. There may also have been the desire to justify an act of perfidy, at which even the loose morality of the day was startled, by casting the burden of it on the infallible Prophet. But, after allowing all due weight to both of these considerations, enough remains to prove, in this case, the worst features of assassination, and the fact that they were directly countenanced, or rather prompted, by Mahomet him-

[1] Ibn Sad Kátib Wákidi, pp. 186, 187.

self."[1] There is no substantial proof in this case which tends to establish the instigation Mohammad offered for the murder of Káb. The best traditions for the story of Káb's assassination rest with Jábir-bin Abdullah,[2] and Ibn Abbás through Ikrama.[3]

None of them can be an authority, for they were neither eye-witnesses, nor they heard the Prophet countenancing or prompting the assassination, nor they allude to their own authorities. Jábir-bin Abdullah was a mere boy at that time. He was not allowed to appear even at the battle of Ohad, which took place after the alleged execution of Káb, on account of his tender age.[4] Ibn Abbás was even younger than Jábir, and besides, was putting up at Mecca at the period in question.[5] Ikrama was a slave of Ibn Abbás, and was notoriously given to the forging of fictitious traditions.[6]

---

[1] The Life of Mahomet, by Sir W. Muir, Vol. III, pp. 147-148.

[2] In the collections of Bokhári in the Book of Campaigns; and in the Book of Jihád by Moslim.

[3] Mohammad-bin Sád Kátib Wakidi and Mohammad-bin Ishak. The latter in Ibn Hisham, p. 551.

[4] Vide *Osaba-fi Tamiz Issahába;* or, Biographical Dictionary of Persons who knew Mohammad, by Ibn Hajr-al-Askalani. Part I, No. 1021, p. 434.

[5] Ibn Abbás was only five years old at that time, and was at Mecca. His evidence is consequently inadmissible.

[6] Yahya-bin Saeed al Ansaree, Ali-bin Abdullah-bin Abbás, Ibnal Mosayyab, Atá, Ibrahim-bin Maisura, Mohammad-bin Sireen, Kásim, and Abdullah-bin Omar say that Ikrama was a liar. Vide *Mizánul Etedal* of Zahabi, *Koukabi Durrári Sharah. Saheeh Bokhari*, by Shamsuddin Kirmári; and *Márafat Anwaá-ilm Hadees*, by Abu Omar-ad-Damishki.

4.—*Sofian-bin Khalid.*

51. Sofian-bin Khalid.

After the reverse at Medina, in the battle of Ohad, large gatherings were organized in various quarters of Arabia against the Moslems. The Bani Lahyán, and other neighbouring tribes, rallied round the standard of their chief Sofián, the son of Khálid, at Orna with the avowed purpose of taking this occasion by the forelock when the tables were turned at Ohad. "Mahomet, knowing that their movements depended solely upon Sofiân, despatched Abdallah ibn Oneis with instructions to assassinate him."[1] The accredited envoy volunteered himself for the service, which he accomplished by destroying Sofian by surprise. Neither Ibn Ishak, nor Ibn Hisham, nor Ibn Sád have anything to say about 'instructions' for assassination. Abdullah-bin Oneis may have been sent as a spy to reconnoitre the movements of Sofián and his army, or to bring advices concerning him, but it cannot be affirmed that he was tutored by Mohammad to assassinate Sofian, even on the supposition that his mission was to kill the latter.

52. Justifications of Sofian's alleged murder.

Among the Arabs the international law of estates in their hostile relations, and the military law and usage of former times, not forgetting to mention the European international law as late as the last century, maintained

[1] The Life of Mahomet, by Sir W. Muir. Vol. III, p. 200.

the broad principle that "in war everything done against an enemy is lawful; that he may be destroyed, though unarmed and defenceless; that fraud or even poison may be employed against him; that a most unlimited right is acquired to his person and property."[1] Every sort of fraud except perfidy was allowed to be practised towards an enemy in war. "I allow of any kind of deceit," writes Bynkershoek, a writer on international law, the successor of Puffendorf and the predecessor of Wolff and Vattel, "perfidy alone excepted, not because anything is unlawful against an enemy, but because when our faith had been pledged to him, so far as the promise extends, he ceases to be an enemy."[2]

In the case of Sofián there was no perfidy, treachery, or violation of faith, nor was there any permission granted by Mohammad for his assassination. He sent, if it be proved he did (but it is never proved), Abdullah against Sofián who had made every preparation of arms, and who had mustered together several Bedouin tribes to attack Mohammad, to fight and kill him; it was a straightforward course allowed by the usages of the military law. Mohammad had distinctly and expressly interdicted *perfidy*, *deceit*,

---

[1] Elements of International Law, by Henry Wheaton, LL.D. Sixth edition, by William Beach Lawrence, Boston, 1855; Part IV, Chapter I, p. 374, quoting Bynkershoek; in p. 416, quoting Bynkershoek and Wolff.

[2] *Ibid*, Chapter II, p. 470.

and assassination. "Do not," said he, charging his commanders and soldiers on the point of marching for a military expedition, "commit perfidy, and do not mutilate, and do not kill a child."[1] He also laid down the golden maxim, "*Belief is the restraint to assassination. No believer should commit assassination.*"[2]

5.—*Abú Rafe.*

53. Abú Rafe.

Abú Rafe, called also Sallám Ibn Abul Hokeik, was the chief of Bani Nazeer, who had warred with the Moslems at Medina, and had been banished to Khyber. He had taken a prominent part in the assembling of most of the Bedouin tribes at the war of the confederates when they besieged Medina. Subsequently, he had excited Bani Fezara and other Bedouin tribes to carry on their depredations among the Moslems. A band of the latter was dispatched to inflict condign punishment upon him, and he met with his death at their hands. But the account of his execution are full of contradictions and discrepancies. But none of these diverse stories has, that Mohammad commanded the assassination of Abú Rafe, while Ibn Ishak gives no account of him at all. Ibn Hisham has—"That Abú Rafe had brought the confederate army against Mohammad, and some of Khaz-

[1] The collections of Moslem *Apud* Boreida. *vide* Mishkat, p. 333.
[2] The collections of Abú Daúd in the Book of Jihád, Vol. II, p. 26.

raj had asked permission to kill him, and Mohammad permitted them."[1] Sir W. Muir narrates that Mohammad "gave them command to make away with Abul Huckeick,"[2] whilst the Secretary of Wákidi, whom he follows, simply says, "He gave command to kill him." "*Making away with a person*" creates an idea of secret murder tantamount to 'assassination,' but such is not the wording of the original. *Sending a party to kill*, or *fight with an enemy* are synonymous, and permissible by the international or military law, the Arab mode of fighting mostly consisting of single combats.

6.—*Oseir-bin Zárim.*[3]

54. Oseir-bin Zárim.

Oseir-ibn Zarim, the chief of Bani Nazeer, had maintained a hostile animosity against the Moslems of Medina, to war with whom he had enrolled himself in the adverse tribe of Ghatafán. Preparations were briskly made by this tribe to make a havoc of Medina, and Oseir had been made the hero of the enterprise. Hereupon Mohammad delegated the mission of bringing the insurgent to Medina to Abdullah-bin Rawáha and some others, with a promise of making him

---

[1] The Life of Mohammad based on Mohammad-ibn Ishak, by Abdel Malik-ibn Hisham. p. 714

[2] The Life of Mahomet, by Sir W. Muir, Vol. IV, p. 14.

[3] Or Yoseir-bin Razim.

Governor of Khyber,[1] and treating him with marked distinction, if he yielded to the wishes of the Prophet. Oseir complied, and set out with his followers to Medina. On a camel were mounted Abdullah-bil, Oneis, and Oseir. Hardly they had travelled six miles when Oseir repented of his determination to go to Medina, and stretched forth his hand towards the sword of Abdullah, who leaped from the camel and cut off his leg, Oseir in the meantime wounding Abdullah's head with his camel staff.[2]

Now, whether Oseir was assassinated or murdered perfidiously; whether he meditated treachery, and Abdullah struck him in his self-defence,—whatever might bethe case, certainly there is nothing in the narrative of Oseir's death to show that Mohammad had sent him "on a secret errand with a view of getting rid of the Jewish chief" as Sir W. Muir explains.[3] The story is not imparted by earliest writers like Ibn Ishak, and the traditions of a later date are incoherent, one-sided, and imperfect. Notwithstanding these inaccuracies, no account tells us that mandates were issued for fighting with or killing Oseir, much less for his assassination.

---

[1] As Khyber was not yet conquered, neither Mohammad could make such a promise, nor the Jews could have been induced to believe it; therefore the story is a false one.

[2] The Life of Mohammad, by Abdel Malik-bin Hisham, pp. 980-981.

[3] Muir's Life of Mahomet, Vol. IV, pp. 16-17.

7.—The alleged intended Assassination of Abú Sofian.

55. The intended assassination of Abú Sofian.

A Bedouin Arab was sent by Abú Sofian to Medina to assassinate Mohammad. The emissary was tracked in his evil attempt, and confessed the purpose with which he had come. This is related by Ibn Sád Katib Wakidi as the cause of Mohammad's sending Amr Ibn Omeya to assassinate Abú Sofian.[1] According to Hishamee, Amr was commissioned by the Prophet to fight with Abú Sofián, and to kill him in immediate revenge for the murder of Khobeib and his companions captured at Raji.[2] Now, Ibn Ishak and Wákidí preserve absolute silence on this head. Ibn Hisham relates nothing about assassination. It is only Ibn Sád Kátib Wákidí who hands down to posterity the orders of Mohammad for the assassination of Abú Sofian. This tradition is neither strengthened by any sterling witness, nor is it a genuine one; and for this very reason it was not accepted by Ibn Ishák or even by Wakidi, so prone to the recital of apocryphal traditions.

56. Irving and Muir quoted: concluding remarks.

Referring to the above attempted assassination Mr. Washington Irving says: "During this period of his career

[1] Muir's Life of Mahomet, Vol. IV, p. 20.

[2] The Life of Mohammad, by Abdel Malik-bin Hisham, pp. 992 993. The fighting was, according to Arab custom, in single combats.

Mahomet in more than one instance narrowly escaped falling by the hand of an assassin. He himself is charged with the use of insidious means to rid himself of an enemy, for it is said that he sent Amru Ibn Omeya on a secret errand to Mecca, to assassinate Abu Sofian, but the plot was discovered, and the assassin only escaped by rapid flight. The charge, however, is not well substantiated, and is contrary to his general character and conduct."[1]

Sir W. Muir writes: "There is just a shadow of possibility that the tradition may have been fabricated by the anti-Omeyad party to throw odium on the memory of Abu Sofián, as having been deemed by Mahomet worthy of death. But this is not to be put against the evidence of unanimous and apparently independent traditions."[2] But, in fact, there are no unanimous and apparently independent traditions of the command of Mohammad to assassinate Abú Sofian; there is only one and but one, by Ibn Sád, which is wholly unreliable, and that too from the lips of the would-be assassin himself who before the introduction of Islam was a professional cutthroat, whose narration, therefore, deserves not our belief.

Even if it be taken for granted that Mohammad did send some one to assassinate Abú Sofian, who had

[1] Mahomet and his Successors. by Washington Irving, p. 118, London, 1869.
[2] Muir's Life of Mahomet, Vol. IV, p. 20, foot-note.

already sent some one to assassinate Mohammad as related by Ibn Sád, it was justified in self-defence. It was a measure for retaliation, not one of mere revenge, but only a means of protective retribution, which is lawful under the military law.[1]

The alleged Cruelties in executing the Prisoners of War and others.

57. Treatment of the prisoners of war.

Some of the war prisoners had received the condign punishment of execution for their crimes in conformity with the laws of war. It has been alleged by some European biographers of Mohammad that their (the war prisoners') execution was cruel, and that they were accused of no crime except their scepticism and political antagonism.[2]

The persons executed were as follows :—

1. Nadhr-bin-Harith.
2. Okba.
3. Abul Ozza.
4. Moavia-bin-Mughira.

58. The law of nations regarding the prisoners of war.

Before reviewing the case of each prisoner, I must note, by way of introductory remarks, that, under the international or military law, a prisoner of war is a public enemy armed or attached to the hostile army for active aid,

[1] Compare "Contributions to Political Science," by Francis Lieber, LL.D., Vol. II. p. 250.

[2] Muir's Life of Mahomet, Vol. IV. p. 307.

and who has fallen into the hands of the captor, either fighting or wounded, on the fields or in the hospitals, by individual surrender or capitulation. All soldiers, of whatever species of arms; all men who belong to the rising *en masse* of the hostile country; all those who are attached to the army for its efficiency and promote directly the object of the war, except religious persons, officers of medical staff, hospital nurses and servants, all disabled men or officers on the field, or elsewhere, if captured, all enemies who have thrown away their arms and asked for quarters, are prisoners of war, and as such exposed to the inconveniences as well as entitled to the privileges of a prisoner of war. He is subject to no punishment for being a public enemy, nor is any revenge wreaked upon him by the international infliction of any suffering or disgrace, by cruel imprisonment, want of food, by mutilation, death, or any other barbarity. But a prisoner of war remains answerable for his crimes committed against the captor's army or people before he was captured, and for which he has not been punished by his own authorities. All prisoners of war are liable to the infliction of retaliatory measures.

1.—*Nadhr-bin-Harith.*

59. The execution of Nadhr Ibn Harith.

Nadhr (Nazr), one of the prisoners of war, was executed after the battle of Badr for his crime of severely torment-

ing the Moslems at Mecca. Musáb had distinctly reminded him of his torturing the companions of Mohammad,[1] so there was nothing of a cruel and vindictive spirit of the Prophet displayed towards his enemies in the execution of Nazr as it is made out by Sir W. Muir.[2] On the other hand, his execution is denied by some critics, like Ibn Manda and Abú Naeem, who say, that Nazr-bin-Haris was present at the battle of Honain, A. H. 8, six years after that of Badr, and was presented with one hundred camels by Mohammad. Sir W. Muir himself puts down very quietly Nadhir Ibn al Harith's name in a foot-note (Vol. IV, page 151) as a recipient of one hundred camels at Honain. The same Nadhr-bin-Harith is shown among the earliest Moslem refugees who had fled to Abyssinia. These discrepancies leave no doubt that the story of Nadhr's execution is not a fact. It is also related by the narrators, who assert Nazr's execution at Badr, that his daughter or sister came to Mohammad and addressed him several verses, the hearing of which produced such a tender emotion in him, that his eyes shed tears and said, he would not have issued orders for his execution had he heard

[1] Wackidi Campaigns of Mohammad. p. 101. Calcutta. 1855.

[2] "It was at Otheil that the cruel and vindictive spirit of Mahomet towards his enemies first began to display itself."—Muir's Life of Mohamet. Vol. III. p. 115. After this, the author narrates the execution of Nazr. Ibn Is-hak. *Vide* Ibn Hisham. p. [illegible]; Wackidi, p. 108; Abu Daood. Vol. II. p. 10. This story is not given by Ibn Hisham and Ibn Sád.

these verses before. The following are two of the verses which Mohammad heard:

> " *Má kán Zarraka lao mananta va rubba má-mannal fata va ho-al mughizul mohnikoo.*"
> Thou wouldst no harm have seen to set him free,
> Anger how high for pardon has no plea.

But Zobier-bin-Bakár says, he heard some learned men who objected to these verses on the ground that they were all concocted; and I think that the whole story of Nazr's execution is a spurious one.

2.—*Okba-bin-Mueit.*

60. The execution of Okba.

Another prisoner, named Okba, was executed after the battle of Badr for a crime similar to that of Nazr. It is related that while he was going to be executed, he asked who would take care of his little girl. Mohammad replied, "Hell-fire!" This is altogether an apocryphal story, and owes its origin to the relation of Okba to the tribe of Banunnar, or the "children of fire." Wackidi does not give his authorities for the story, and Ibn Is-hak gives only one immediately before him, which is cut short of another intervening link of authorities up to the scene of occurrence. Abu Daood narrates it from Masrook, who gave it on the authority of Abdullah-bin-Mas-ood, who does not say he was present at the scene or he heard it directly or indirectly from Mohammad. Besides the circumstances under which Masrook gave out this story are very suspicious, and show that calumny was at work.

Masrook was proposed by Zohak to be entrusted with the administration of a certain district. Ommara, the son of Okba, objected to this, as Masrook was one of the murderers of Osman, the third Khalif. Masrook in reply said to Ommara, on the authority of Ibn Masood, that "when thy father was being executed, he had asked the Prophet, who will take care of his little girl." The Prophet replied, "Hell-fire." Therefore, I am satisfied for thee with what the Prophet had chosen for thy father.[1]

There is a discrepancy in the mode of Okba's execution as well as about the person who executed him. Ibn Is-hak says, that it was Asim who killed him, and Ibn Hisham, that it was Ali. Ibrahim is of opinion, that Okba was executed at Taimee,[2] and Mohammad-bin-Khobeib Hashimi,[3] that he was crucified, from which others differ and say that he was beheaded. I have no belief in Okba's execution at all.

31. Free liberty granted to Ozza, a prisoner of war.

Abul Ozza, one of the prisoners of Badr, and who was one of the persecutors of the Moslems at Mecca, had besought Mohammad to release him by way of compassion for his five daughters. Mohammad granted him his life and his liberty.[4] This directly points to the universal generosity of the Prophet, and from this it will

[1] ...n Daood as before. [2] Zorkánee, Vol. II. p. 541.
[3] ...at Halabi. Vol. II. p. 371.
[4] ... 105. In-áa-ul Oyoon or Sirat Halabi. Vol. II. p. 464.

appear that the story of Okba's execution runs contrary to his general character and conduct. On these grounds the execution of Okba might be rejected as a fiction.

3.—*Abul Ozza.*

62. Abul Ozza proved a traitor and was executed.

Abul Ozza, one of the prisoners of Badr, was allowed his freedom without any ransom, on the condition that he would never again bear up arms in any war against the Prophet; but he proved a traitor. He exhorted the Arabs to make war on Mohammad, and joined himself the invading army of Mecca. He was doomed to misfortune, he was caught at Hamra, and duly executed.[1] This was in full accordance with the laws and usages of war (*vide ante*, para. 58).

4.—*Moavia Ibn Mughira.*

63. The execution of Moavia Ibn Mughira.

Moavia Ibn Mughira, also a prisoner of war, was granted three days' truce, on the condition that if he were found in Medina after the appointed time, he was to be executed. The period had passed, and he was still lurking at Medina. At length he was found out and killed by Zeid and Ammar on their return from Hamra-al-Assad, after five or six days. It is apparent that Moavia violated his truce, and his lurking

[1] Wackidi, p. 105: Hishami, p. 591; Insán-ul-Oyoon or Sírat Halabí, Vol. II, p. 464.

in Medina might be either as a spy [1] or scout secretly seeking information.

64. Justification of Mughira's execution.

Sir W. Muir, who calls him Othmân Ibn Mughira, makes out a favourable case in his behalf. He writes: He "incautiously lingered at Medina till the last day of his term of grace, when he set out for Mecca."[2] But Ibn Hisham distinctly writes that he "stayed at Medina after the three days had passed and was found lurking there." Even according to Wackidi he was caught on the fourth day. But this is far from truth, for, according to his own account, Mohammad was absent after the battle of Ohad for five days at Hamra-al-Assad; then how he (Ibn Mughira) could have endeavoured to avoid the returning Moslem force from Hamra-al-Assad, and lose his way, as Sir W. Muir gives it out, only on the fourth day?

One of the enemies, who had invaded Medina and attacked Mohammad, was, after being captured, allowed three days' truce on explicit conditions that he was to be killed there if found after three days, and was also provided with a camel and provisions for the way, was discovered lurking thereabout on the fifth or sixth day, in consequence of which he lost his life. This is called by Sir W. Muir as being "perished by a

[1] Ibn Hisham, p. 591: Wackidi, pp. 324 and 325.
[2] The Life of Mahomet, by Sir W. Muir, Vol. III, p. 185.

too great confidence in the generosity of his enemy,"[1] —*i.e.*, Mohammad.

The intended Execution of the Prisoners of Badr.

65. The wrong version of Sir W. Muir.

Sir W. Muir writes: "It would even seem to have been contemplated at the close of the battle to kill all the prisoners. Mahomet is represented by tradition as himself directing this course." In a foot-note he says, "Thus Mahomet said: 'Tell not Said of his brother's death'" (Mábad, a prisoner, see above, page 110 note); "but kill ye every man his prisoner."—(Wâckidi, 100.) Again: "Take not any man his brother prisoner, but rather kill him" (page 101). "I would not, however, lay too much stress on these traditions. I am inclined rather to view them as called into existence by the passages quoted below from the Coran."[2] The contemplated execution of the prisoners is not borne out by the traditions which Sir W. Muir himself looks upon as fabricated ones. The true translation of the passages in Wackidi referred to above is as follows:—

First passage.—"Tell not Said of his brother's killing (*i.e.*, being killed). so he will kill every prisoner in your hands."—(Wackidi, page 100.) This obviously means, that do not let Saeed know that his brother Wáhid, who was made prisoner and killed by Omar or Abu Barda, was killed. If you do so, he will,

[1] Muir's Life of Mahomet. Vol. III. p. 185.
[2] *Ibid.* p. 117.

being enraged, kill every prisoner now in your hands. It is very strange that Sir W. Muir translates the sentence to mean "kill ye every man his prisoner!"

Second passage.—"No body must take his brother's prisoner, so that he may be killed," meaning none of you should seize other person's prisoner. If you do so, perhaps, the other person may kill the prisoner in the contest. Sir W. Muir has quite misunderstood the sentence.

66. Mohammad never blamed in the Koran for relieving prisoners.

There are some fictitious traditions on the subject that Mohammad was reprimanded in the Koran (Sura, viii, 68, 69) for releasing the prisoners of Badr, meaning that he ought to have executed them. The verse is translated thus :—

"It is not for a Prophet to take prisoners until (*hatta*) he hath slaughtered in the land. Ye wish to have the goods of this world, but God wishes for the next, for God is Mighty, Wise! Were it not for a book from God that had gone before, there would have touched you, for which ye took, a mighty punishment."

The verse 68, if it is rightly translated, will mean that prisoners should not be executed. The word '*hatta*' means '*until*,' and is also used as a causative word. I prefer the latter, and translate—

"It is not for any Prophet that prisoners may be brought to him *in order* that he may make slaughter

in the land," which means, that it is not proper for a Prophet to take prisoners of war in order to slaughter them. This meaning is in consonance with the other passage in the Koran (xlvii, 4), which restricts the treatment of the prisoners of war to either free dismissal or ransom.

In the first place, the verse rather reprimanded those who wished to kill the prisoners; and in the second, those who desired to exact ransom for their liberty. They ought to have set them at liberty without any pecuniary advantage, if they knew any good in their deserving free liberty.

Kind Treatment of the Prisoners of War by Mohammad.

67. The Koran enjoins. the prisoners of war to be either freely liberated or ransomed, but neither executed nor enslaved.

The prisoners of war were always treated kindly by Mohammad, and the ancient practice of killing and enslaving them was much discouraged and abolished by the Koran.

"And when ye meet those who misbelieve, then strike off heads until ye have massacred them, and bind fast the bonds!"

"Then either a free grant (of liberty) or a ransom until the war shall have laid down its burdens."—Sura, xlvii, 4 and 5.

Regarding the prisoners of Badr Sir W. Muir writes: "In pursuance of Mahomet's commands, the citizens of Medina, and such of the refugees as pos-

sessed houses, received the prisoners and treated them with much consideration." "Blessing be on the men of Medina!" said these prisoners in latter days. "They made us ride, while they themselves walked; they gave us wheatened bread to eat, when there was little of it, contenting themselves with dates." It is not surprising that when, some time after, their friends came to ransom them, several of the prisoners who had been thus received declared themselves adherents of Islam: and to such the Prophet granted a liberty without the usual payment.[1]

The prisoners of the Bani Mustalik were released without paying any ransom.[2]

The Bani Hawazin were made prisoners of war at Honain, fought in the eighth year of the Hegira, but were all set free without any exaction of ransom from them. Mohammad first released his prisoners, and the men of Mecca and Medina cheerfully followed his example.[3] The prisoners were six thousand in number.[4]

A party of eighty, as related by Moslim in his *Saheeh*, or of forty or fifty Koreish, as narrated by Ibn Hisham (p. 745), went round about Mohammad's camp while stationed at Hodeibia in A. H. 6, seeking to cut off any stray followers, and having attacked the camp itself with stones and arrows, they were

---

[1] Muir's Life of Mahomet, Vol. II. pp. 122 and 123.
[2] *Ibid*, Vol. III. p. 243.
[3] *Ibid*, Vol. IV. pp. 148 and 149.
[4] Ibn Hisham, p. 877.

caught and taken prisoners to Mohammad, who, with his usual generosity, pardoned and released them.

Khalid-Ibn-Waleed, in the year of his victory, A. H. 11, when he was sent to call the Bani Jazima to embrace Islam, had made them prisoners and ordered their execution. Some of the better-informed of the Moslems of the injunctions of the Koran, of releasing prisoners either freely or by exacting ransom, interposed and accused him of committing an act of the Time of Ignorance. Mohammad, much displeased, grieved at the intelligence, and said twice, 'O God! I am innocent of what Khalid hath done."[1]

The Execution of the Bani Koreiza.

68. High treason of the Bani Koreiza against Medina, and their execution.

The Bani Koreiza, a Jewish tribe living in the vicinity of Mecca, had entered into an alliance with the Moslem Commonwealth to defend the city of Medina from the attack of the aggressors. While Medina was besieged by the ten thousand Koreish and other Bedouin tribes in A. H. 6, they (the Koreiza), instead of co-operating with the Moslems, defected from their allegiance and entered into negotiations with the besieging foe. After the cessation of the siege, they were besieged in their turn, and a fearful example was made of them, not by Mohammad, but by an arbiter chosen and appointed by

[1] Ibn Hisham, pp. 833 and 835.

themselves. The execution of some of them was not on account of their being prisoners of war; they were war-traitors and rebels, and deserved death according to the international law. Their crime was high treason against Medina while it was blockaded. There had no actual fighting taken place between the Bani Koreiza and the Moslems, after the former had thrown off their allegiance to the latter and had aided and abetted the enemies of the realm. They were besieged by the Moslems to punish them for their high treason, and consequently they were not prisoners of war. Even such prisoners of war suffer for high treason.

"Treating, in the field, the rebellious enemy according to the law and usages of war, has never prevented the legitimate Government from trying the leaders of the rebellion, or chief rebels for high treason, and from treating them accordingly, unless they are included in a general amnesty." [1]

69. The whole of the Bani Koreiza was never executed.

The whole tribe of the Bani Koreiza was not executed. nor all the male prisoners were put to the sword.[2] The number slain was comparatively very small. That they were not executed at the commands of Mohammad, nor *all* of them were killed. nor a divine sanc-

---

[1] Miscellaneous Writings of Francis Lieber, Vol. II. Contributions to Political Science. p. 273. Philadelphia. 1881.

[2] Some of the Koreizites were released. among whom we hear of Zobeir Ibn Batá and Rifáa. They were pardoned by Mohammad.

tion was alleged for it, is shown by the following verse of the Koran :

"And he caused those of the people of the Book (the Jews) who had aided the confederates to come down of their fortresses, and cast dismay into their hearts : some ye slew ; others ye took prisoners."—Sura, xxxiii, 26.

The slaying and taking of prisoners is attributed to them to whom the verse is addressed as their own act.

The rest of the Bani Koreiza,—male adults, women, and children,—were either liberated or got themselves ransomed.

70. The women and children of the Bani Koreiza were not sold.

We read in Oyoon-al-Asar by Ibn Sayyad-al-Nas some account of the ransom. Osman-bin-Affan gathered much money by the transaction. But Sir W. Muir quotes from Hishamee, that the rest of the women and children were sent to be sold among the Bedouin tribes of Najd, in exchange of horse and arms.[1] But there is no authority for this story. Abul Mo'tamar Soleiman, in his Campaigns of Mohammad, gives another account which is more probable. He writes:—

"Out of what was captured from Bani Koreiza Mohammad took seventeen horses and distributed them among his people. The rest he divided into two halves. One-half he sent with Sád bin Obádd to Syria, and the other half with Ans bin Quízí to the land of Ghatafán, and ordered that they may be

[1] Muir's Life of Mahomet, Vol. III. p. 279.

used there as stallions. They did so, and got good horses."[1]

71. The exaggerated number of the persons executed.

The number of male adults executed has been much exaggerated, though it is immaterial, when an execution duly authorized by the international law of a country takes place, to consider the smallness or greatness of the number. I cannot do better than quote Moulvie Ameer Ali of Calcutta on the subject, who has very judiciously criticised the same: "Passing now to the men executed," he says, "one can at once see how it has been exaggerated. Some say they were 400; others have carried the number even up to 900. But Christian historians generally give it as varying from 700 to 800. I look upon this as a gross exaggeration. Even 400 would seem an exaggerated number. The traditions agree in making the warlike materials of the Bani Koreiza consist of 300 cuirasses, 500 bucklers, 1,500 sabres, &c. In order to magnify the value of the spoil, the traditions probably exaggerated these numbers.[2] But taking them as they stand, and remembering that such arms are always kept greatly in excess of the number of fighting men, I am led to the conclusion that the warriors could not have been more than 200 or 300. The mistake probably arose from confounding the

[1] *History of Mohammad's Campaigns*: Edited by Von Kremer, p. 374.

[2] "Compare the remarks of Ibn-Khaldûn (Prolégomènes d'Ibn Khaldoun, traduits par M. de Slane, Part I. p. 14)."

whole body of prisoners who fell into the hands of the Moslems with those executed." [1]

Even 200 seems to be a large number, as all of the prisoners were put up for the night in the house of Bint-al-Haris,[2] which would have been insufficient for such a large number.

Some Miscellaneous Objections Refuted.

1.—*Omm Kirfa.*

72. The execution of Omm Kirfa for brigandage.

The barbarous execution of Omm Kirfa, a female, who was notorious as the mistress of a nest of robbers, by tying her each leg to a separate camel and being torn asunder, is not a fact. It is only mentioned by Katib Wáckidi, and is not to be found in any other earliest account of Wáckidi, Ibn Is-hak, and Ibn Hisham. Even Katib Wáckidi does not say that the execution was ordered by Mohammad, and it is not fair on the part of Sir W. Muir to hold Mohammad an accomplice in the ferocious act, because he reads of no disapprobation expressed by the Prophet at such an inhuman treatment.[3] But in the first place the narration is a mere fiction; and secondly, the tradi-

[1] A Critical Examination of the Life and Teachings of Mohammed, by Syed Ameer Ali, Moulvi, M.A., LL.B., of the Inner Temple, Barrister-at-Law, p. 113: William and Norgate, London, 1873.

[2] Ibn Hisham, p. 689. Others say the males were kept in the house of Osman-bin-Zaed, and the females and children in the house of Bint-al-Haris. *Vide* Insan-al-Oyoon, by Halabi, Vol. III, p. 93.

[3] Muir's Life of Mahomet, Vol. IV, p. 13.

tions are, as a rule, always incomplete; in one place they are given shorter, and in another longer, according to the circumstances of the occasion on which they are originally recited. Ibn Hisham relates, that "Zaid-bin-Harisa ordered Kays-bin-Mosahhar to execute Omm Kirfa, so he executed her with a violent execution." ('*Katlan Aneefan*,' p. 980.) He does not relate that Mohammad was even informed of the execution after the party had returned from this terrible mission. I think the word '*aneef*' (*violent* or *severe*), as used originally by the narrator, might have been the cause of the growth of the story of executing by tying up to two camels, by way of a gratuitous explanation or glossary, as another tradition relates that she was tied to the tails of two horses (*vide Koostalanee* in his Commentary on Bokharee, Vol. III, p. 307).

2.—*Urnee Robbers.*

73. The alleged mutilation of the Urnee robbers.

Some *Urnee* robbers, lately converted, had plundered the camels of Medina and barbarously handled their herdsman, for they cut off his hands and legs, and struck thorny spikes into his tongue and eyes, till he died. The bandits were pursued, captured, and executed by Kurz-bin-Jabir. "They had merited death," says Sir W. Muir, "but the mode in which he inflicted it was barbarous and inhuman. The arms and legs of

eight men were cut off, and their eyes were put out. The shapeless, sightless trunks of these wretched Bedouins were then impaled upon the plain of Al Ghâba, until life was extinct."[1] As the robbers had mutilated the herdsman, this gave currency to their having been mutilated in retaliation. But in fact Mohammad never ordered mutilation in any case. He was so averse to this practice, that several traditions from various sources emanating from him to the effect, prove that he prohibited mutilation lest he himself be mutilated by divine judgment.[2]

Sir W. Muir continues: — "On reflection, Mahomet appears to have felt that this punishment exceeded the bounds of humanity. He accordingly promulgated a Revelation, in which capital punishment is limited to simple death or crucifixion. Amputation of the hands and feet is, however, sanctioned as a penal measure; and amputation of

74. Amputation or banishment substituted temporarily in place of imprisonment for want of a well-organized system of jails.

[1] Muir's Life of Mahomet. Vol. IV. p. 19.

In the collections of Bokharee the story is traced to Ans. But Ans could not be a witness to Mohammad's command for mutilation, as Ans did not come until the expedition to Khyber; and the execution of those robbers took place before that. The story from Jábir in Iba Mardaveih's collections to the same effect is not authentic, as Jábir, who says he was sent by Mohammad in pursuit of the robbers, and committed the act, was not a convert at that time. Koostalauce, the author of *Movahib*, has declared the tradition of Ibn Jarir Tabari on the subject as an apocryphal, *i.e.*, "Zaeef." *Vide* Zoorkanee on Movahib. Vol. II, p. 211.

[2] Ibn Hisham (p. 463) relates from Ibn Is-hak that Omar asked permission to mutilate Sohail, but Mohammad replied, "I would not mutilate him; if I do, God will mutilate me, though I be a Prophet."

the hands is even enjoined as the proper penalty for theft, whether the criminal be male or female. This barbarous custom has accordingly been perpetuated throughout the Mahometan world. But the putting out of the eyes is not recognized among the legal punishments." [1]

These alternative punishments were prescribed for the heinous crimes of highway robbery, dacoity, and theft by house-breaking. They were (i) capital punishment, (ii) amputation, and (iii) banishment (Sura, v, 37, 42), according to the circumstances of the case. The last two were of a temporary nature substituted for imprisonment for want of an organized system of jails and prisons. When the Commonwealth was in its infancy, the troubles of the invasions and wars of the aggressive Koreish and their allies had left neither peace nor security at Medina to take such administrative measures as to organize a system of building, guarding, and maintaining jails, their inmates and their establishments. As soon as jails were established in the Mohammadan Commonwealth, amputation and banishment gave way to imprisonment. The prisoners of war, not being criminals, used to be made over by Mohammad to some citizens of Medina, as in the case of the prisoners of the battle of Badr, to keep them in their houses as guests, on account of the want of prisons: but as for

[1] Muir's Life of Mahomet. Vol. IV, p. 19.

the other criminals—the highway robbers, dacoits, and house-breakers—they could not be treated and entertained so hospitably. Thus there was left no alternative for them except either to banish such criminals, or to award them corporal punishment in the shape of amputation.[1]

3.—*Torture of Kinana.*

75. Torture of Kinana.

It is related by the biographers "that Kinana, chief of the Jews of Khyber, and his cousin had kept back, in contravention of their compact, a portion of their riches. On the discovery of this attempt at imposition, Kinana was subjected to cruel torture—'fire being placed upon his breast till his breath had almost departed'—in the hope that he would confess where the rest of his treasures were concealed. Mahomet then gave command, and the heads of the chief and his cousin were severed from their bodies."[2]

The story of Kinana's being subjected to extortion and put to death for hiding some treasure, for which he had contravened his contract, is altogether a spurious one. Kinana was executed in retaliation for treacherously killing Mahmud, the brother of Mohammad-bin-Moslama, to whom he was made over

[1] This subject has been fully and judiciously discussed by the Honourable Syed Ahmed Khan Bahadur, C. S. I., in his "Commentary of the Koran;" Sura. iv. pp. 198—204.

[2] Muir's Life of Mahomet, Vol. IV. p. 68.

for execution. There is one tradition, without any authority, to the effect, that Zobeir was producing fire on Kinana's breast by the friction of flint and steel. This, if it be a fact, does not show that it was done by Mohammad's direction and approval. On the contrary, there are several traditions from the Prophet himself in which he has forbidden to punish any one with fire. It is related by Bokharee from Ibn Abbás, that Mohammad said, "God only can punish with fire." It is also related by Abu Daood from Abdullah, that the Prophet said, "No body ought to punish any one with fire except the Lord of the fire."[1]

4.—*A Singing-Girl executed.*

76. The alleged execution of a singing-girl.

"From general amnesty extended to the citizens of Mecca, Mahomet excluded ten or twelve persons. Of these, however, only four were actually put to death . . . . The two next were renegade Moslems, who having shed blood at Medina had fled to Mecca, and abjured Islam. They were both slain, and also a singing-girl belonging to one of them, who had been in the habit of annoying the Prophet by abusive verses."

"Their names are Abdallah ibn Khalal and Mikyas ibn Subâba. The murder committed by the former is said to have been wilful, that of the latter uninten-

[1] *Vide* Mishkát Book of Retaliation, pp. 213—214.

tional. Abdallah had two singing-girls. Both were sentenced to death, but one escaped and afterwards obtained quarter; the execution of the other appears to have been the worst act committed by Mahomet on the present occasion."[1]

Abdullah had committed cold-blooded murder, and most probably the singing-girl belonging to him had taken a share in his crime. Her execution was owing to her being an accomplice or abettor in the foul act which was justified by law. Then why should the execution be considered a worst act? Mohammad felt the deepest respect for the weaker sex, and had enjoined during the warfares "not to kill women;" but the law makes no difference amongst the sexes, both sexes being liable to punishment according to their deserts.

77. The charitable spirit of Mohammad towards his enemies.

The magnanimity, clemency, forbearance, and forgiveness of Mohammad at the time of his victory at Mecca were very remarkable. Mr. Stanley Lane Poole with his usual acumen writes:—"But the final keystone was set in the eighth year of the flight (A. D. 630), when a body of the Kureysh broke the truce by attacking an ally of the Muslims; and Mohammad forthwith marched upon Mekka with ten thousand men, and the city, defence being hopeless, surrendered. Now was the time for the Prophet

[1] Muir's Life of Mahomet, Vol. IV, p. 131, foot-note.

to show his bloodthirsty nature. His old persecutors are at his feet. Will he not trample on them, torture them, revenge himself after his own cruel manner? Now the man will come forward in his true colours: we may prepare our horror, and cry shame beforehand.

"But what is this? Is there no blood in the streets? Where are the bodies of the thousands that have been butchered? Facts are hard things; and it is a fact that the day of Mohammad's greatest triumph over his enemies was also the day of his grandest victory over himself. He freely forgave the Kureysh all the years of sorrow and cruel scorn they had inflicted on him: he gave an amnesty to the whole population of Mekka. Four criminals, whom justice condemned, made up Mohammad's proscription list when he entered as a conqueror the city of his bitterest enemies. The army followed the example, and entered quietly and peaceably: no house was robbed, no woman insulted."[1]

5.—*Abu Basir.*

78. Abu Basir not countenanced by the Prophet in contravention of the spirit of the treaty of Hodeibia.

Sir W. Muir says that "Abu Basir, the free-booter, was countenanced by the Prophet in a manner scarcely consistent with the letter, and certainly opposed to the spirit, of the truce

[1] Introduction to Lane's Selections from the Kur-án, by Stanley Lane Poole, p. lxvii. London: Trübner and Co. [illegible]

of Hodeibia."[1] It was one of the articles of the treaty of Hodeibia between the Koreish and Mohammad, that if any one goeth over to Mohammad without the permission of his guardian, he shall be sent back to him.[2] A short time after, Abu Basír, a Moslem imprisoned at Mecca, effected his escape and appeared at Medina. His guardians, Azhar and Akhnas, sent two servants to Mohammad with a letter and instructions to bring the deserter back to his house. The obligation of surrender was at once admitted by Mohammad, though Abu Basír pleaded the persecution which he used to suffer at Mecca as the cause of refusing to return, but Mohammad argued that it was not proper for him to break the terms of the peace, and Abu Basír was compelled to set out for Mecca. But he had travelled only a few miles when he treacherously seized the sword of one of his escorts and slew him. The other servant fled back to Medina, whither Abu Basír also followed him. On the return of the latter, he contended that the Prophet had already fulfilled the treaty to its very letter in delivering him up, but the Prophet replied, "Alas for his mother! What a kindler of war, if he had with him any one!" When he heard this "he knew that the Prophet was

[1] The Life of Mahomet. Vol. IV. p. 308.
[2] *Ibid.* p. 35.

again going to send him back to his guardians,[1] the Koreish, so he went away to the seashore, where he, with others who had joined him after their flight from captivity at Mecca, used to waylay the caravans from Mecca." This story, which is also briefly narrated by Ibn Is-hak, and more fully by Shamee, Zoorkanee and Ibn-al-Kyyim, does not show that Mohammad acted against the spirit and letter of the truce of Hodeibia.

He himself never countenanced Abu Basir; on the contrary, he delivered him up in conformity with the terms of the treaty of Hodeibia, and when he had returned, Abu Basir had every reason to believe that Mohammad would again despatch him to the quarters whence he had come. But it appears Abu Basir went away to the seashore, out of Mohammad's jurisdiction, and it was not the duty of the Prophet to effect his arrest and send him back to Mecca whilst he was not with him, or rather out of his jurisdiction. Had he even kept him with himself at Medina after he had once made him over to the party sent forth to take charge of him, and were no other demands made for his delivery, I do not think

[1] *Vide* Zoorkanee on *Movahib*, Vol. II, page 241; also *Zad-ul-Maad*, by Ibn-al-Kyyim. Vol. I, page 376. Cawnpore. 1298 A. H.; and *Seerat-ul-Mohammadiya*, by Mohammad Karámat-ul-Ali of Delhi. in loco The Life is compiled fom *Seerat Hulabi* and *Seerat Shamee* and was lithographed in Bombay.

Mohammad could be fairly blamed for it according to the international law of the Arabs, or even according to the terms of the treaty of Hodeibia itself.

6.—*Employment of Nueim to break up the confederates who had besieged Medina.*

79. Nueim not employed by the Prophet to circulate false reports in the enemy's camp.

When Medina was besieged for several days by the Koreish and their confederates, the army of Medina was harassed and wearied with increasing watch and duty. Nueim, an Arab of a neutral tribe, represented himself as a secret believer, and offered his services to the Prophet, who accepted them, and employed him to hold back the confederates from the siege, if he could, saying "war verily was a game of deception." Nueim excited mutual distrust between the Jews and the Koreish. He told the Jews not to fight against Mohammad until they got hostages from the Koreish as a guarantee against their being deserted. And to the Koreish he said that the Jews intended to ask hostages from them. "Do not give them," he said, "they have promised Mahomet to give up the hostages to be slain."[1]

This is one tradition. and there is another to the effect that the Jews had themselves asked for the hostages, but the Koreish had not replied yet, when Nueim came to the Jews and said, he was there with

[1] Hishám, page [illegible]. Muir's Life of Mahomet, Vol. III, page [illegible].

Abu Sofian when their messenger had come for the demand of hostages, and that Abu Sofian is not going to send them any.[1]

A third tradition in Motamid Ibn Solyman's supplement to Wackidi's *Campaigns of Mohammad* gives no such story at all. It has altogether a different narration to the effect, that there was a spy of the Koreish in the Moslem camp who had overheard Abdullah-bin-Rawaha saying, that the Jews had asked the Koreish to send them seventy persons, who, on their arrival, would be killed by them. Nueim went to the Koreish, who were waiting for his message, and told what he had heard as already related.[2] This contradicts the story given by Ibn Hisham and Mr. Muir. But anyhow the story does not prove that Mohammad had given permission to Nueim to speak falsehood or spread treacherous reports.

80. Deception in war allowed by the international law.

Sir W. Muir is not justified in his remarks when he writes,—"We cannot, indeed, approve the employment of Nueim to break up the confederacy by falsehood and deception, but this perhaps would hardly affect his character in Arab estimation:"[3] and further on he writes,—"When Medina was beleagured by the confederate

[1] *Seerat Halabi*, or *Insan-al-Oyoon*. Vol. II. page 79.

[2] History of *Mohammad's Campaigns*, by Wackidi, pp. 368-369: Edited by Von Kremer. Calcutta, 1856.

[3] The Life of Mahomet. Vol. III. page 282.

army, Mahomet sought the services of Nueim, a traitor, and employed him to sow distrust among the enemy by false and treacherous reports: for," said he, "what else is war but a game at deception."[1] The utmost that can be made out from the former tradition quoted by Mr. Muir, and contradicted by another tradition of equal force, is that Mohammad allowed deception in war by quoting the proverbial saying, that "war is a game at deception." In this he had the sanction of the military law or the international law, as deception in war is a "military necessity," and allowed by the law and usages of war. A modern author on the international law says:—

"Military necessity admits of all direct destruction of life or limb of *armed* enemies, and of other persons whose destruction is incidentally *unavoidable* in the armed contests of the war; it allows of the capturing of every armed enemy, and every enemy of importance to the hostile government, or of peculiar danger to the captor; it allows of all destruction of property, and obstruction of the ways and channels of traffic, travel, or communication, and of all withholding of sustenance or means of life from the enemy; of the appropriation of whatever an enemy's country affords necessary for the subsistence and safety of the army, and of such

[1] The Life of Mahomet, Vol. IV, pages [illegible].

deception as does not involve the breaking of good faith either positively pledged, regarding agreements entered into during the war, or supposed by the modern law of war to exist."[1]

81. Lecky's Standard of Morality.

But supposing the modern morality does not approve of Mohammad what hardly "affected his character in Arab estimation," are there no diversities in moral judgments? The moral unity to be expected in different ages is not a unity of standard or of facts, but a unity of tendency.

"That some savage kill their old parents, that infanticide has been practised without compunction by even civilized nations, that the best Romans saw nothing wrong in the gladiatorial shows, that political or revengeful assassinations have been for centuries admitted, that slavery has been sometimes honoured and sometimes condemned, are unquestionable proofs, that the same act may be regarded in one age as innocent, and in another as criminal. Now it is undoubtedly true, that in many cases an historical examination will reveal special circumstances explaining or palliating the apparent anomaly. It has been often shown that the gladiatorial shows were originally a form of human sacrifice adopted through religious motives: that the rude nomadic life of savages rendering impossible the preservation

[1] Lieber's Miscellaneous Writings, Vol. II, page 250.

of aged and helpless members of the tribe, the murder of parents was regarded as an act of mercy both by the murderer and the victim; that before an effective administration of justice was organized, private vengeance was the sole preservation against crime, and political assassination against usurpation; that the insensibility of some savages to the criminality of theft arises from the fact that they were accustomed to have all things in common; that the Spartan law legalizing theft arose partly from a desire to foster military dexterity among the people, but chiefly from a desire to discourage wealth; that slavery was introduced through motives of mercy to prevent conquerors from killing their prisoners. All this is true, but there is another and a more general answer. It is not to be expected, and it is not maintained, that men in all ages should have agreed about the application of their moral principles. All that is contended for is, that these principles are themselves the same. Some of what appear to us monstrous acts of cruelty were dictated by that very feeling of humanity, the universal perception of the merit of which they are cited to disprove; and even when this is not the case, all that can be inferred is, that the standard of humanity was very low. But still humanity was recognized as a virtue, and cruelty as a vice."[1]

[1] History of European Morals, from Augustus to Charlemagne. By William Edward Hartpole Lecky, M.A., Vol. I. pp. 101-102.

The alleged permission to kill the Jews.

82. Murder of Ibn Sanina.

It is related by some of the biographers of Mohammad, eagerly recited by others of Europe, that, "on the morning after the murder of Káb, Mahomet gave a general permission to his followers to slay any Jews whom they might chance to meet,"[1] and that the murder of Ibn Sanina, a Jewish merchant, by Muheiasa, a Moslem, was the direct consequence of this order. "When Huweisa upbraided Muheiasa for killing his confederate the Jew, and appropriating his wealth,—"By the Lord!" replied Muheiasa, "if he that commanded me to kill him commanded to kill thee also, I would have done it." "What!" Huweisa cried, "wouldst thou have slain thine own brother at Mahomet's bidding?"—"Even so," answered the fanatic. "Strange indeed!" Huweisa responded. "Hath the new religion reached to this pitch! Verily it is a wonderful Faith." And Huweisa was converted from that very hour."[2]

Ibn Is-hak says this story was related to him by a freedman of the Bani Hárisa tribe from the daughter of Muheiasa, who had heard it from her father.[3] (1) Now there is nothing known of this mysterious person, the freedman of the tribe of Háris, therefore no reliance can be put on his story. (2) We have

[1] Muir's Life of Mahomet, Vol. III. page 148. [2] *Ibid.* p. 149.
[3] Ibn Hisham. p. 554.

no knowledge of the daughter of the murderer Muheiasa, or Moheisa, as he is called by the biographer, Ibn Hisham. (3) Muheiasa himself has not that respectable character which can lend even a shadow of veracity to his narration. (4) And lastly, the story that Mohammad had given general permission to his followers to slay any Jew whom they might chance to meet, and consequently Muheiasa killed Ibn Sanina, and Huweisa became a convert to Islam, is contradicted by another counter-tradition in Ibn Hisham (pp. 554-555), who has related from Abú Obeida, who relates from Abú Omar-al-Madaní, that, "during the execution of the Bani Koreiza (*vide* para. 68), one Káb-bin-Yahooza was made over to Muheiasa for execution. When the latter executed his victim, Huweisa, his brother, who was still unbelieving, upbraided Muheiasa. "If he," responded Muheiasa, "that commanded me to kill him had commanded me to kill thee also, I would have killed thee." Huweisa was quite surprised at his brother's reply, and went away astonished. During the night he used to wake up repeatedly, and wonder at his brother's staunch devotion to his faith. In the morning, he said, "By the Lord! This is a wonderful faith," and came to the Prophet to embrace Islam. These remarks show that the alleged permission to kill the Jews, and Ibn Sanina's murder, and Huweisa's conversion in consequence thereof, is all a mere concoction.

Even Sir W. Muir, though very fond of collecting all such apocryphal traditions reflecting on the character of the Prophet, doubts the veracity of this one, and declares its improbability and inexpediency. He writes :—

83. Sir W. Muir quoted.

"But the order itself is a strange one, and must, one would suppose, have been accompanied by some conditions or reservations not here apparent. It was surely not expedient for the Prophet's cause at this time that the streets of Medina should have flowed with blood by the strict execution of this command. Yet such is the distinct tenor of the best traditions.

"The order was not an unlikely one to have issued at a time when Mahomet was irritated against the Jews by their treachery; and Hishâmi has a tradition that it was promulgated when Mahomet directed the massacre of all the males of the Coreitza, which would have been the more likely version, if the other tradition had not been so strong and positive."[1]

But the tradition quoted by him is by no means the best or strongest as I have shown above. Hishamee does not say that the order was promulgated at the execution of the Bani Koreiza. He simply narrates the story of Muheiasa and Huweisa to have taken place at that time.

The expulsion of the Bani Nazeer.

The expulsion of the Bani Nazeer has been censured by Sir W. Muir, who says: "The pretext on which the Bani Nadhir

84. The Bani Nazeer.

[1] The Life of Mahomet, Vol. III, pp. 148 & 149. *foot-note.*

were besieged and expatriated (namely, that Gabriel had revealed their design against the Prophet's life), was feeble and unworthy of an honest cause."[1]

A whole Sura in the Koran is devoted to the Bani Nazeer, but it does not hint at the alleged crime of their attempt on the life of the Prophet or their expulsion for the same cause. The traditions on the subject are unsupported, *ex parte*, and legendary. Had such a tradition been current at the time of Mohammad, or what is called Sadr Av-val (the first or Apostolic Age), we should certainly have had scores of narrators on the subject.[2] Their crime was treachery,[3] and they were a dangerous element to Medina, for a combination, at any period, between the treacherous Jews and the aggressive Koreish, or other enemies of Islam, would have proved fatal to the safety of Medina. But their banishment was too mild a punishment.

85. Fruit-trees not cut down.

It is said that Mohammad cut down the surrounding date trees and burned the choicest of them during the

---

[1] The Life of Mahomet. by Sir W. Muir, Vol. IV. page 308.

[2] The tradition that Mohammad had gone to Bani Nazeer asking their aid in defraying a certain price of blood, and they attempted upon his life (Muir, III, 208-209) as related by Ibn Is-hak (in Ibn Hisham. page 652) is a *Mursal* (*vide* Zoorkánee. Part II, page 95). and consequently was not current in the Apostolic Age.

[3] Ibn Ockba. an earliest biographer of Mohammad. died 140. says,—the cause of the expedition against the Bani Nazeer was this: that they had instigated the Koreish to fight against Mohammad. and had reconnoitred the weak points of Medina. Ibn Mardaveih, Abd-bin-Hameed, and Abdu

siege of the Bani Nazeer, and justified himself by publishing the verses of the LIX Sura of the Koran.[1] But the date trees cut down were neither bearing fruit, nor did they supply any staple article of food to the Bani Nazeer, or the public in general. The *Leena* mentioned in the verse referred to above is a tree without fruit. Thus no fruit trees were destroyed. (Zoorkánee, Vol. II, page 98.) Trees not bearing fruits were only cut, which is also justified under the Law of Moses. (See Deuteronomy XX, 20.)

Females and the Treaty of Hodeibia.

Females were not included in the truce of Hodeibia.

86. Females and the treaty of Hodeibia.

The stipulation for the surrender of deserters referred only to the male sex. All women who were to come over to Medina from Mecca during the period of the peace were, by the dictates of Sura LX, 10, to be tried, and if their profession was found sincere, they were to be retained. They were prohibited from marrying the unbelievers. The guardians of such believing females were to receive from the Moslem commonwealth what they had spent upon their charges. Sir W. Muir understands from Sura LX, verse 10, that the women referred to therein were the

---

Razzak have related traditions to the effect that, after the event of Badr, the Koreish had written to the Jews of Medina to make war upon Mohammad, and the Bani Nazeer had resolved to break the compact. *Vide* Zoorkánee, Part II, pp. 96-97.

[1] Compare Muir's Life of Mahomet, Vol. III, pp. 213 and 302, *foot-note*.

wives of the Meccans, and says :—"The unbelief of their husbands dissolved the previous marriage; they now might legally contract fresh nuptials with believers, provided only that restitution were made of any sums expended by their former husbands as dower upon them."[1] But there is nothing either to show that the women had their husbands at Mecca, or to prove, that, on account of their husbands' unbelief, their marriages were annulled. As marriage with women with husbands is forbidden in Sura IV, verse 28, and the verse LX, 10, under discussion, does not designate them as married women, I fairly conclude that this verse treats only of such as were not married. It is not the Law of the Koran that the unbelief of either party dissolves their previous marriage. It only enjoins neither to marry idolatresses, nor to wed Moslem daughters with idolaters until they believe.—(Sura II, 220.)

87. Stanley defended.

Sir William Muir, after quoting Sura LX, 10-12, says, "Stanley on Corinthians (1 Cor. VII, 1—40) quotes the above passage, and says that the rule it contains "resembles that of the Apostle," Vol. I, page 145. But there is really no analogy between them ; the Gospel rule differs *toto cœlo* from that of Mahomet :— "If any brother hath a wife that believeth not, and she be pleased to dwell with him, let him not put her away.

[1] Muir's Life of Mahomet, Vol. IV, p. 44.

—And similarly the case of a believing wife with an unbelieving husband. (1 Cor. VII, 12—16.) Whereas Mahomet declares the marriage bond *de facto* annulled by the unbelief of either party, which indeed was only to be expected from his loose ideas regarding the marriage contract."[1] I think Stanley is quite correct, and the Gospel and the Koranic rule resemble each other in this respect. Because the order, "they (the believing women) are not lawful for them (unbelievers), nor are the unbelievers lawful for these (believing women)," does not relate to the women already married; and the words, "do not retain any right in the infidel woman ... if any of your wives escape from you to the infidels ..." are to the same purport as 1 Cor. VII, 15, "But if the unbelieving depart let them depart. A brother or a sister is not under bondage in such cases."[2]

---

[1] Muir's Life of Mahomet. Vol. IV, p. 46, foot-note.

[2] The verses of the Koran are given below:

10. "O Believers! when believing women come over to you as refugees, then make trial of them. God best knoweth their faith; but if ye have also ascertained their faith, let them not go back to the infidels; they are not lawful for them, nor are the unbelievers lawful for these women. But give them back what they have spent. No crime shall it be in you to marry them, provided you give them their dowers. Do not retain a right in the infidel women, and demand back what you have spent, and let them demand back what they have spent. This is the ordinance of God which He ordaineth among you: and God is Knowing, Wise."

11. "And if any of your wives escape from you to the infidels from whom you afterwards take any spoil, then give to those whose wives shall have fled away, the like of what they shall have spent; and fear God in whom ye believe."—Sura LX.

88. Marriage a strict bond of union.

Mohammad had no loose ideas regarding the marriage tie. He had made the marriage contract more firm and irrevocable, except under very exceptional circumstances, than it was under the Arab society; and called it "a strict bond of union."[1] Mohammad's own daughter, Zeinab, was the wife of an unbelieving husband and had fled to her father at Medina under the persecution at Mecca after the Hegira.[2] Her marriage with her unbelieving partner was not cancelled by Mohammad, and on the conversion of the son-in-law, when he came after a period of six years after his wife had come to Medina, Mohammad rejoined them together under their previous marriage. Theirs was neither a fresh marriage nor a fresh dowry. (*Vide* Ibn Abbas' tradition in the collections of Ahmed, Ibn Abi Daood, Ibn Maja and Trimizee.) Safwan-bin-Omayya and Ikrama-bin Abi Jahl had believing wives at the time of the conquest of Mecca, and their marriages were not dissolved by Mohammad. (*Vide* Ibn Shahab's tradition in

[1] Sura IV, 25. Rodwell's translation.

How Mohammad discouraged divorce and took several steps in the Koran to prohibit the facility of divorce prevailing in the Arab society has been fully discussed by me in my book "The Proposed Political, Legal, and Social Reforms under Moslem Rule," pp. 129—143, Bombay Education Society Press, 1883.

[2] "Some of the baser sort from amongst the Coreish, hearing of her departure, went in pursuit, determined to bring her back. The first that appeared was Habbâr, who struck the camel with his spear, and so affrighted Zeinab as to cause her a miscarriage."—Muir's Life of Mahomet, Vol. IV, page 7.

Movatta by Malik, and in the *Tabakat* of Ibn Sad Katib Wákidi.) Similarly Ibn Sofian and Hakeem-bin-Hizam had their unbelieving wives retained by them after they had themselves been converted to Islam, and their former connubial connection was not severed by Mohammad. (*Vide* the several traditions in Baihakee to the above effect.) It was only the legists and juris-consults of a later age who wrongly construed the passage in Sura LX, 10, to mean that the unbelief of either party dissolved the marriage tie.

The Popular Jihád or Crusade;

According to the Mohammadan Common Law.

89. The Koran enjoined only defensive wars.

Almost all the common Mohammadan and European writers think that a religious war of aggression is one of the tenets of Islam, and prescribed by the Koran for the purpose of proselytizing or exacting tribute. But I do not find any such doctrine enjoined in the Koran, or taught, or preached by Mohammad. His mission was not to wage wars, or to make converts at the point of the sword, or to exact tribute or exterminate those who did not believe his religion. His sole mission was to enlighten the Arabs to the true worship of the one God, to recommend virtue and denounce vice, which he truly fulfilled. That he and his followers were persecuted, that they were expelled from their houses and were invaded upon and warred

against; that to repel incursions and to gain the liberty of conscience and the security of his followers' lives and the freedom of their religion, he and they waged defensive wars, encountered superior numbers, made defensive treaties, securing the main object of the war, *i. e.*, the freedom of their living unmolested at Mecca and Medina, and of having a free intercourse to the Sacred Mosque, and a free exercise of their religion: all these are questions quite separate and irrelevant, and have nothing to do with the subject in hand, *i. e.*, the popular *Jihad*, or the crusade for the purpose of proselytizing, exacting tribute, and exterminating the idolaters, said to be one of the tenets of Islam. All the defensive wars, and the verses of the Koran relating to the same, were strictly temporary and transitory in their nature. They cannot be made an example of, or be construed into a tenet or injunction for aggressive wars, nor were they intended so to be. Even they cannot be an example or instruction for a defensive war to be waged by the Mohammadan community or commonwealth, because all the circumstances under which Mohammad waged his defensive wars were local and temporary. But almost all European writers do not understand that the Koran does not teach a war of aggression, but had only, under the adverse circumstances, to enjoin a war of defence, clearly setting forth the grounds in its justification and strictly prohibiting offensive measures.

90. The Common Law and Jihad.

All the fighting injunctions in the Koran are, in the first place, only in self-defence, and none of them has any reference to make warfare offensively. In the second place, it is to be particularly noted that they were transitory in their nature, and are not to be considered positive injunctions for future observance or religious precepts for coming generations.[1] They were only temporary measures to meet the emergency of the aggressive circumstances. The Mohammadan Common Law is wrong on this point, where it allows unbelievers to be attacked without provocation. But this it places under the category of a non-positive injunction. A positive injunction is that which is incumbent on every believer. But attacking unbelievers without any provocation, or offensively, is not incumbent on every believer. The Hedaya has :—" The sacred injunction concerning war is sufficiently observed when it is carried on by any one *party* or *tribe* of *Mussulmans* ; and it is then no longer of any force with respect to the rest."[2]

91. Jihad when positive.

The Mohammadan Common Law makes the fighting only a positive injunction " where there is a *general sum-*

[1] Ata, a learned legist of Mecca, who flourished at the end of the first century of the Hegira, and held a high rank there as a juris-consult. (*vide* para. 112) held, that Jihad was only incumbent on the Companions of the Prophet, and was not binding on any one else after them. See para. 112, and *Tafsir Maj-na-ul-Bayan* by Tabraseo under Sura II. 212.

[2] The *Hedaya* or Guide ; or, A Commentary on the Mussulman Laws, translated by Charles Hamilton ; Vol. II. Book IX, Ch. I. page 140 London, MDCCXCI.

mons, (that is, where the infidels invade a *Mussulman* territory, and the *Imâm* for the time being issues a general proclamation, requiring all persons to stand forth to fight,) for in this case war becomes a positive injunction with respect to the whole of the inhabitants,"[1]—this is sanctioned by the Law of Nations and the Law of Nature.

92. The Hedaya quoted and refuted.

The Hedaya, or a Commentary of the Mohammadan Common Law by Nuraddin Ali of Murghinan (died in 593, A.H.) has:—

"The destruction of the sword[2] is incurred by the infidels, although they be not the first aggressors, as appears from the various passages in the sacred writings which are generally received to this effect."[3]

This assertion is not borne out by the sacred injunction of the Koran, and, on the contrary, is in direct contradiction to the same. There are several passages in the Koran already quoted in pages 16—25, which expressly forbid the taking of offensive measures, and enjoin only defensive wars. There are some other passages which are not so expressive as the several others referred to above, or in other words, are not conditional. But the law of interpretation,

---

[1] The *Hedaya* or Guide; or, A Commentary on the Mussulman Laws, translated by Charles Hamilton; Vol. II. Book IX. Ch. I. page 141.

[2] "Arab *Kettâl*: meaning war in its *operation* such as *fighting, slaying*," &c.

[3] The *Hedaya*, Vol. II. 141.

the general scope and tenor of the Koran, and the context of the verses and parallel passages, all show that those few verses which are not conditional should be construed as conditional in conformity with other passages more clear, expressive, and conditional, and with the general laws of scriptural interpretation. Now, the author of the Hedaya and other writers on the Common Law quote only those few passages from the Koran which are absolute or unconditional, and shut their eyes against those many conditional verses, and general scope and tenor of the Koran.

Limited, or *Conditional.*	General, or *Absolute.*
Sura XXII, 39—42.	Sura II, 245, (read together with 247.)
Sura II, 186—189.	Sura IX, 124.
" " 212.	The context, parallel passages and their history, show them to be limited and conditional, in conformity with the general scope of the Koran.
" " 214.	
Sura IV, 76, 77, 78, 86.	
" " 91, 92, 93.	
Sura VIII, 39—41, 58—66.	
" " 73, 74.	
Sura IX, 1—15.	
" " 29, 36.	
Quoted in pages 16—25, 35.	

93. Rule of interpretation.

Now, there are only two verses in the Koran (Sura II, v. 245, and Sura IX, v. 124) containing an absolute or non-conditional injunction for making war against the unbelievers. Perhaps you may be able to detach some more sentences, or dislocate some half verses from amongst those given under the head of conditional. But these absolute, as well as those detached

and dislocated parts of some other verses will not, by any rule of interpretation, show absolute injunction to wage war against the unbelievers without any provocation or limitation. There is a rule in the exegesis of the Koran, as well as in other Scriptural interpretations, that when two commandments, one conditional, and the other general or absolute, are found on the same subject, the conditional is to be preferred, and the absolute should be construed as conditional, because the latter is more expressive of the views of the author than the general which is considered as vague in its expression.

The rule is :—Where a passage which is ambiguous, or which contains any unusual expression, or in which a doctrine is slightly treated, or is in general terms, must be interpreted agreeably to what is revealed more clearly in other parts, or where a subject is more clearly discussed. A single or general passage is not to be explained in contradiction to many others restricted, conditional, and limited consistently with them, and with proper reservations.

94. The Common Law and its commentators.

It is not to be wondered that the Mohammadan legists or the compilers of the Common Law are wrong in this point. Because, as a rule, or as a matter of fact, they have compiled the Common Law from different sources irrespective of the Koran, and the commentators of the Common Law take the trouble of vindicating its views, principles and casuistries, and

justifying the Moslem conquests under the Khalifs by the authority of the Koran. Then only they commit the unpardonable blunder of citing isolated parts of solitary verses of the Koran, which are neither expressive enough nor are in general terms. In doing so, they avoid the many other conditional and more explicit verses on the same subject.

95. Kifaya quoted.

The author of Kifaya, a commentary on the Hedaya, who flourished in the seventh century of the Hegira, remarks on the words of the text, "The destruction of the sword is incurred by the infidels, although they be not the first aggressors," already quoted in the 92nd para., and says: "Fighting against the infidels who do not become converts to Islam, and do not pay the capitation-tax, is incumbent, though they do not attack first." The author of the Hedaya has mentioned this aggressive measure specially, because apparently the words of God, "if they attack you then slay them,"[1] indicate that the fighting against the unbelievers is only incumbent when they fight first, but, however, such is not the case. It is incumbent to fight with them, though they be not the aggressors.[2]

---

[1] Sura II, 187.

[2] The Hedaya, with its commentary called Kifaya. Vol. II, p. 708. Calcutta Medical Press, 1834.

As a general rule the Mohammadan authors do not refer to the verses of the Koran by their number. They generally quote the first sentence, or even a portion of it. The No. of verses are mine. I have followed Fluegel and Rodwell's numbers of verses in their editions and translations of the Koran.

96. Further quotation.

The same author writes in continuation of the above quotation, and attempts to reconcile his theory with the numerous precepts of the Koran, which do not permit the war of aggression :—

"Know, that in the beginning the Prophet was enjoined to forgive, and withdraw from those who joined other gods with God. God said, 'wherefore dost thou forgive with kindly forgiveness, and withdraw from those who join other gods with Me.'"

"Then He enjoined him to summon the people to the faith by kind warning and kind disputation, saying, 'Summon thou to the way of thy Lord with wisdom and kindly warning : dispute with them in the kindest manner.'"

"Then He allowed fighting, when they, the unbelievers, were the aggressors, and said :—'A sanction is given to those who have fought because they have suffered outrages;' *i.e.*, they are allowed to fight in self-defence. And God said, 'If they attack you, then kill them' (II, 187); and also said, 'If they lean to peace, lean thou also to it.' (VIII. 63)."

"Then he enjoined to fight aggressively during a certain period. God said, 'And when the sacred months are passed, kill them who join other gods with God, wherever ye find them, and seize them' (IX. 5)."

"After this He enjoined for fighting absolutely, at every time and in every place. God said, 'And

do battle against them until there be no more (*fitnah*) persecution' (II. 189; VII. 40)."[1]

Here the author of Kifaya has contrived to make out by way of subterfuge and sophistry five successive periods of the policy of the Koran regarding warfare against the unbelievers:

97. The Kifaya refuted.

First Period	... Forgiveness and withdrawal.	Sura XV, 85. VI. 106
Second Period	... Summoning ...	... Sura XVI, 126.
Third Period	... Fighting in self-defence	... Sura XXII, 40. II. 187. VIII. 63.
Fourth Period	... Fighting aggressively during certain times ...	... Sura IX. 5.
Fifth Period	... Aggressive fighting absolutely.	Sura II, 189. VIII. 40

He is wrong in history, chronology as well as in understanding the general scope of the Koran and the tenor of the Suras. He does not regard even the context of the verses quoted.

The verses containing injunctions for turning aside, shunning, forgiving, passing over, and withdrawing are found even in the later period of the Medinite Suras.—(*Vide* Sura II, 103; V, 16, 46; Sura IV, 66, 83; and VII, 198.) They have nothing to do either with war or peace.

The summoning of people to the faith of God was the chief duty of the Prophetical office, and was not confined to any special period, and was alike during times of war and peace. Even during the actual

[1] Kifaya as before.

warfare it was incumbent on the Prophet to give quarters to the enemy, if he desired, to listen to his preachings.—(*Vide* Sura IX, 6.)

98. S. IX, v. 5, discussed.

The fifth verse of the ninth Sura is by no means an injunction to attack first or wage an aggressive war. This verse is one of the several published at Medina after the Meccans had violated the treaty of Hodeibia and attacked the Bani Khozaa, who were in alliance with Mohammad. The Meccans were given four months' time to submit, in default of which they were to be attacked for their violation of the treaty and for their attacking the Bani Khozaa. They submitted beforehand, and Mecca was conquered by compromise. The verses referred to above (Sura IX, 1—15, &c.) were not acted upon. So there was no injunction to wage an aggressive war. This subject has been discussed at pages 51—55 of this work, and the reader is referred to them for fuller information.

99. S. II, v. 189, discussed.

The 189th verse of the second Sura is not at all an absolute injunction to wage a war of aggression. The verses 186, 187, 188 and 189, if read together, will show that the injunction for fighting is only in defence. The verses are:—

186. And fight for the cause of God against those who fight against you: but commit not the injustice *of attacking them first;* verily God loveth not the unjust.

187. And kill them wherever ye shall find them; and eject them from whatever place they have ejected you; for (*fitnah*) persecution is worse than slaughter; yet attack them not at the sacred Mosque, until they attack you therein, but if they attack you, then slay them: such is the recompense of the infidels!

188. But if they desist, then verily God is Gracious, Merciful—

189. And do battle against them until there be no more (*fitnah*) persecution and the only worship be that of God: but if they desist, then let there be no hostility, save against wrong-doers.

Besides, this verse as well as the fortieth verse of Sura VIII have indications in themselves of their relating to a defensive war. As the torture, aggression, in short, the persecutions suffered by the Moslems from the Koreish, are very clearly indicated by the word *fitnah* in these two verses, the object of fighting or counterfighting by the Moslems is plainly set forth, which is to suppress the persecutions.

100. S. II, 189, VIII, 40, are defensive.

They have clear reference to the persecution, to stop or remove which they enjoined fighting, and this was fighting in self-defence obviously.

They also show that the Meccans had not desisted from persecuting and attacking the Moslems, and therefore a provision was made that if they discontinue their incursions, there will be no more hostility.

This is quite sufficient to show that these verses relate to the defensive wars of Mohammad.

101. All injunctions local and for the time being.

Lastly, supposing the Koran permitted waging aggressive wars against the Meccans, who were the first aggressors, this does not corroborate the theory or principle of the Common Law of making lawful aggressive wars in future on the authority of these verses, as all of them in the Koran on the subject of war relate only to Pagan Arabs, who had long persevered in their hostility to the early Moslems or to the Jews, who, being in league with the Moslems, went over to their enemies, and aided them against the Moslems. These verses are not binding on other persons, who are not under the same circumstance as the Moslems were under, at Medina. [See para. 90.]

102. Ainee quoted and refuted.

Another commentator of the Hedaya, Ainee[1] (who died in 855) follows Kifaya already quoted, and mentions some other verses of the Koran on the war of aggression, which the author of Kifaya has left uncited in his work. They are as follow :—

" ......Then do battle with the ringleaders of infidelity,—for no oaths are binding on them—that they may desist."—(Sura IX, 12.)

---

[1] *Binayah*, a commentary of the *Hedaya*, by Ainee. Vol. II, Part II, page 789.

" War is prescribed to you, but from this ye are averse."—(Sura II, 212.)

" March ye forth, the light and heavy, and contend with your substance and your persons on the Way of God."—(Sura IX, 41.)

The first verse when it is complete runs thus :— " But if, after alliance made, they break their oaths and revile your religion, then do battle with the ring-leaders of infidelity,—for no oaths are binding on them—that they may desist ;" and fully shows by its wording that it relates to the war of defence, as the breaking of alliances, and reviling of the Moslem religion were the grounds of making war with the object in view that the aggressors may desist. This verse is one of those in the beginning of the ninth Sura, which have already been discussed.—(*Vide* pages 51—55.)

The second verse (II, 212) does not allow a war of aggression, as the next verse (II, 214) expressly mentions the attacks made by the aggressors on the Moslems. It has been quoted at full length in page 18.

The third verse (IX, 41) was published on the occasion of the expedition of Tábuk, which was certainly a defensive measure, and has been discussed in pages 51 to 55.

103. Sarakhsee quoted and refuted.

Sarakhsee generally entitled *Shums-ul-a-imma* (the Sun of the Leaders), who died in 671 A. H., as quoted by Ibn

Abdeen in his *Radd-ul-Muhtár*,[1] makes several stages in publishing the injunctions for fighting. He writes :—

"Know thou, that the command for fighting has descended by degrees. First the Prophet was enjoined to proclaim and withdraw, 'Profess publicly then what thou hast been bidden and withdraw from those who join gods with God' (XV, 94). Then he was ordered to dispute kindly; 'Summon thou to the way of thy Lord with wisdom and with kindly warning: dispute with them in the kindest warning' (XVI, 126). Then they were allowed to fight, 'A sanction is given to those who are fought....' (XXII, 40). Then they were allowed to fight if they (the unbelievers) attacked them, 'If they attack you, then kill them' (II, 187). After this they were enjoined to fight on the condition of passing over the sacred months, 'And when the sacred months are passed, then kill the polytheists' (IX, 5). After this they were enjoined to fight absolutely, 'And fight for the cause of God....' (II, 186, 245). And thus the matter was settled."

There was no injunction for fighting absolutely or aggressively in the Koran. I have already explained the 5th verse of the ninth Sura as not allowing an offensive war. And the same is the case with the 186th verse of the second Sura, which has in itself the condition of fighting against those only who fought against the Moslems. The other verse, 245th,

[1] Part. III, page 219.

of the same Sura is restricted by the verse 186th, (and is explained by the verse 245th), which refers to the defensive measures. This verse is quoted in page 19 of this work.

104. Ibn Hajar quoted and refuted.

Shahábudeen Ahmed-bin-Hajr Makki writes :—

"Fighting was prohibited before the Hegira, as the Prophet was enjoined only to preach and warn and to be patient in the persecutions of the unbelievers in order to conciliate them. After this, God gave sanction to the Moslems for fighting, (after that had been prohibited in seventy and odd verses), when the unbelievers were the aggressors, and said, 'And fight for the cause of God against those who fight against you' (II, 187). And it is a genuine tradition from Zohri that the first revealed verse sanctioning it was, 'A sanction is given to those who are fought, because they have suffered outrages' (XXII, 40): that is a sanction was given for fighting on the ground of the word 'fought.' Then the war of aggression was made lawful in other than the sacred months, 'When the sacred months are over....' (IX, 5). After this, in the eighth year of the Hegira, after the victory of Mecca, the fighting was enjoined absolutely by the words of God: 'March ye forth. the light and the heavy' (IX, 41); and 'attack those who join gods with God in all' (IX, 36). And this is the very verse of the sword, and some say the preceding verse is the verse of the

sword, while others think that both bear on the same subject, *i.e.*, of the sword."[1]

I have already explained the several verses quoted by the author in preceding paras., but have only to pass remarks on the only verse, *i.e.* (IX, 36), which the authors cited have not dared to mention, because it goes contrary to their assertion. Perhaps it is a slip in the rapidity of Ibn Hajar remarks, for which he may be excused. But I will not hesitate in saying that generally the Mohammadan legists, while quoting the Koran in support of their theories. quote some dislocated portion from a verse without any heed to its context, and thus cause a great and irreparable mischief by misleading others, especially the European writers, as it is apparent from the testimony of Mr. Lane quoted in para. 113 of this work.

105. Ibn Hajar refuted.

The verse referred to by the author mentioned in the last para., Ibn Hajar Makki, is as follows : "Attack those who join gods with God in all, as they attack you in all."—(IX, 36.) This speaks evidently of the defensive war, and has not the slightest or faintest idea of a war of aggression on the part of the Moslems. This verse refers to the expedition of Tábuk.

Nooruddeen Ali al Halabi (died 1044 A. H.), the author of *Insan-ul-Oyoon*, a biography of the Prophet, writes :—

106. Halabi quoted.

"It is not hidden that the Prophet for ten and odd

[1] *Tohfatul Mahtáj fi Sharah-al-Minhaj.* Part IV. page 137.

years was warning and summoning people without fighting, and bearing patiently the severe persecutions of the Meccan Arabs and the Medinite Jews on himself and on his followers, because God had enjoined him to warn and to have patience to bear the injuries by withholding from them, in accordance with His words, 'Withdraw from them' (V, 46); and 'endure them with patience' (XVI, 128; XVIII, 27; XXXI, 16; LII, 48; and LXXIII, 10). He also used to promise them victory. His companions at Mecca used to come to him beaten and injured, and he used to tell them, 'Endure with patience, I am not commanded to fight,' because they were but a small party at Mecca. After this, when he was settled at Medina after the Hegira and his followers became numerous who preferred him to their fathers, children, and wives, and the unbelievers persisted in their idolatry, charging him with falsehoods, then God permitted his followers to fight, but against those *only* who used to fight against them (the Moslems), and were aggressors, as he said, 'If they fight you, then kill them' (II, 187). This was in the year of Safar A. H. 2....Then the whole Arab host marched against the Moslems to fight against them from every direction. The Moslems passed whole nights in arms, and during the day they were in the same state, and longed to pass peaceful nights without fear from anybody except from God. Then it was revealed. 'God hath promised to those of

you who believe and do the things that are right, that he will cause them to succeed others in the land, as he gave succession to those who were before them, and that He will establish for them that religion which they delight in, and after their fears He will give them security in exchange' (S. XXIV, 54). After this to attack first was allowed against those who had not fought, but in other than the sacred months, *viz.*, *Rajab*, *Zulkada*, *Zulhijja*, and *Mohurram*, according to the precept, 'And when the sacred months are passed, kill those who join gods with God. . .' (IX, 5). Then the order became incumbent after the victory of Mecca, in the next year, to fight absolutely without any restriction, without any regard to any condition and time, by the words of God, 'Attack those who join gods with God in all' at any time (IX, 36). So it is known that the fighting was forbidden before the Hegira up to the month of Safar in its second year, as the Prophet was in this period ordered to preach and warn without any fighting, which was forbidden in seventy and odd verses. Then it was permitted to fight against *only* those who fought against them. Then it was allowed to fight against those who fought aggressively in other than the sacred months. After this it was enjoined absolutely to wage war against them whether they did or did not fight, at all times, whether during the sacred months, or others of the year." [1]

[1] *Insan-ul-Oyoon*. Part II, pp. 289, 291. Chapter on "Campaign."

Neither the fifth verse of the ninth Sura, nor the thirty-sixth of the same, allowed war of aggression. Both of them were published on the occasions of defensive wars, and the party against whom they were directed were the aggressors. All the verses quoted by Halabi, bearing on the subject, have been discussed and explained in the foregoing pages, from 92 to 106.

107. Halabi refuted.

Ainee, the author of the commentary on the Hedaya, called *Binayah*, in justifying the war of aggression against the unbelievers, quotes two verses from the Koran,[1] and two traditions from the Prophet,[2] and says,—"If it be objected that these absolute injunctions are restricted by the word of God, 'if they attack you, then kill them' (II, 187), which shows that the fighting is only incumbent when the unbelievers are the aggressors in fighting, as it was held by Souri, the reply is that the verse was abrogated by another, 'So fight against them until there be no more persecution' (II, 189), and 'fight against those who do not believe in God' (IX, 29)."[3] But he is wrong in asserting that the verse II, 187 was abrogated by II, 189, and IX, 29. There is no authority for such a gratuitous assumption. And besides, both these

108. Ainee again quoted and refuted.

---

[1] Sura IX, 5 and 12. These verses have been discussed at pages 51—55.

[2] "The Jihád will last till the day of the Resurrection."

"I have been enjoined to fight the people until they confess there is no god but the God." For these traditions see the next para.

[3] *Vide* Ainee's Commentary of the *Hedaya*. Vol. II, Part II, p. 790.

verses (II, 189, and IX, 29) relate to defensive wars as it has been already explained in paras. 96—99.

109. Continuation of the above.

The verse 189 shows by its very wording the existence of *fitnah* or persecution, torture, and fighting on the part of the aggressors. By suppressing the Meccans' persecution, the Moslems had to regain their civil and religious liberty, from which they were so unjustly deprived. And this war of the Moslems to repel the force of their aggressors was the war of defence and protection enjoined in the verse. The 29th verse of the ninth Sura appertains to the expedition of Tábuk, if not to that of Khyber. These expeditions were of a defensive character. *Vide* pages 37 and 41.

110. Traditions quoted and refuted.

The jurists further quote a tradition from the compilation of Abú Daood that the Prophet had said, "The Jihád will last up to the day of the Resurrection:" But in the first place, Jihád does not literally and classically mean warfare or fighting in a war. It means, as used by the classical poets as well as by the Koran, to do one's utmost; to labour; to toil; to exert one's-self or his power, efforts, endeavours, or ability; to employ one's-self vigorously, diligently, studiously, sedulously, earnestly, or with energy; to be diligent or studious, to take pains or extraordinary pains. *Vide* Appendix A.

In the second place, Yezid bin Abi Shaiba, a link

in the chain of the tradition, is a *Mujhool*,[1] *i.e.*, his biography is not known, therefore his tradition can have no authority.

There is also another tradition in Bokháree to the effect that the Prophet had said, "I have been enjoined to fight the people until they confess that there is no god but the God." This tradition goes quite contrary to the verses of the Koran which enjoin to fight in defence,—that is, until the persecution or civil discord was removed.—(*Vide* Sura II, 189; VIII, 40.) Thus it appears that either the whole tradition is a spurious one, or some of the narrators were wrong in interpreting the words of the Prophet.

111. Early Moslem legists quoted against Jihád.

That the Koran did not allow war of aggression either when it was revealed, or in future as the early jurisconsults did infer from it, will be further shown from the opinions of the early Moslems; legists of the first and second century of the Hegira, like Ibn (son of) Omar the second khalif, Sofian Souri, Ibn Shobormah, Atá, and Amar-bin-Dinar. All these early legists held that the fighting was not religiously incumbent (*wájib*), and that it was only a voluntary act, and that only those were to be fought against who attacked the Moslems.[2]

---

[1] *Vide* Ainee's Commentary of the *Hedaya*. Vol. II. Part II. p. 793.

[2] *Vide* Kázee Budrudeen Mahmood bin Ahmed Ainee's (who died in 855 A. H.) Commentary on the *Hedaya*, called *Binayah*, and generally known by the name of Ainee. Vol. II. pp. 789-90. "Book of Institute."

112. Biographical sketches of the legists.

I will give here short biographical sketches of the legists named above—

(1.) "Abû Abd-ur-Rahman Abdullah ibn Omar ibn-al Khattab was one of the most eminent among the *companions* of Muhammad by his piety, his generosity, his contempt of the world, his learning and his virtues. Though entitled by birth to aspire to the highest places in the empire, he never hearkened to the dictates of ambition; possessing a vast influence over the Moslims by his rank, his instruction, and his holy life, he neither employed nor abused it in favour of any party, and during the civil wars which raged among the followers of Islamism, he remained neutral, solely occupied with the duties of religion. For a period of thirty years persons came from all parts to consult him and learn from him the Traditions . . . . He died at Mekka A.H. 73 (A.D. 692-3) aged 84 years . . . ."—[*Tabakat al Fokaha*, fol. 5.]

(2.) Atá Ibn Abi Rabah.—"He held a high rank at Mekka as a juris-consult, a *Tábi*, and a devout ascetic; and he derived *(his knowledge of the law and the Traditions)* from the lips of Jábir Ibn Abd Allah al-Ansárí, and Abd Allah Ibn Abbas, Abd Allah Ibn Zubair, and many others of Muhammad's companions. His own authority as a traditionist was cited by Amr ibn Durár, Al-Aamash, Al-Auzái, and a great number of others who had heard him teach. The office

of *Mufti* at Mekka devolved on him and on Mujáhid, and was filled by them whilst they lived . . . . He died A. H. 115 (A.D. 733-4); some say 114 at the age of eighty-eight years."—[*Ibn Khallikan's Biographical Dictionary, translated from the Arabic by Baron MacGuckin De Slane; Vol. II, pp.* 203-204. *London, MDCCCXLIII.*]

(3.) Amr Ibn Dinár.—" He is counted among the most eminent of the Tábis, and considered as a traditionist of very highest authority. He was only one of the Mujatahid Imáms. Died A. H. 126, (A.D. 743-4), aged eighty years."—[*Tab-al-Fokaha*].

(4.) " Abd Allah Ibn Shuburma ibn Tufail ad Dubbi, a celebrated Imám, and Tábi was an eminent jurisconsult of Kufa. He learned the Traditions from Ans, As-Shabi, and Ibn Sírní, and his own authority was cited for Traditions by Soffian Ath-Thauri, Sofyan ibn Oyaina, and others. His veracity and his eminence as a doctor of the law was universally acknowledged. He was an abstemious, intelligent, devout, generous, of a handsome countenance, and possessing a talent for poetry. He acted under the Khalif Al-Mamun, as kadi of the cultivated country (Sawád) around Kufa. Born A. H. 92, (A.D. 710-11); died A. H. 144 (A.D. 761-2)."—[*Tabal-Fak. Al-Yáfi.*]

(5.) " Sofyan Ath-Thauri (As-Sauri) was native of Kúfa and a master of the highest authority in the Traditions and other sciences; his piety, devotion,

veracity, and contempt for worldly goods were universally acknowledged, and as an Imám, he is counted among the *Mujtahids* . . . . Sofyan ibn Oyaina declared that he did not know a man better informed than Soyfan Ath-Thauri respecting what was permitted and what was forbidden by the law . . . . Sofyan was born A. H. 95 (A.D. 713-4). Other accounts place his birth in 96 or 97. He died A. H 161 (A.D. 713-4) at Basra. . . . . It has been stated by some that Sofyan died A. H. 162, but the first is the true date."—[*Ibn Khallikan's Biographical Dictionary, translated from the Arabic by Baron MacGuckin De Slane, Vol. I, pp.* 576—8. *London, MDCCCXLIII.*]

113. European writers' mistake.

That it is a mistake on the part of the European writers to assert that the Koran allows wars of aggression, or in other words, to wage war against the unbelievers without any provocation, is shown by the testimony of Mr. Urquhart and Mr. Edward William Lane. The latter writes: "Misled by the decision of those doctors, and an opinion prevalent in Europe, I represented the laws of 'holy war' as more severe than I found them to be according to the letter and spirit of the Kur-án, when carefully examined, and according to the Hanafee code. I am indebted to Mr. Urquhart for suggesting to me the necessity of revising my former statement on the subject; and must express my conviction that no precept is to be found in the

Kur-án, which, taken with the context, can justify unprovoked war."[1]

I will quote several remarks of European writers, including clergymen and Indian missionaries, to show how astray they go in attributing to the Koran and Mohammad the wars of aggressions and compulsory proselytizing. Sir William Muir represents the principles of Islam as requiring constant prosecutions of war, and writes—

114. Sir William Muir quoted.

"It was essential to the permanence of Islam that its aggressive course should be continuously pursued, and that its claim to an universal acceptance, or at the least to an universal supremacy, should be enforced at the point of the sword. Within the limits of Arabia the work appeared now to be accomplished. It remained to gain over the Christian and idolatrous tribes of the Syrian desert, and then in the name of the Lord to throw down the gauntlet of war before the empires of Rome and Persia, which, having treated with contempt the summons of the Prophet addressed to them in solemn warning four years ago, were now rife for chastisement."[2]

The occasion to which Sir W. Muir refers here was to wipe out the memory of the reverse at Muta. The expedition to Muta was occasioned by the

[1] The Modern Egyptians, by Edward William Lane: Vol. I. p. 117, *note*: fifth edition, London, 1871.

[2] Muir's Life of Mahomet, Vol. IV. pp. 251-252.

murder of a messenger or envoy dispatched by Mohammad to the Ghassànide prince at Bostra. A party was sent to punish the offending chief, Sharahbil. This could, by no means, be maintained as a warlike spirit or an aggressive course for the prosecution of war, or for enforcing the claim of universal supremacy at the point of the sword.

115. Islam not aggressive.

That Islam as preached by Mohammad was never aggressive has been fully shown in several places of the Koran. During the whole time of his ministry, Mohammad was persecuted, rejected, despised and at last made an outlaw by the Koreish at Mecca, and a fugitive seeking protection in a distant city; exiled, attacked upon, besieged, defeated, and prevented from returning to Mecca or visiting the Holy Kaaba by the same enemies at Mecca and other surrounding tribes who had joined them, and even from within Medina plotted against by the Jews who were not less aggressive towards him than their confederates of Mecca, the Koreish, whom they had instigated to make war on him and had brought an overwhelming army, had proved traitors, and even more injurious than the Koreish themselves. Consequently, he was constantly in dangers and troubles, and under such circumstances it was impossible for him to be aggressive, to get time or opportunity to pursue any aggressive course, or enforce, at the point of the sword, any attempt of his for universal acceptance,

or universal supremacy even if he had designed so. But it was far from his principles to have cherished the object of universal conquest. "That Islam ever stepped beyond the limits of Arabia and its border lands," admits Sir. W. Muir in his Rede Lecture for 1881, just twenty years after he had written the passage I am dealing with, "was due to circumstances rather than design. The faith was meant originally for the Arabs. From first to last, the call was addressed primarily to them." He writes in a footnote of the same lecture (page 5):

"It is true that three or four years before, Mahomet had addressed dispatches to the Kaiser, and the Chosroes, and other neighbouring potentates, summoning them to embrace the true faith. But the step had never been followed up in any way."[1]

116. Mr. Freeman quoted.

Mr. Freeman writes regarding Mohammad :—

"Mahomet had before him the example of Mosaic Law, which preached a far more rigorous mandate of extermination against the guilty nations of Canaan. He had before him the practice of all surrounding powers, Christian, Jewish, and Heathen; though, from the disaffection of Syria and Egypt to the orthodox throne of Constantinople, he might have learned how easily persecution defeats its own end.... Under

[1] The Early Caliphate and Rise of Islam, being the Rede Lecture for 1881, delivered before the University of Cambridge by Sir William Muir, K.C.S.I., LL.D., page 5. London, 1881.

his circumstances, it is really no very great ground to condemnation that he did appeal to the sword. He did no more than follow the precedents of his own and every surrounding nation. Yet one might say that a man of such mighty genius as Mahomet must have been, might have been, fairly expected to rise superior to the trammels of prejudice and precedent." [1]

Mohammad never professed to have followed the footsteps of Moses and Joshua in waging war of extermination and proselytism. He only appealed to the sword in his and his followers' defence. Never he seems to have been anxious to copy the practice of the surrounding nations, Christians, Jews, and Egyptians. His wars of defence, as they certainly all were, were very mild, specially with regard to the treatment of children, women, and old men who were never to be attacked; and above all, in the mildness shown towards the captives of war who were either to be set free or ransomed,—but were never to be enslaved,—contrary to the practice of all the surrounding nations. This virtual abolition of slavery (*vide* Sura XLVII, 5, and Appendix B) has been a great boon to mankind in general as a beneficial result of Mohmamad's wars of defence.

117. The Revd. Stephens quoted.

The Reverend Mr. Stephens writes :—

" In the Koran. the Mussulman is absolutely and

[1] The History and Conquests of the Saracens. by Edward A. Freeman, D.C.L. LL.D., pp. 41-42 : London. 1877.

positively commanded to make war upon all those who decline to acknowledge the Prophet until they submit, or, in the case of Jews and Christians, purchase exemption from the conformity by the payment of tribute. The mission of the Mussulman, as declared in the Koran, is distinctly aggressive. We might say that Mahomet bequeathed to his disciples a roving commission to propagate his faith by the employment of force where persuasion failed. 'O Prophet, fight for the religion of God'—'Stir up the faithful to war,' such are commands which Mahomet believed to be given him by God. 'Fight against them who believe not a God, nor the last day,' 'attack the idolatrous in all the months,' such are his own exhortations to his disciples."[1]

The Reverend gentleman is very much mistaken in his assertions against the Koran. There is no absolute or positive command in the Koran for a war of aggression or compulsory proselytism. The sentences quoted by Mr. Stephens are but mutilated verses forcibly dislocated from their context. A disjointed portion of a verse, or a single sentence of it cannot be brought forth to prove any doctrine or theory. Due regard must be made for the context, the general scope, and parallel passages. The verses referred to by Mr. Stephens are Sura IV, 86, and

[1] Christianity and Islam: The Bible and the Koran: by the Rev. W. R. W. Stephens. London. 1877. pp. 98-99.

Sura IX, 29, 36. All these have been quoted in full and discussed elsewhere.[1] They relate only to defensive wars.

118. Mr. Bosworth Smith quoted.

Mr. Bosworth Smith says:—

"The free toleration of the purer among the creeds around him, which the Prophet had at first enjoined, gradually changes into intolerance. Persecuted no longer, Mohammed becomes a persecutor himself; with the Koran in one hand, the scymitar in the other, he goes forth to offer to the nations the threefold alternative of conversion, tribute, death." [2]

Mohammad never changed his practice of toleration nor his own teachings into intolerance; he was always persecuted at Mecca and Medina, but, for all we know, he himself never turned a persecutor. The three-fold alternative so much talked of, and so little proved, is nowhere to be found in the Koran. This subject has been fully discussed in paras. 34—39.

119. Mr. G. Sale quoted.

Mr. George Sale, in his celebrated preliminary discourse to the translation of the Koran, writes, referring to the thirteenth year of Mohammad's mission:—

"Hitherto Mohammed had propagated his religion by fair means, so that the whole success of his enterprise, before his flight to Medina, must be attri-

---

[1] *Vide* paras. 17, 29, 126.

[2] Mohammed and Mohammedanism. Lectures delivered at the Royal Institution of Great Britain in February and March 1874, by R. Bosworth Smith, M.A., Second Edition, page 137: London, 1876.

buted to persuasion only, and not to compulsion. For before this second oath of fealty or inauguration at al Akaba, he had no permission to use any force at all; and in several places of the Korân, which he pretended were revealed during his stay at Mecca, he declares his business was only to preach and admonish; that he had no authority to compel any person to embrace his religion; and that whether people believed or not, was none of his concern, but belonged solely to God. And he was so far from allowing his followers to use force, that he exhorted them to bear patiently those injuries which were offered them on account of their faith; and when persecuted himself chose rather to quit the place of his birth and retire to Medina, than to make any resistance. But this great passiveness and moderation seems entirely owing to his want of power and the great superiority of his oppressors for the first twelve years of his mission; for no sooner was he enabled by the assistance of those of Medina to make head against his enemies, than he gave out, that God had allowed him and his followers to defend themselves against the infidels; and at length, as his forces increased, he pretended to have the divine leave even to attack them, and to destroy idolatry, and set up the true faith by the sword; finding by experience that his designs would otherwise proceed very slowly, if they were not utterly overthrown, and knowing on the other hand that innovators, when they depend

solely on their own strength, and can compel, seldom run any risk; from whence, the politician observes, it follows, that all the armed prophets have succeeded, and the unarmed ones have failed. Moses, Cyrus, Theseus and Romulus would not have been able to establish the observance of their institutions for any length of time had they not been armed. The first passage of the Korân, which gave Mohammed the permission of defending himself by arms, is said to have been that in the twenty-second chapter: after which a great number to the same purpose were revealed.

"That Mohammed had a right to take up arms for his own defence against his unjust persecutors, may perhaps be allowed; but whether he ought afterwards to have made use of that means for the establishing of his religion, is a question which I will not here determine. How far the secular power may or ought to interpose in affairs of this nature, mankind are not agreed. The method of converting by the sword gives no very favourable idea of the faith which is so propagated, and is disallowed by every body in those of another religion, though the same persons are willing to admit of it for the advancement of their own; supposing that though a false religion ought not to be established by authority, yet a true one may; and accordingly force is as constantly employed in these cases by those who have the power in their hands as it is con-

stantly complained of by those who suffer the violence."[1]

I do not agree with these words of Mr. George Sale regarding Mohammad, "and at length, as his forces increased, he pretended to have the divine leave even to attack them, and to destroy idolatry, and set up the true faith by the sword;" he never attacked the Koreish or others except in his own defence. The destruction of idolatry was the chief mission of Mohammad, and that even was not resorted to by force of arms. There were neither compulsory conversions nor his history points to any extirpation of the idolaters at the point of sword from their native countries, as the chief objects of his mission. The persecutions and civil discord were to be removed or put a stop to, and force was used to repel force, but nothing more. Conversion by the sword was not enforced on any proselyte by Mohammad.

120. Major Osborn quoted.

Major Osborn has drawn a very dark picture of what he calls "The Doctrine of Jehad," in his *Islam under the Arabs*.[2] The defensive wars of Mohammad are explained by him as "means of livelihood congenial to the Arab mind, and carrying with it no stain of disgrace or immorality. This was robbery. Why

---

[1] The Koran, by George Sale. The "*Chandos Classics*." The Preliminary Discourse, Section II. pp. 37-38.
[2] London: Longmans, Green & Co., 1876, pp. 46-54.

should not the faithful eke out their scanty means by adopting this lucrative and honourable profession, which was open to everyone who had a sword and knew how to use it? . . . . . Surely, to despoil these infidels and employ their property to feed the hungry and clothe the naked among the people of God, would be a work well pleasing in His sight . . . And thus was the first advance made in the conversion of the religion of Islam with the religion of the sword" (pages 46-47). After this the Major writes again: "The ninth Sura is that which contains the Prophet's proclamation of war against the votaries of all creeds other than that of Islam" (page 52). Then he quotes several verses, some of them half sentences, violently distorted, from the eighth and ninth Suras, in a consecutive form, without giving the numbers. These are Sura IX, 20, 34, 35, 82, 121; Sura VIII, 67; Sura IX, 36, 5, 29, 19; Sura XLVII, 4; Sura IX, 5; and Sura VIII, 42. Lastly, the learned Major concludes by saying,—"Such was the character of the Sacred War enjoined upon the Faithful. It is Muhammad's greatest achievement and his worst. When subjected himself to the pains of persecution he had learned to perceive how powerless were torments applied to the body to work a change of conviction in the mind. 'Let there be no violence in religion' had then been one of the maxims he had laid down. 'Unto every one of you,' he had said in former days, speaking of Jews and Christians, 'have we

given a law, and an open path; and if God had pleased He had surely made you one people; but He hath thought fit to give you different laws, that he might try you in that which He hath given you respectively. Therefore, strive to excel each other in good works; unto God shall ye all return, and then will He declare unto you that concerning which ye have disagreed.' But the intoxication of success had long ago stilled the voice of his better self. The aged Prophet standing on the brink of the grave, and leaving as his last legacy a mandate of universal war, irresistibly recalls, by force of contrast, the parting words to his disciples of another religious teacher that they should go forth and preach a gospel of peace to all nations. Nor less striking in their contrast is the response to either mandate;—the Arab, with the Koran in one hand and the sword in the other, spreading his creed amid the glare of burning cities, and the shrieks of violated homes, and the Apostles of Christ working in the moral darkness of the Roman world with the gentle but irresistible power of light, laying anew the foundations of society, and cleansing at their source the polluted springs of domestic and national life."

121. Major Osborn refuted.

The learned author quoted above has either misunderstood the character of the wars of the Prophet of Islam, or has grossly misrepresented it. He errs in two points: First, he makes the wars as wars of conquest, compulsion, and aggression, whereas they were all

undertaken in the defence of the civil and religious rights of the early Moslems, who were, as I have said before, persecuted, harassed, and tormented at Mecca for their religion, and after a long period of persecution with occasional fresh and vigorous measures, were condemned to severer and harder sufferings, were expelled from their homes, leaving their dear relations, and religious brethren to endure the calamities of the persecution, and while taking refuge at Medina were attacked upon by superior numbers, several of the surrounding tribes of Arabs and Jews joining the aggressive Koreish, making runious inroads and threatening the Moslems with still greater and heavier miseries. From this statement it will appear that these wars were neither of conquest nor of compulsory conversion. The second great mistake under which Major Osborn seems to labour is that he takes the injunctions of war against the Meccans or other aggressors as a general obligation to wage war against all unbelievers in the Moslem faith. In fact, these injunctions were only against those aggressors who had actually committed great encroachments on the rights and liberties of the early Moslems, and had inflicted very disastrous injuries on them. These injunctions had and have nothing to do with the future guidance of the Moslem world.

122. **The IXth Sura of the Koran.**

It is a great misrepresentation on the part of Major Osborn to assert that "the ninth Sura is that which contains the

Prophet's proclamation of war against the votaries of all creeds other than that of Islam." No statement could be farther from truth than this of his. The ninth Sura, or, more correctly, the beginning or opening verses of it, contain the Prophet's proclamation of war against those of the Meccan idolaters, who, in violation of the treaty of Hodeibia, had attacked the Moslems.—(Sura IX, 4, 8, 10, 12 & 13, *vide* pages 23-25.) They were allowed four months' time (IX, 2, 5) to make terms. They submitted, and Mecca was taken by compromise, in consequence of which the threatened war was never waged. Those who had not broken their treaties were especially mentioned, with whom the proclamation or the period allowed for peace had no connection.—(*Vide* Sura IX, 4, 7, quoted above, pages 23-24.) Thus it is quite clear that the proclamation of war was only against the violators and aggressors, and not against the votaries of all creeds other than that of Islam. I have further discussed the ninth Sura in para. 40 of this work. The other verses of this Sura refer to the expedition of Tabúk, which was purely defensive in its nature as has been described in para. 33 of this book. (See also para. 42.)

123. The Reverend Wherry quoted.

The Reverend E. M. Wherry, M. A., in his note on Sale's Preliminary Discourse, says :—

"Though Muhammad undoubtedly took Moses as his pattern, and supposed himself following in his

footsteps when he gave the command to fight against the infidels, yet there is no comparison between them whatever so far as warring against infidels is concerned. The Israelites were commanded to slay the Canaanites as divinely ordained instruments of *destruction;* but Muhammad inaugurated war as a means of proselytism. The Israelite was not permitted to proselytize from among the Canaanites, (Exod. XXIII. 27—33), but Muslims are required to proselytize by sword-power." [1]

Mohammad never had said that he did follow the footsteps of Moses in giving the command of fighting in self-defence, and in repelling force by force. There could be no comparison whatsoever between the wars of Moses, which were merely wars of conquest, aggression, extermination, and expatriation, and those of Mohammad waged only in self-defence. Mohammad did not inaugurate his career by prosecuting war as a means of proselytism, and never did proselytized any one by the sheer strength of the sword. Mr. T. H. Horne, M.A., writes regarding the extirpation of the Canaanites :—

" After the time of God's forbearance was expired, they had still the alternative, either to flee elsewhere, as in fact, many of them did, or to surrender themselves, renounce their idolatries, and serve the God

[1] A Comprehensive Commentary on the Quràn ; comprising Sale's Translation and Preliminary Discourse, with additional Notes and Emendations, by the Revd. E. M. Wherry, M.A., page 220 ; London : Trübner & Co., 1882.

of Israel. Compare Deut. XX. 10—17."[1] This was certainly compulsory conversion and proselytizing at the point of the sword.

124. Example cited from the Jewish history.

There is only one instance in the Koran in which an example is cited for the war of defence by Mohammad, from the Jewish History. It is the asking of the children of Israel their prophet Samuel to raise up a king for them to fight in their defence against the Philistines, who had very much oppressed the Israelites. Saul was appointed king over the Israelites, and David killed Goliath, called *Jálut* in the Koran, which was in defence of the Israelites. I have quoted the verses relating to the above subject from the Koran (Sura II, 247 and 252) in page 19th of this work.

"Hast thou not considered the assembly of the children of Israel after *the death* of Moses, when they said to a prophet of theirs.—'Raise up for us a king; we will do battle for the cause of God?' He said, 'May it not be that when fighting is ordained you, ye would not fight?' They said, 'And why should we not fight in the cause of God, since we are driven forth from our dwellings and our children?'....

This shows that what the Koran or Mohammad took as an example from the history of the Jews was only their defensive war.

[1] An Introduction to the Critical Study and Knowledge of the Holy Scripture, by Thomas Hartwell Horne, Esq., M.A. Vol. II, page 524; London, 1828.

125. Mosaic injunctions.

It is very unfair of the Christians to make too much of the wars of Mohammad, which were purely of a defensive nature, and offer apologies for the most cruel wars of conquest and extermination by Moses, Joshua and other Jewish worthies under the express commands of God.—(*Vide* Numbers XXXI; Deut. XXI, &c.) But see what Mr. Wherry says. He writes in his comments on the 191 verse of the second Sura of the Koran.

"(191). *Kill them, &c.* Much is made of expressions like this, by some Christian apologists, to show the cruel character of the Arabian prophet, and the inference is thence drawn that he was an impostor and his Qurán a fraud. Without denying that Muhammad was cruel, we think this mode of assault to be very unsatisfactory to say the least, as it is capable of being turned against the Old Testament Scriptures. If the claim of Muhammad to have received a divine command to exterminate idolatry by the slaughter of all impenitent idolaters be admitted, I can see no objection to his practice. The question at issue is this. Did God command such slaughter of idolaters, as he commanded the destruction of the Canaanites or of the Amalekites? Taking the stand of the Muslim, that God did so command Muhammad and his followers, his morality in this respect may be defended on precisely the same ground

that the morality of Moses and Joshua is defended by the Christian." [1]

126. The Revd. T. P. Hughes quoted.

The Revd. T. P. Hughes in his Notes on Muhammadanism writes:—

"Jihád (lit. 'an effort') is a religious war against the infidels, as enjoined by Muhammad in the Qurán."

Súrat-un-Nisa (VI.)

"Fight therefore for the religion of God."

* * * * * * *

"God hath indeed promised Paradise to every one.

But God hath preferred those who *fight for the faith.*" (IV, 97.)

Súrat-ul-Muhammad (XLVII).

"Those who *fight in the defence of God's true religion,*

God will not suffer their works to perish." (XLVII, 5.)[2]

The first verse quoted by Mr. Hughes appertains to the war of defence. The verse in itself has express indications of its relating to the war of defence, but Mr. Hughes was not inclined, perhaps, to copy it in full. He merely quotes half a sentence, and shuts his eyes from other words and phrases of the same verse. The verse has been quoted in page 20. It is as follows :—

"Fight then on the path of God : lay not burdens on any but thyself; and stir up the faithful. The powers of the infidels, God will haply restrain ; for

[1] Commentary on the Qurán by the Revd. Wherry, page 358.

[2] Notes on Muhammadanism : being Outlines of the Religious System of Islam, by the Revd. T. P. Hughes, M.R.A.S., C.M.S., Missionary to the Afghans, page 206 : Second Edition, 1877.

God is stronger in prowess, and stronger to punish." —(Sura IV, 86.)

The severe persecution, the intense torture and mighty aggression of the Meccans and their allies is referred to in the original word *Báss*, rendered *prowess* into English and referred to in the previous verse 77, which shows that the war herein enjoined was to restrain the aggressions of the enemy and to repel force by force.

It is very unfair on the part of the Revd. T. P. Hughes to twist or dislocate half a sentence from a verse and put it forth to demonstrate and prove a certain object of his.

The second verse quoted by the same author is a mere mistranslation. There is no such word in the original which admits of being rendered as "fighting." The true translation of the sentence quoted above from Sura IV, verse 97, is as follows:—

127. Meaning of Jihad.

"Good promises hath he made to all. But God hath assigned to the *strenuous* a rich recompense above those who sit still at home."

The word rendered "*strenuous*" is originally "mojahid" (plural "Mojahidin," from Jihád), which in classical Arabic and throughout the Koran means to do one's utmost, to make effort, to strive, to exert, to employ one's-self diligently, studiously, sedulously, earnestly, zealously, or with energy, and does not mean fighting or warfare. It was subsequently applied

to religious war, but was never used in the Koran in such a sense. (*Vide* Appendix A.)

128. Sura XLVII, v. 5.

The third instance quoted by Mr. Hughes is also a mistranslation of a sentence in verse 5, Sura XLVII. The original word is "*kotelú*," which means "those who are *killed*," and not "those who *fight*," as explained and translated by the author. The correct rendering of the sentence is this: "And those who are killed, their work God will not suffer to miscarry."

Some read the word "*kátalú*," which means "those who fought," but the general and authorized reading is "*kotelú*," *i.e.*, "those who are killed." Even if it be taken for granted that the former is the correct reading, it will be explained by several other verses which mean fighting in defence, and not fighting aggressively, which not only has been never taught in the Koran but is always prohibited (II, 186). The verse to that effect runs thus:—

"And fight for the cause of God against those who fight against you; but commit not the injustice of attacking them first. Verily God loveth not the unjust."—(II, 186.)

This verse permitted only defensive war and prohibited every aggressive measure. All other verses mentioned in connection with fighting on the part of the Moslems must be interpreted in conformity with this.

129. The Rev. Mr. Malcolm MacColl quoted.

The Rev. Malcolm MacColl writes:—

"The Koran divides the earth into parts: Dar-ul-Islam, or the House of Islam; and Dar-ul-Harb, or the House of the enemy. All who are not of Islam are thus against it, and it is accordingly the duty of the True Believers to fight against the infidels till they accept Islam, or are destroyed. This is called the Djihad or Holy War, which can only end with the conversion or death of the last infidel on earth. It is thus the sacred duty of the Commander of the Faithful to make war on the non-Mussulman world as occasion may offer. But Dar-ul-Harb, or the non-Mussulman world, is subdivided into Idolaters and Ketabi, or 'People of the Book,'—*i.e.*, people who possess divinely inspired Scriptures, namely, Jews, Samaritans, and Christians. All the inhabitants of Dar-ul-Harb are infidels, and consequently outside the pale of Salvation. But the Ketabi are entitled to certain privileges in this world, if they submit to the conditions which Islam imposes. Other infidels must make their choice between one of two alternatives—Islam or the sword. The Ketabi are allowed a third alternative, namely, submission and the payment of tribute. But if they refuse to submit, and presume to fight against the True Believers, they lapse at once into the condition of the

rest of Dar-ul-Harb, and may be summarily put to death or sold as slaves."[1]

I am very sorry the Rev. gentleman is altogether wrong in his assertions against the Koran. There is neither such a division of the world in the Koran, nor such words as "Dar-ul-Islam" and "Dar-ul-Harb" are to be found anywhere in it. There is no injunction in the Koran to the True Believers to fight against the infidels till they accept Islam, failing which they are to be put to death. The words "Dar-ul-Islam" and "Dar-ul-Harb" are only to be found in the Mohammadan Common Law, and are only used in the question of jurisdiction. No Moslem magistrate will pass a sentence in a criminal case against a criminal who had committed an offence in a foreign country. The same is the case in civil courts.[2] All the inhabitants of Dar-ul-Harb are not necessarily infidels. Mohammadans, either permanently or temporarily by obtaining permission from the sovereign of the foreign land, can be the inhabitants of a Dar-ul-Harb, a country out of the Moslem jurisdiction, or at war with it.

130. The untenable theories of the Common Law and conclusion.

It is only a theory of our Common Law, in its military and political chapters, which allow waging unprovoked

[1] The Nineteenth Century: London. December 1877. page 832.

[2] This subject has been fully treated in my "The Proposed Political, Legal, and Social Reforms in Moslem States," pp. 22—25: Bombay Education Society Press, 1883.

war with non-Moslems, exacting tribute from "the people of the Book," and other idolaters, except those of Arabia, for which the Hanafi Code of the Common Law has nothing short of conversion to Islam or destruction by the sword. As a rule, our canonical legists support their theories by quotations from the Mohammadan Revealed Law, *i.e.*, the Koran, as well as from the Sonnah, or the traditions from the Prophet, however absurd and untenable may be their process of reasoning and argumentative deductions. In this theory of waging war with, and exacting tribute or the capitation-tax from, the non-Moslem world, they quote the 9th and other Suras. These verses have been copied and explained elsewhere in this book. The casuistic sophistry of the canonical legists in deducing these war theories from the Koran is altogether futile. These verses relate only to the wars waged by the Prophet and his followers purely in their self-defence. Neither these verses had anything to do with waging unprovoked war and exacting tributes during Mohammad's time, nor could they be made a law for future military conquest. These were only temporary in their operations and purely defensive in their nature. The Mohammadan Common Law is by no means divine or superhuman. It mostly consists of uncertain traditions, Arabian usages and customs, some frivolous and fortuitous analogical deductions from the

Koran, and a multitudinous array of casuistical sophistry of the canonical legists. It has not been held sacred or unchangeable by enlightened Mohammadans of any Moslem country and in any age since its compilation in the fourth century of the Hejira. All the *Mujtahids*, *Ahl Hadis*, and other non-Mokallids had had no regard for the four schools of Mohammadan religious jurisprudence, or the Common Law.

Sura XLVIII, 16, and Sura XLVII, 4 and 5.

Sura XLVIII, 16, is not generally quoted by the canonical legists in support of their theory of Jehád, but by some few. It is not in the shape of a command or injunction; it is in a prophetical tone :—

"Say to those Arabs of the desert who stayed behind, Ye shall be called forth against a people of mighty valour; Ye shall do battle with them, or they shall submit (*Yoslemoon*)[1] . . . ."

[1] Sir W. Muir, with other European translators of the Koran, translates the word "they shall profess Islam" (The Life of Mahomet, Vol. IV, p. 39, *footnote*). It ought to be translated "they shall submit." There is a difference of opinion among the commentators and canonical legists in this word. Some translate the word *Yoslemoon* "shall profess Islam," and others "shall submit." This difference in the interpretation of the same word is merely of a sectarian nature, each party wishing to serve their own purpose. Those legists who held that the polytheists and idolaters may either be fought against or be submitted to the authority of Islam by being tributaries, took the word in its proper sense of submission. Those who held that "the people of the Book" ought only to be made tributaries, while all other idolaters and poly-

The verses 4 and 5 of Sura XLVII, like all other verses on the subject, appertain to the wars of defence, and no one has ever quoted them for wars of aggression. These verses have already been quoted at page 85. The abolition of the future slavery as enjoined in the 5th verse has been treated separately in Appendix B. The Arabs, like other barbarous nations round them, used either to kill the prisoners of war or to enslave them; but this injunction of the Koran abolished both of these barbarous practices. The prisoners henceforward were neither to be killed nor enslaved, but were to be set at liberty with or without ransom.

---

theists should be compelled either to perish or to embrace Islam, interpret the word technically to mean the religion of Islam. But as the verse is not a legal command, we condemn at once the casuistic sophistry of the legists.

w